شرح

العقيدة الطحاوية

تأليف

حكيم الإسلام العلامة القارئ

محمد طيب بن محمد أحمد القاسمي

(١٣١٥ - ١٤٠٣هـ)

ويليه رسالتان للمؤلف

مبادئ الخلافة والسياسة الدينية وغاياتها

صلة السنة بالقرآن الكريم

(حجية الحديث الشريف)

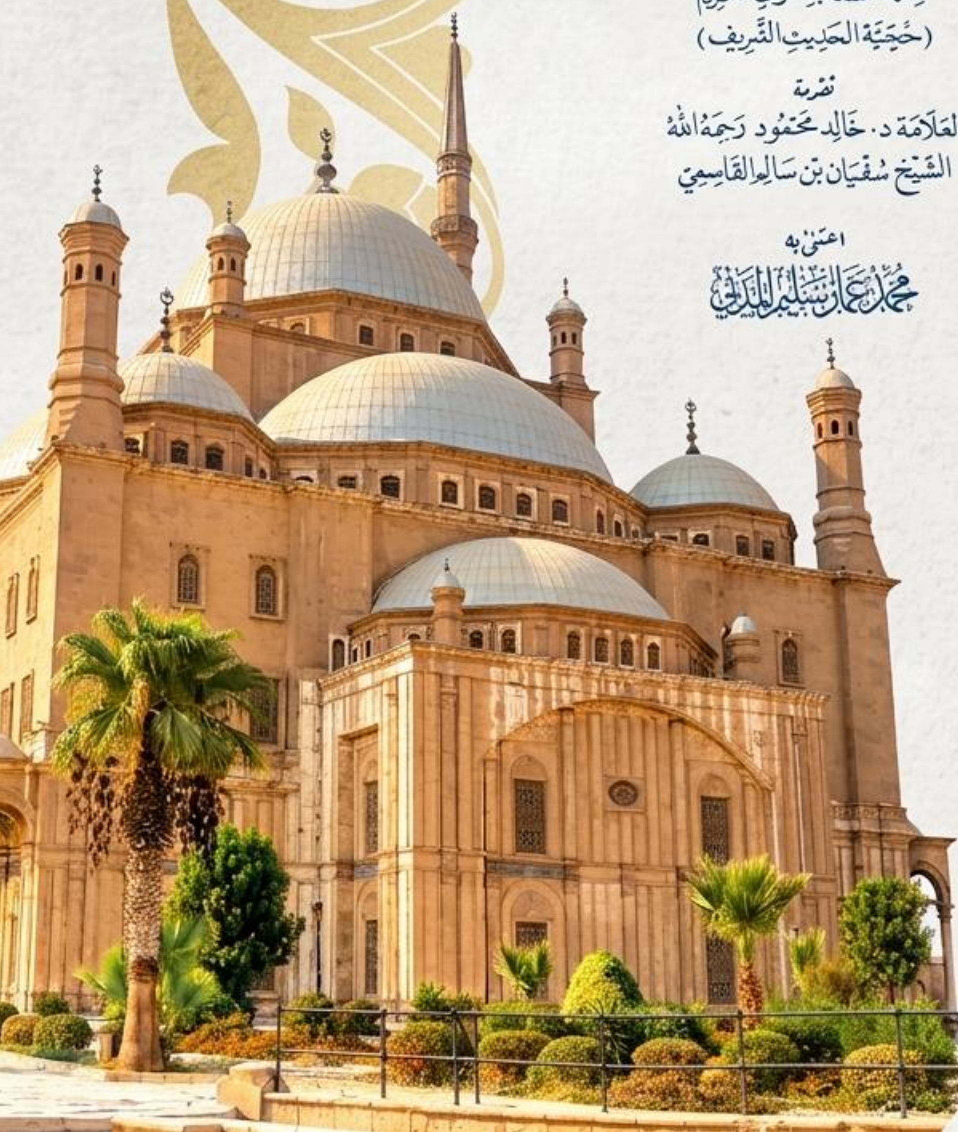
تقديم

العلامة د. خالد محمود رحمه الله

الشيخ سفيان بن سالم القاسمي

اعتنى به

محمد عمار بن سليم المدني



مكتبة قاسم العلوم

شرح

العقيدة الطحاوية

تأليف: محمد طيب بن محمد أحمد القاسمي

تحقيق: محمد عمار سليم المدني

الطبعة: الأولى 1441 - 2020

الناشر: مكتبة قاسم العلوم

التوزيع: مكتبة قاسم العلوم ودار الرياحين

مكتبة قاسم العلوم

للدراسات والتحقيقات العلمية

Office 4, Zain Hub, Bury New Road, Manchester, M8 8FR

www.qasimalulum.com info@qasimalulum.com

0044 161 9437724 - 0044 7593166893

شرح العقيدة الطحاوية

تأليف

حكيم الإسلام العلامة القارئ

محمد طيب بن محمد أحمد القاسمي

١٣١٥-١٤٠٣هـ

ويليه رسالتان للمؤلف

مباني الخلافة والسياسة الدينية وغاياتها

صلة السنة بالقرآن الكريم

(حجية الحديث الشريف)

تقدمة

العلامة د. خالد محمود رحمه الله

الشيخ سفيان بن سالم القاسمي

اعتنى به

محمد عمار سليم المدني

مكتبة قاسم العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة
مفكر الإسلام ورئيس المحققين
العلامة القاضي د. خالد محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أهمية العقائد في دين الإسلام

إن العقائد والأعمال والأخلاق والعرف في دين الإسلام لا تقوم على أسس الخيالات والاحتياجات، بل على أسس مستقلة؛ نعم، قد يكون في الأعمال والأخلاق طرق مختلفة تتسع لاختلاف الآراء، ولكن في المعتقدات ليس هناك إلا طريق واحد وهو الصراط المستقيم، فلا تقبل المعتقدات الموازية من قبل الجانبين.

العقائد كالعقدة تعقد في مكان معين وتنفك في مكان معين.

والاختلاف في المعتقدات يسمى الاختلاف في الأصول، والاختلاف في الأعمال يسمى الاختلاف في الفروع. وقد علم قطعيًا أن الدين الوحيد عند الله هو دين الإسلام، لا يمكن أن تكون جميع الأديان الأخرى في مقامها صحيحة، وأن أتباعها يحق لهم باتباعهم تلك الأديان النجاة في الآخرة، فإن النجاة لمن آمن بالله وبرسوله محمد ﷺ فقط، لا غير.

أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن وأمره أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام،

فإن كان دينهم صحيحًا ويحق به النجاة فما الفائدة من إرساله إليهم ودعوتهم إلى الإسلام؟

عن ابن عباس ﭫ أن رسول الله ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: **«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»**(١).

وقد اختصر الإمام الطحاوي (٣٢١هـ) في كتابه «العقيدة الطحاوية» هذه القاعدة في قوله:

«ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام».

هذا قول عالم من القرن الرابع الهجري، وقد اتفق على ذلك علماء عصره ولم يخالفه من جاء بعده، يقول الإمام الحافظ ابن حزم (٤٥٦هـ): «الإسلام دين واحد، وكل دين سواه باطل»(٢). وهكذا الإمام الحافظ ابن تيمية (٧٢٨هـ) في عصره بهذه الكلمات: «من لم يقر باطنًا وظاهرًا بأن الله لا يقبل دينًا سوى الإسلام فليس بمسلم»(٣).

فاتضح أن القائلين بوحدة الأديان مع ادعائهم أنهم مسلمون، لم يبقوا على ملة الإسلام، والواضح أن الإيمان بالرسالة المحمدية هو أساس ضروري للنجاة في الآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ٢٩.

(٢) «المحلى»: ١/ ٤٧.

(٣) «مجموع الفتاوى»: ٢٧/ ٤٦٣.

فالآن ننظر كيف انتشرت الاختلافات بين المسلمين: بدأت هذه التفرقة في زمن التابعين، فظهرت وانتشرت هذه الفرق المختلفة مثل: المعتزلة، والجهمية، والقدرية، والجبرية، والروافض والخوارج، ولم يخالطهم ويوافقهم على آرائهم أحدٌ من الصحابة ﷺ، والذين اتبعوهم وهم التابعون، والذين انحرفوا عن ذلك الطريق لم يسموا التابعين، بل سُموا بأهل البدعة. فالذين اتبعوا الصحابة ومن تبعهم هم أهل السنة، فصاروا فرقتين: ١ ـ أهل السنة، ٢ ـ أهل البدعة.

يقول الإمام ابن سيرين (١١٠هـ) عن تلك الفترة وما كان يحدث بين الفرقتين: «فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم»[1].

فعلم أن أصحاب الحديث ورواة الحديث عُرفوا بأهل السنة، ولقب أهل الحديث كان مجرد لقب علمي يشير إلى أنهم أصحاب هذا الفن، ولم يكن يُستعمل لتمييز فرقة أو جماعة معينة، كما يستعمل في زماننا.

فأهل السنة هم في مقابلة أهل البدعة، وأهل البدعة في ذلك الزمان الذين ابتدعوا في العقائد، وأما في هذا الزمن فيطلق على من ابتدعوا في الأعمال.

فالواضح أن في تلك الفترة من الزمن ظهر أهل البدعة بأنواع مختلفة وأصحبوا جميعهم فرقًا مستقلة، وأهل السنة أبقوا على ملة واحدة، مع وجود اختلافات في الفروع بينهما، لكنهم في العقائد اتفقوا على قول واحد وتمسكوا بلقبهم: «**أهل السنة**». وهكذا أخبر النبي ﷺ أن الفرقة الناجية هي التي حذت حذو الصحابة، وليس مع غيرهم، وعُرفوا بقوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

(١) أخرجه مسلم في مقدمته، باب: في أن الإسناد من الدين: ٢٧.

عدم وجود الطائفية بين أهل السنة بسبب المسائل الفرعية

المذهب هو الطريق الذي يذهب عليه وليس الفرقة، ولذلك الاختلاف بين المذاهب لم يكن طائفيًا، والمذاهب الأربعة هم في الأصل واحد. قال الإمام ابن تيمية:

«ومعلوم أن أهل المذاهب كالحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية دينهم واحد، وكل من أطاع الله ورسوله منهم بحسب وسعه، كان مؤمنًا سعيدًا باتفاق المسلمين»[1].

فعلم من قوله: «من أطاع الله ورسوله منهم» أن اتباع الأئمة الأربعة هو في الأصل اتباع الله ورسوله، بحيث أن الأئمة الأربعة واسطة لاتباع الله ورسوله، وباتباعهم للأئمة لا يعني أنهم تركوا اتباع الله ورسوله، لا، بل اتباع الأئمة هو طريقة الوصول إلى اتباع الرسول، فيرى الحافظ ابن تيمية أن الحنفية يتبعون النبي ﷺ، علمًا بأن من يسمون أنفسهم أهل الحديث في هذا الزمان يظنون أن تقليد الإمام أبي حنيفة في الفروع يعني عدم اتباعهم للنبي ﷺ.

فالفقهاء يدندنون حول مراد الحديث ومعناه، وهكذا المتكلمون حول العقائد الإسلامية، والمتكلمون لم يقوموا ضد المحدثين، إنما كانوا ضد المعتزلة واستخدموا أسلوب المعتزلة وطريقتهم في الرد عليهم، وكان هدفهم الأساسي نصرة القرآن والسنة. ليس من منهجهم إبعاد الناس عن القرآن والسنة، فالمتكلمون قاموا بحفظ القرآن على طريقة الصحابة، والفقهاء قاموا بحفظ الأحاديث والآثار على طريقة الصحابة، ولذلك كما أُلفت كتب مستقلة في

---

(١) «مجموع الفتاوى»: ٢٧/ ٤٦٢.

الحديث الشريف، هكذا ألفت كتب في بيان العقائد الإسلامية، حتى صار علمًا من العلوم الشرعية المدروسة.

الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ) كان متقدمًا في حفظ العقائد، ولذلك ألف كتابه «الفقه الأكبر»، ويلاحظ من عنوان هذا الكتاب أن الفقه العملي، أي: المسائل الفرعية، تعتبر الفقه الأصغر عنده، والعقائد هو الموضوع الأكبر في عصره، ولم تكن هناك فرقة واحدة فحسب، بل فرق عديدة ضد أهل السنة في العراق.

الشيخ مولانا إسماعيل السلفي من غوجرانواله، باكستان، عبر عن تلك الحالة الحساسة بهذه الكلمات:

«كما كانت الأرض صخرية في تلك البلاد، كانت هناك حاجة ماسة إلى من يقوم للإصلاح الاعتقادي والعملي، الذي بوسع علمه وذكائه يستطيع أن يطوي تلك المفاسد الضالة. فحسب رأيي الشخصي؛ الشخصية التي قامت بهذه المحنة هو الإمام أبو حنيفة الذي بفقهه كسر مباني الاعتزال وهدم مذهب الروافض والشيعة! اللهم ارحمه واجعل الجنة الفردوس مأواه[1].

ثم الإمام الطحاوي في كتابه «العقيدة الطحاوية» عرض عقائد أهل السنة جملة، حتى انتشر كتابه هذا ودُرس في جميع المدارس والجامعات الإسلامية حول العالم، وقد ألف كبار العلماء شروحهم على هذا المتن النفيس.

ثم بعده الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، والإمام أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ)، والقاضي أبو بكر الباقلاني (٤٠٢هـ)، والإمام أبو منصور عبد القاهر

---

(١) «الفتاوى السلفية»: صـ١٤١.

(٤٢٩هـ)، والعلامة أبو الشكور السالمي (بعد٤٦٠هـ)، والعلامة النسفي (٥٣٧هـ) ﷺ قدموا خدماتهم في علم العقائد الإسلامية.

خلال اثني عشر قرنًا اتفق أهل السنة على عقيدة واحدة، مع اختلافهم في الفروع، ولكن لم تكن فتنة الطائفية بينهم، فها هنا مؤلف كتاب «العقائد النسفية» حنفيٌ ومؤلف «شرح العقائد النسفية» شافعيٌ، هما من مذاهب مختلفة، ومع ذلك لم يكن بينهما خلاف يوصل إلى حد دعوى الطائفية.

وهكذا ألف في العقائد محدثُ العصر الشيخ عبد الحق الدهلوي (١٠٥٢هـ) كتابه «تكميل الإيمان» باللغة الفارسية، وقد طبعت ترجمته إلى اللغة الأردية باسم «تكميل الأذهان».

وباللغة الأردية ألفت كتب كثيرة في العقائد الإسلامية، من أولها كتاب الشيخ أبو محمد عبد الحق الحقاني (١٣٣٥هـ) وشيخ الحديث والتفسير مولانا محمد إدريس الكاندهلوي (١٣٩٤هـ)، وفي كتابيهما القيمين نفعٌ كبيرٌ لأهل هذا الفن، ولم نجد في هذه الكتب مباحث طويلة في البدعة في الفروع، ولقد جاء في المثل السائر: كم ترك الأول للآخر.

الانتساب إلى الأشاعرة والماتريدية

الإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي كانا من أهل السنة والجماعة، وكان بين السنة والمعتزلة نزاع اعتقادي، حيث استدنت المعتزلة على العقل، وأنكروا حجية الحديث وخبر الآحاد، وحاولوا أن يجدوا السبب الطبيعي وراء المعجزات.

وأثبت أهل السنة العقائد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وكان المحدثون والفقهاء على منهج أهل السنة والجماعة.

وهكذا الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة في معتقداتهم، مع أنهم استخدموا أسلوب المعتزلة وطريقتهم في الرد عليهم وهزموهم في كل قضية ومسألة بحجج عقلية، فلذلك لم تنجح المعتزلة في محاولتهم أن يدخلوا الاعتزال في عقائد أهل السنة. فأهل السنة اتخذوا طريق التوافق بين العقل السليم والنقل الصحيح، وهذا كان ثمرة جهود المتكلمين في ردودهم على المعتزلة وغيرهم، فمن جاء بعدهم من المتكلمين سواء كان النسفي أم التفتازاني (٧٩١هـ) كانوا أقرب إلى السنة.

نعم، قد بالغ بعض أهل الحديث في كراهيتهم للمتكلمين، ولكن يُعلم أن جبال هذا العلم وأئمته أمثال: الحافظ ابن تيمية، والحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) كانوا يعترفون بنصرة الأشاعرة والماتريدية ويعتبرونها من نصرة السنة وأهلها.

قال الحافظ ابن تيمية:

«وكان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون: إنهم يحتجون بالعقل لما عرف ثبوته بالسمع، فالشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين والعقل عاضد له معاون»[١].

فعلم من قوله هذا أن جهود الإمام أبي الحسن الأشعري ومن سلك نهجه جديرة بالثناء، حيث إن أساس العقائد عندهم الكتاب والسنة، واستخدموا العقل معاونًا لهم في حججهم.

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل»: ٢/ ١٣.

قال الحافظ ابن تيمية في مقام آخر:

«ولهذا قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة»: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها هو التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وبما روي عن الصحابة والتابعين وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل»(١).

فيعلم من هذا أن الإمام أبا الحسن الأشعري لما كان يستدل بالعقل في دفاعه عن الكتاب والسنة كان له معرفة تامة بهما، فإن لم يكن ذلك فلا يمكن له أن يقيم الحجة على المعتزلة وليس عنده معرفة بالكتاب والسنة.

وتتضح معرفته بالقرآن والسنة أكثر عندما أشار إلى موقفه من رؤية الله تعالى في الآخرة ردًّا على المعتزلة حيث قال:

«خالفوا روايات الصحابة ﷺ عن نبي الله ﷺ في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات، وتواترت بها الآثار، وتتابعت بها الأخبار»(٢)، فتظهر من قوله هذا معرفته الواسعة بالسنة.

فبعد كل هذا، لا يلتفت إلى قول بعض السلفية الذين يقولون: إن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة، معاذ الله.

يقول مولانا محمد إبراهيم مير سيالكوتي وهو من جماعة أهل الحديث ـ أي: جماعة أهل الحديث التي انتشرت في بلاد الهند ـ:

يوجد بين أهل السنة ثلاثة مذاهب في العقائد: ١ ـ الحنبلي، ٢ ـ الأشعري، ٣ ـ الماتريدي، وهكذا يندرج تحت هذه الثلاثة؛ المذاهب الفقهية الأربعة:

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل»: ٥/ ٦.

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة»: صـ١٤.

الحنابلة وأهل الحديث القدماء هم حنبلي المعتقد، المالكية والشافعية هم الأشاعرة، والحنفية هم الماتريدية[1].

وكتب عن الماتريدية:

«كان في زمن الإمام أبي الحسن الأشعري في منطقة ماتريد التي هي قرب سمرقند، ولد فيها الإمام أبو منصور محمد بن محمود الذي كان تلميذًا القاضي أبي يوسف ومحمد بن الحسن بواسطتين، ومثل الإمام أبي الحسن الأشعري قد ألف كتبًا ردًا على المعتزلة والقرامطة والروافض، وكان أساسه في العقائد النصوص الشرعية، وطريقة بيانه كانت الاستدلال العقلي، وقد اختلف مع الإمام الأشعري في بعض المسائل فلذلك أُسس له مذهب مستقل[2].

تنبيه: ليس من الضروري أن يكون جميع الأحناف ماتريدي المعتقد، فالقاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السمناني (٤٤٤هـ) ووالده كانا حنفيين فقهًا، وكان هو وأبوه من المغالين في مذهب الأشعريّ، هكذا نقل عنهم الحافظ ابن الأثير الجزري (٦٣٠هـ)، وهكذا يدرس في مدارسنا «شرح العقائد النسفية»، وصاحب المتن هو العلامة النسفي حنفيٌّ، والشارح هو العلامة التفتازاني شافعيٌّ، فهذا يدل على عدم وجود اختلاف أصولية عند الأحناف بين الأشاعرة والماتريدية، كما يقول مولانا محمد إبراهيم مير سيالكوتي: «الدارس هو حنفي والمدرس هو حنفي، والمدروس هو مذهب الأشعري فكأن حنفية اليوم فيهم أشاعرة أيضًا»[3].

---

(١) «تاريخ أهل حديث»: صـ٦٦.
(٢) «تاريخ أهل حديث»: صـ٦١.
(٣) «تاريخ أهل حديث»: صـ٦٦.

ولا يستغرب من ذلك، فقد قال عز الدين ابن الأثير الجزري:

«هذا مما يستطرف أن يكون حنفي أشعريًا»[1].

وكونهم من الأشاعرة والماتريدية لا يعني أنهم ليسوا من أهل السنة، كلا، بل كانوا يسمون أنفسهم ويعرفون أنفسهم بأنهم: أهل السنة. قال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه «شرح الفقه الأكبر»:

«صفات الله لاهي هو ولا غيره عند أهل السنة والجماعة ولا هي محدثة سواء كانت من صفات الذات أو من صفات الفعل».

العلامة الماتريدي كان يرى أن الله تعالى مستوي على العرش، لكنه كان ينفي علو الارتفاع والمسافة، وللأسف أن من يسمون أنفسهم أهل الحديث في هذا الزمان لم ينفوا الجهة لله تعالى ويثبتون الاستواء على العرش على ظاهر معناه ويلحقون أنفسهم بالمجسمة، علمًا بأن العلماء الراسخين منهم كانوا يرون تكفير من يقول بهذا.

وقد سلك علماء ديوبند هذا المنهج في مناقشاتهم مع الهندوس والنصارى الذين كانوا يأتون في وفودهم من بلاد بريطانيا وفرنسا إلي الهند ليدعو الناس إلى أديانهم الباطلة، ولكن العلماء غلبوا عليهم من جميع الجهات، لذلك بقيت عقيدتهم في مسائل الصفات موافقة بعقيدة السلف الصالحين منهم: الإمام أبو حنيفة، والإمام أحمد، والإمام الطحاوي ﷺ.

قال شيخ الإسلام العلامة شبير أحمد العثماني (١٣٦٩هـ) في كلامه عن صفات الله تعالى:

«ينبغي الاعتقاد بأن قدرة الإبصار موجودة في ذاته تعالى، وحاصله ـ يعني:

---

(١) «الكامل في التاريخ»: ٨/ ٢٥٠

العلم الذي يحصل بالرؤية ـ موجودٌ في ذاته تعالى بدرجة الكمال، أما السؤال عن كيفية الرؤية فيعلم أنها ليست كالإنسان ولا نقول إلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وليست هذه القاعدة للبصر والسمع فقط، بل جميع صفاته ينبغي أن يفهم هكذا أنها ثابتة في نفسها، لكن كيفيتها ليست معروفة، ولم يكلف الله العباد بالبحث عن بيانها وكيفيتها والخوض في حقائقها، أما الكلام عن الاستواء على العرش فكما ذكرنا سابقًا أنه لا يمكن أن تكون أي صورة فيها أدنى تشابه بين صفات المخلوق وصفات الخالق تعالى الله عن ذلك[١].

فهذا ما قاله شيخ الإسلام في بيان موقفه وموقف علماء ديوبند عمومًا، وكلامه يشبه ما قاله الإمام أبو منصور الماتريدي في «شرح الفقه الأكبر»:

«أما مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى على العرش علو عظمة وربوبية لا علو ارتفاع مكان ومسافة»[٢].

فلذلك لا إشكال من نسبة علماء ديوبند إلى الأشاعرة والماتريدية في المعتقدات فإن هذه النسبة هي في الأصل نسبة إلى أهل السنة والجماعة، ونفي ظاهر المعنى في صفات الله تعالى من باب الحفظ على أن يقع الناس في التشبيه والتجسيم، ولا تعارض بين علو العظمة وبين مذهب التفويض.

وهذا الكتاب الثمين المسمّى بشرح العقيدة الطحاوية لحكيم الإسلام الشيخ القارئ محمد طيب - قدس الله سرّه - المدير السابق لدار العلوم ديوبند

---

(١) «الفوائد التفسيرية»: ١/ ٤٩٦.

(٢) «شرح الفقه الأكبر»: صـ٢٥.

الذي بين يديك الآن، وهو ما ألفه بعد قرار مجلس الشورى بدار العلوم ديوبند، وقد اهتم تلميذي العزيز الحافظ محمد عمار سليم المدني خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بإخراج هذا الكتاب وتحقيقه ونشره وقد سرَّني ذلك كثيرًا داعيًا له بالقبول والتوفيق، وأسأل الله أن يجزي الشارح والناشر خير الجزاء ويجعل ذلك في موازين حسناتهما.

والله أعلم وعلمه أتم، والسلام خير الختام

القاضي د. خالد محمود

رئيس الأكاديمية الإسلامية بمانشستر

تقريظ

الشيخ محمد سفيان بن محمد سالم القاسمي

رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند، الهند

إن العقائد الإسلامية الصافية من لوثات الشرك والوثنية، والخرافات العقلية من عظيم نعم الله تعالى على عباده المؤمنين، فالعقائد الإسلامية هي القضية الأم، التي تتوقف عليها سعادة الدنيا والآخرة، وهي أساس متين للدين الإسلامي، إن سرى فيها ضعف وخور تضعضع البنيان الإسلامي وتصدَّع الكيان الإيماني.

وفي ظل الاتجاهات الهدامة والانحرافات الفكرية التي اجتاحت المجتمع الإسلامي في هذه الأيام يجب أن يبذل العلماء والدعاة والمسلمون الغيارى على دينهم اهتماما بالغا بهذه القضية العقدية، ليقيموا سدا منيعا أمام طوفان الردة واللادينية.

ولأهمية هذه القضية اهتم علماء الإسلام قديمًا وحديثًا بوضع مؤلفات قيمة ما بين صغير وكبير في موضوع العقيدة الإسلامية، ومن الكتب العقائدية التي لقيت شعبية واسعة كتاب العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد الطحاوي (٢٣٨هـ ــ ٣٢١هـ)، وهو كتاب مفيد جدًا، حيث يذكر العقائد الإسلامية بأسلوب مبسط، يجعل حفظها ووعيها سهلًا على الناشئين.

كتاب العقيدة الطحاوية كتاب مُدْرَج في المقررات الدراسية للمدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية، ومازال موضع عناية واهتمام من قبل العلماء والمدرسين، حيث قاموا بتدريسه وشرحه والتعليق عليه، ومن أهم التعليقات العربية على الكتاب تعليق الشيخ حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي، فهذا التعليق اشتمل على معان قيمة، تغني عن مراجعة الشروح الأخرى، ثم هو صادر بقلم العالم الجليل الذي تميز بالتبحر في العلم، والسعة في الاطلاع، والوسطية في الفكر والنقد، ألا وهو الشيخ حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، ومؤسس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، الذي ترك في شرح الفكر الإسلامي وقيادة الملة الإسلامية آثارًا بارزة في شبه القارة الهندية، وكان بالنسبة إلى علمه الغزير وصلاحه المغبوط وفكره الوسطي وجهوده المشكورة في مجال العمل الإسلامي إمامَ أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية، وقد تناول كتاب العقيدة الطحاوية بتعليق موجز مفيد، أودعه مباحث عصرية نفيسة، ورد على أهل البدع والضلال بشكل مقنع.

وبين يديَّ الآن مجهود قيم، يتعلق بتعليق الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، قام به الأستاذ محمد عمار سليم المدني مقيم المدينة المنورة ـ على منوِّرها ألف ألف تحية وسلام ـ، فكتاب العقيدة الطحاوية مع هذا التعليق القيم لم يكن يوجد في البلاد العربية، فأخذ الأستاذ على نفسه طباعة هذا الكتاب مع تعليق الشيخ بتحقيق وتخريج.

وقــد تصــفحت الكتــاب ونظــرت فــي أعمــال الأســتاذ فــي التحقيــق والتخــريج فســررت بهــا كثيــرًا، ودعــوت الله لــه الســداد والتوفيــق، كمــا أســأله ســبحانه أن يتقبــل هــذا المجهــود القــيم، ويجعلــه خالصًــا لوجهــه الكــريم، والله الموفق وهو المستعان.

محمد سفيان القاسمي

رئيس الجامعة الإسلامية

دار العلوم وقف ديوبند

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الهدى، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واتقى،

أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولزوم السنة والجماعة من الأمة المحمدية، لقوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقد وقع في هذه الأمة المرحومة ما وقع من التفرق والابتداع في الدين بسبب عدم التمسك بالكتاب والسنة، أو الادعاءات الكاذبة للتمسك بهما، كما وقع في غيرها من الأمم السابقة، وقد أخبرنا النبي ﷺ بذلك.

وقد ألَّف العلماء النجباء كتبًا كثيرةً جليلةً في العقائد الإسلامية، بيَّنوا فيها ما أنزل الله تعالى في القرآن الكريم، وما نطق به الرسول الرحيم ﷺ، وهو محفوظٌ في دواوين السنة، وقد بذلوا جهدهم في إبطال العقائد الباطلة المخالفة لأهل السنة والجماعة، سواءٌ كانت هذه العقائد في حق الله تعالى، أو نبيه ﷺ، أو دينه المحفوظ إلى يوم الدين.

ومن المؤلَّفات القيمة في هذا الفن، متنٌ صغيرُ الحجمِ، كبيرُ النفعِ، عظيمُ

القدرِ ألا وهو «**بيان عقيدة أهل السنة والجماعة**» المعروف بـ «**العقيدة الطحاوية**» للإمام المجتهد، الفقيه المحدث، أبي جعفر أحمد بن سَلَمَة الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد تلقَّتِ الأمة هذا المتن المبارك بالقبول، واعتنى العلماء بشرحه اعتناءً بالغًا في جميع البلدان والأزمان.

وممن اعتنى به من العلماء المعاصرين، العلامة القارئ المقرئ الشيخ محمد طيِّب القاسمي النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث شرحه شرحًا طيبًا، وهذا الشرح هو الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم، وقد أجاد الشيخ فيه وأفاد، فهو شرحٌ نافعٌ، ومختصرٌ جامعٌ، وهذا هو السبب لأن يكون الكتاب مختارًا للتدريس والمدارسة في كثير من المدارس في أنحاء العالم.

ولحسن هذا الكتاب، وجودته وتفرده من حيث ذِكر الأدلة النقلية دون الإطالة في التفاصيل، وهذا الذي قصده المؤلف حينما قرَّر مجلس الشورى في ديوبند أن يدخلَ هذا المتن في مقرراتهم في الجامعة، لمَّا وقفتُ عليه عزمتُ على نفسي بخدمته، ونشره في البلاد العربية، مع ضبْط كلماتِه، وتخريج أحاديثِه، وتحقيق مباحثِه، دون أن يطول الكتاب، لينتفع به العالمُ الإسلامي شرقًا وغربًا. كما كان دأب شيخ شيوخي، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قام بخدمة تراث علماء شبه القارة الهندية خدمةً علميةً قيمةً.

الطبعات السابقة للكتاب

كان هذا الكتاب قد طبع ثلاث طبعات:

الأولى: عند فراغ المؤلف من تأليفه، ورمزها (ب).

والثانية: أعيدت الطباعة مع الزياداتِ في تراجمِ الأئمةِ الأعلامِ، والتفصيلِ

في بيان منهج أهل السنة والجماعة، وبعض التصحيحات، وأضافت إليها مقدِّمة المؤلف، ورمزها (ج).

والثالثة: تمت تنضيد الطبعة الثانية بالحاسوب، ولكنها طبعتْ مع إسقاط مقدمة المؤلف، وهذه الطبعة هي أكثر انتشارًا، مع ما فيها من الأخطاء المطبعية.

فهذه الطبعة هي التي اعتمدتُ عليها؛ وهي الأصل، ورمزها (أ).

وكلّ من هذه الطبعات لم تطبع باسم للكتاب، فلعل الشيخ لغرض ما، لم يسمِ الكتاب باسم خاص، فسمَّيتُه بـ «**شرح العقيدة الطحاوية**».

وقد ألحقتُ في نهاية الكتاب رسالتَين نافعتَين بقلم المؤلف، الأولى هي المسماة بـ «**مباني الخلافة، والسياسة الدينية، وغاياتها**» وهي التي كانت تلحق بالكتاب في الطبعات المتأخرة، فقد ألفَّها في رسالة مستقلة لأهمية موضوعها وقد أشار إلى ذلك في أثناء شرحه.

والثانية المسماة بـ: «**صلة السنة بالقرآن الكريم**» وهي التي قدمها المؤلف بحثًا في المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، المنعقد في الدوحة بدولة قطر، في ٥ محرم الحرام سنة ١٤٠٠هـ[١]، وألحقتها في نهاية الكتاب لكون الموضوع في غاية الأهمية، وله صلة خاصة بموضوع الكتاب؛ حيث إن إنكار حجية الحديث الشريف والسنة النبوية المطهرة هدمٌ لمباني العقائد والأحكام الإسلامية تمامًا.

---

(١) والشكر موصولٌ لأخي الحبيب، مدير مجمع حجة الإسلام، محمد شكيب القاسمي الذي أرسل لي هذه الرسالة بعد أن شرعت في ترجمتها من الأردية إلى العربية ووصلت إلى نصفها، ثم عند حصولي على هذا قرَّرت أن أخدم الرسالة التي نقلها المؤلف نفسه إلى اللغة العربية بدلًا من أن أخدم جهدي المتواضع، فإذا وجد الماء بطل التيمم.

عملي في هذا الكتاب:

١- إثبات النص كما وضعه المؤلف ـ قدر الاستطاعة ـ، وتصحيح ما وقع في المطبوع من الأخطاء المطبعية، أو الإملائية، أو ما وقع فيه من تصحيف أو سقط من النص، فصححتُها ولم أنبه عليها في الحواشي لئلا أثقل الكتاب بكثرة الحواشي، لأن الغرض الأصلي ليس أن يكون هناك دراسة نقدية كاملة عن الكتاب وطبعاته السابقة، بل إخراج الكتاب حسبَ القواعد الإملائية الحديثة.

٢- جعلتُ متن الطحاوي في أعلى الصفحة، وفصلتُ بينه وبين الشرح بالخط.

٣- عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها، وجعلتها بين قوسين مزهَّرين هكذا ﴿...﴾، بذكر اسمِ السورة ورقمِ الآية بين معكوفتين هكذا [:].

٤- خرجتُ الأحاديث النبوية الشريفة التي وردتْ في الكتاب، وأثبتُّ متنها من المصادر الأصلية، وذلك لأن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن يورد الحديث من حفظه، فلا يسوق ألفاظه برمَّتها، بل يتصرف فيه ويسوقه بمعناه، فأثبته من المصادر، حتى يُصحح ما قد يقع من خطإٍ، وجعلتُها بين علامة التنصيص هكذا «» وذلك مع ذكر المصدر في الحاشية وَفْقَ المنهج التالي:

- إذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيتُ بعزوه إليهما أو إلى أحدهما إن انفرد.

- وإن لم يرد فيهما، فخرّجتُه من السنن الأربعة، مع ذكر كلام صاحب الكتاب على الحديث إن ورد[١].

---

(١) من اللطائف ما نُقل عن الإمام الحافظِ علاء الدين مغلطاي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى ٧٦٢هـ قوله: «ليس لمحدث أن يعزو حديثًا لغير أصحاب الكتب الستة وهو فيها، إلا أن تكون فيه زيادة أو شبهها أما إذا لم يكن كذلك، فلا يجوز إلا عند من لم يكن محدثًا». انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» ١/ ١٩١.

- وإن لم يرد الحديث في الكتب الستة، فخرجتُه من المصادر الحديثية الأخرى، واكتفيتُ بذكر مصدر أو مصدرين حسب المقام، لئلا تثقل الحواشي.

- أكتفي بتخريج الحديث من موضع واحد من كل كتاب، ولو ورد في أكثر من موضع في ذاك الكتاب، وذلك أيضًا اجتنابًا لإثقال الكتاب بالحواشي.

- قد ذكر المؤلف المصدر عقب بعض الأحاديث وهي قليلة، فخرجتُها من المصدر الذي ذكره المؤلف مع المصادر الأصلية.

- ذكرت اسم الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث إذا كان من الكتب الستة، وما عدا ذلك، ذكرت رقم الحديث أو الجزء والصفحة فقط.

٥- خرجتُ النصوص والآثار، وعزوتها إلى أقدم المصادر قدر الاستطاعة. ولم أخرج أي نقلٍ وردتْ فيه ترجمة الأئمة؛ أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والطحاوي، وذلك لأنني قد قمت بتخريج جميع النقول من مصادرها الأصلية أولًا، ثم صدر عن دار الفتح ترجمة أئمة الأحناف بقلم الإمام زاهد الكوثري بعناية د. حمزة البكري، فقد اعتنى به اعتناءً بالغًا وخرج جميع الأقوال الواردة في الترجمة، وهو أوسع وأشمل الكتب في ترجمة هؤلاء الأعلام، فحذفتُ ما بذلتُ من جهدي فإن تحقيق البكري يفي بالغرض.

٦- ترجمتُ للشارح ترجمة موجزة، مع ترجمة بعض مشايخه.

٧- ترجمتُ ترجمة وجيزة لغير المشهورين الذين ورد ذكرهم في الكتاب، دون الذي ترجم لهم الشارح.

٨- علقتُ في بعض المواضع تعليقًا مختصرًا، حسب ما أراه مناسبًا، سببًا وعونًا ـ بإذن الله تعالى ـ على سهولة فهم المسائل وإدراكها، وهذا نادرٌ.

٩- أضفتُ في بداية الكتاب، نسخة متن العقيدة الطحاوية التي اعتنى بطباعتها ونشرها العلامة الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، ليسهل حفظه لطلبة العلم والمتخصصين[٢].

١٠- أَلحقتُ في آخر الشرح رسالتين للمؤلف كما أشرت إليه آنفًا.

١١- اهتممتُ بأن أترضى عن كل صحابي وأترحم على كل من جاء بعد الصحابة ـ وإذا كرِّر اسمهم في مكانٍ واحدٍ اكتفيت بمرة واحدة ـ ، خلافًا لما يظنه البعض من عدم الحاجة إلى ذلك، لئِلا أدخل تحت قول الإمام أبي محمد التميمي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ، المتوفى ٤٨٨هـ: «يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا»[٣].

١٢- قمتُ بصنع الفهارس التفصيلية، وهي:

ـ فهرس المصادر والمراجع.

---

(١) وهو الشيخ الكبير المفتي الأعظم في بلاد باكستان سابقًا، العلامة محمد شفيع العثماني رَحِمَهُ اللَّهُ. ولد في عام ١٣١٤هـ وتوفي سنة ١٣٩٦هـ. له دورٌ مهمٌ في تأسيس دولة باكستان مع رفقائه. كَتب عنه رسالة علمية نافعة الأخ الفاضل د. محمد شكيب القاسمي بعنوان «الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني فقيها للنوازل والواقعات».

(٢) وهو اعتمد على النسخة التي طبعت في مطبعة جامعة قزان عام ١٣١١هـ - ١٨٩٣م، وهي تقع في ١٠ صفحات، ومعها شرح المتن للشيخ عمر بن إسحاق الهندي. وقد طبعت بنفقة عالم جان البارودي.

(٣) انظر «الإلماع»: صـ٣٠٢. وقد عقد إمام المحدثين، شيخ الإسلام والمسلمين، الإمام يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، المتوفى ٦٧٦هـ فصلًا في مقدمة شرح «صحيح مسلم» فيما يستحب لكاتب الحديث أن يكتب إذا مر بذكر الله أن يكتب عز وجل أو ما أشبه ذلك، وعند ذكر النبي: ﷺ لا رامزًا إليه، ويقول في الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء الأخيار، ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوبًا في الأصل الذي ينقل منه، فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء.

- فهرس الآيات القرآنية.

- فهرس الأحاديث النبوية.

- فهرس الموضوعات التفصيلية.

أخيرًا أقدم جزيل الشكر إلى كل من ساعدني على إخراج هذا الكتاب، وكيف لا؟ وقد قال النبي ﷺ: **«من لم يشكر الناس، لم يشكر الله»**، فأخص بهذا الشكر: الوالدَين الكريمَين العزيزَين اللذَين لم يتركا في حياتهما لحظة إلا وهما في اهتمام بتربيتي على الدين القويم، وسهرا الليالي على راحتي، وأنفقا ما كان لديهما لتحسن حياتي، فماذا أقول إلا: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأيضًا خالص الشكر للزوجة الصالحة التي صبرتْ أثناء عملي في الكتاب، وضحَّت من وقتها فيما قدمت من الخدمة لي، وفيما ساعدتني في مقابلة المنسوخ مع الأصل وغيرها من الخدمات، فجزاها الله خيرًا. فلهم ولغيرهم مني الشكر الجزيل.

فأسأل الله جل جلاله وعم نواله، بفضله وجوده ومنه وكرمه، أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأسأله جل وعلا أن يغفر لنا، ولوالدِينا، ولمشايخِنا، ولأزواجِنا، ولأولادِنا، ولأهلِينا، ولكل من له حق علينا، وللمسلمين أجمعين - آمين يا رب العالمين.

وأخيرًا: أرجو منك - أيها القارئ الفاضل - أن تشرفني بتنبيهاتك ونصائحك، والدين كله نصيحة، على ما وقع من خطإٍ في الكتاب فهو مني ومن الشيطان، وما كان فيه من صوابٍ فهو من الله تعالى وفضله.

وما كُنتُ أهلًا للذي قَدْ كتبْتُهُ   وإنِّي لفِي خوفٍ من الله نادمُ
ولكنَّنِي أرجُو منَ اللهِ عفْوهُ   وإني لِأهلِ العلمِ لا شكَّ خادمُ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

خادم العلم والعلماء

محمد عمار سليم المدني

مقيم المدينة المنورة الشريفة

١٢ ربيع الأول ١٤٣٨هـ

ترجمة المؤلف

اسمه، ونسبه، ونسبته، وكنيته:

هو حكيم الإسلام والمسلمين، وارث العلوم القاسمية، الإمام الكبير، الفقيه المفسر، الشاعر الخطيب، الواعظ المؤرّخ، الورع الزاهد، الصوفي البصير، المرشد القائد، القارئ المقرئ، الشيخ، أبو سالم، مولانا محمد طيِّب بن محمد أحمد بن محمد قاسم القاسمي، النانوتوي نسبةً، الديوبندي مولدًا وموطنًا، الصديقي نسبًا، الماتريدي عقيدةً، والحنفي مذهبًا ومسلكًا، رحمه الله رحمة واسعة، ورضي عنه وغفر له، وجعل قبرة روضه من رياض الجنان وجمعنا به دار كرامته.

والده:

هو فضيلة العلامة، الشيخ الفاضل، الحافظ مولانا محمد أحمد بن محمد قاسم النانوتوي الديوبندي رَحِمَهُ اللهُ.

ولد في عام ١٢٧٩هـ في مدينة نَانَوتَه ونشأ فيها.

أرسله والده للتعليم الابتدائي إلى غُلَاوتِهي بمديرية بُلَند شَهر، ودرس في مدرسة منبع العلوم التي أسسها والده، عند الشيخ مولانا عبد الله الأنبهيتوي رَحِمَهُ اللهُ، ثم انتقل إلى مرادآباد، ودرس عند الشيخ مولانا أحمد حسن الأمروهي رَحِمَهُ اللهُ، وبعد دراسته عنده التحق بدار العلوم ديوبند، وأخذ بعض دروس «جامع الترمذي»

من شيخ الهند الشيخ الإمام مولانا محمود حسن الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم ذهب إلى قطب الإرشاد، الإمام الرباني الشيخ مولانا رشيد أحمد الكنكوهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] وأخذ عنه «تفسير الجلالين»، و«تفسير البيضاوي»، و«الكتب الستة» المشهورة، وبعد فراغه من التعليم، عين مدرسًا في دار العلوم في سنة ١٣٠٣هـ ودرَّس فيها «تفسير الجلالين»، و«مشكاة المصابيح»، و«سنن ابن ماجه»، و«صحيح مسلم» لمدة عشر سنين.

ثم في سنة ١٣١٣هـ اعتزل الحاج محمد عابد عن منصب المدير، فعين مديرًا بدار العلوم، وقد كان نعم المدير، وقضى الأمور الإدارية بأحسن طريقة، حيث ترقت دار العلوم تحت إدارته ترقية عظيمة، وبدأ العالم يتوجه إليها، وفي سنة ١٣٤١هـ صدر الأمر بتعيينه مفتيًا عامًّا لولاية حيدرآباد من قبل أميرها، فمكث في هذا المنصب مفتيًا قاضيًا راشدًا مرشدًا لمدة ثلاث سنين، ثم طُلب منه البقاء، فقبل، لكن مرض في تلك المدة فرجع إلى بلدته.

فكان يعرف بأنه يحل أصعب المشكلات بحسن كلامه وحكمته البالغة وموعظته الحسنة.

---

(١) هو الإمام الرباني، قطب الإرشاد، فقيه الملة، العلامة المفتي، مولانا رشيد أحمد الكَنْكُوْهِي الأيوبي الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من كبار مشايخ العالم الإسلامي في عصره. ولد في عام ١٢٤٤هـ وهو من أصحاب الإمام محمد قاسم النانوتوي، ورفيقه في أيام الدراسة وما بعدها. درس عند الشيخ مولانا مملوك العلي والشيخ عبد الغني الدِّهْلوي، وله خدمة جليلة في تأسيس دار العلوم ديوبند. له مؤلفات عديدة، منها: «هداية الشيعة»، و«إمداد السلوك»، و«زبدة المناسك»، و«هداية المعتدي»، و«سبيل الرشاد»، و«تصفية القلوب»، وأيضًا جُمعتْ إفاداته على «صحيح البخاري» باسم «لامع الدراري»، وعلى «صحيح مسلم» باسم «الحل المفهم»، وعلى «جامع الترمذي» باسم «الكوكب الدري»، وعلى «سنن النسائي» باسم «الفيض السمائي». توفي في سنة ١٣٢٣هـ ودفن في بلدته كنكوه.

في سنة ١٣٢٨هـ عقد حفلة كبيرة، لم ير مثلها في تاريخ الهند، لخريجي دار العلوم، وحضر فيها ألوف من متخرجيها، وأهدى لكل واحد منهم جائزة قيمة.

توفي هذا العالم الجليل، والزعيم العظيم، في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ بنظامآباد، ودفن في المقبرة التي تسمى بخطة الصالحين في نظام آباد.

جده:

وهو حجة الإسلام والمسلمين، مجدد العصر، غزالي الزمان، فخر الملة، أستاذ العلماء والصلحاء، جامع المعقول والمنقول، قاسم العلوم والخيرات، الإمام الأصولي، المتكلم المحدث، الفقيه المجاهد، مولانا محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه الصديقي النانوتوي نور الله مرقده، وطيب آثاره، وأعلى درجاته.

ولد في عام ١٢٤٨هـ في مدينة نانوته، ونشأ في سهارنفور.

بدأ التعليم على يد الشيخ محمد نواز السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم سافر إلى دهلي وجلس عند الشيخ الكبير مولانا مملوك العلى النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودرس عنده جميع الكتب الدراسية من علوم شتى، ثم لازم الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودرس الحديث الشريف عنده، وقرأ أيضًا على الشيخ أحمد علي السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واتخذ الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي العمري التهانوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخًا له في التصوف وتزكية النفوس[1].

---

(١) قد كُتبت ثلاثة بحوث قيمة في تحقيق أسانيد الإمام النانوتوي بقلم الأخ الفاضل شمس الدين الصديقي، الأول منها باسم: «الإمام محمد قاسم النانوتوي وأسانيده السماعية في الحديث»، والثاني: «تحقيق سند الإمام محمد قاسم النانوتوي لـ«صحيح البخاري»»، والثالث: «تحقيق سند الإمام محمد قاسم النانوتوي لـ«صحيح مسلم»»، وهي منشورة في موقع شبكة المدارس الإسلامية.

بعد ملازمة طويلة عند الشيخين المذكورين، عمل في المطبعة الأحمدية للشيخ أحمد علي السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ، وهو حينئذ مشتغلٌ في تحشية «صحيح البخاري»، فأمر الشيخ النانوتوي أن يكمل التحشية للأجزاء الأخيرة من الصحيح(١).

فتح الله على هذا العلامة فتوحات كثيرة من الحقائق والمعارف، فكان يشرح أصعب المسائل بعبارات يسيرة ومختصرة، وكان ماهرًا عالمًا تامًّا في تبيين الأسرار والحِكم الإسلامية وإخراج النكات العلمية الدقيقة، وكان عالمًا كبيرًا في علم المنطق، وقد بذل جهده في الرد على جميع الفرق التي تكلمت في الإسلام؛ من اليهود، والنصارى، والهندوس، والروافض وغيرهم.

وإنجازه الأكبر الذي أيّد به الإسلام والمسلمين في العالم هو تأسيس الجامعة الإسلامية العظيمة التي لا تغيب عنها الشمس في ١٥ من محرم الحرام عام ١٢٨٣هـ، وهي معروفة بـ «دار العلوم ديوبند». تُدرَّس فيها العلوم الشرعية الصحيحة وَفْقَ المنهج الذي مضى عليه جماهير علماء أهل السنة، وتخرج فيها ألوف بل ألوف الألوف من العلماء الربانيين الراسخين في العلم، الذين انتشروا في العالم، ونفعوا المسلمين في مجالات مختلفة، وهي مدرسة شرعية أسست على التقوى، فأبقاها الله تعالى إلى يومنا هذا، ونفع بها المسلمين شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا.

توفي هذا القائد الكبير والعالم الجليل بعد صلاة الظهر في ٤ من جمادى

---

(١) قد اختلف المؤرخون في تحديد هذه الأجزاء الأخيرة، فقيل: الأجزاء الخمسة الأخيرة، وقيل: الأربعة، وقيل: الثلاثة، والراجح ـ والله أعلم وعلمه أتم ـ هي الأجزاء الثلاثة الأخيرة من باب: المحاربين من أهل الكفر والردة، في كتاب الحدود، من حديث رقم: ٦٨٠٢. وهذا الذي رجَّحه شيخنا الشيخ مولانا محمد يونس الجونفوري رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ كما نقل عنه الشيخ عمر فاروق اللوهاروي والشيخ المحقق نور الحسن راشد الكاندهلوي، ولم ينشر بعد ذلك من تحقيقٍ جديدٍ لشيخنا الجونفوري.

الأولى سنة ١٢٩٧ هـ، ودفن عند دار العلوم في المقبرة التي تسمى بالمقبرة القاسمية، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

له مؤلفات مختلفة أغلبها باللغة الأردية وبعضها باللغة الفارسية؛ منها: «قِبْلَهْ نُمَا» أجاب فيه الشيخ على شبهات المدعي أن لا فرق بين من يعبد الأصنام ومن يعبد الأحجار ويريد بها الكعبة، و«آبِ حَيَات» كتاب ألف على لسان المنطق، ووضح فيه مسألة حياة النبي ﷺ في قبره المبارك والبرزخ، و«تحذير الناس» أثبت فيه مسألة ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، وشرح الآيات التي تتعلق بهذه العقيدة الأساسية، وشرَحه على طريقة دقيقة علمية لم يسبق إليها العلماء المتقدمون، وللأسف الشديد بعض من المتأخرين لم يفهموا الكتاب؛ لشدة صعوبته، وقلة علمهم ومعرفتهم، فرموا عليه الاتهامات الكاذبة، فما لنا إلا أن نقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، وله أيضا «الأسرار القرآنية» رسالة مختصرة باللغة الفارسية، فسّر فيها عددًا من الآيات التي أشكلت على بعض الناس، وله «هدية الشيعة» أجاب فيه الشيخ عن الأسئلة التي أرسلها إليه زميله ورفيقه الإمام الرباني الشيخ الكنكوهي من شبهات الشيعة الروافض.

مولده

ولد الشيخ في شهر محرم الحرام عام ١٣١٥هـ في مدينة ديوبند، بمنطقة سهارنفور في ولاية أتر برديش في الهند.

نشأته العلمية

كانت من أمنية والده أن يكون ابنه عالمًا جليلًا ربانيًا، فربَّاه تربية صالحة إسلامية إيمانية ربانية، وكان أمنيته أن يتعلم ابنُه القرآنَ الكريمَ ويحفظه عند مدرس

حافِظ قارئ، يجيد قراءة القرآن بالإتقان والتجويد، فطلب من الشيخ مولانا القارئ عبد الوحيد خان الإلهآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] أن يسكن معهم في بيتهم، ويقوم بتحفيظ ابنه القرآن الكريم، فختم الشيخ حفظ القرآن الكريم في عام ١٣٢٦هـ.

وفي عام ١٣٢٧هـ بدأ الشيخ التعليم في شعبة اللغة الفارسية ودرس جميع الكتب الدراسية التي تدرس في ذاك الوقت لإتقان اللغة الفارسية عند الشيخ مولانا محمد ياسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]، فدرس الفارسية لمدة ثلاث سنين، وبرَّز فيها، حتى لما سافر إلى أفغانستان في عام ١٣٥٨هـ ألقى جميع الدروس والمحاضرات باللغة الفارسية.

ثم بدأ بتعلم اللغة العربية في عام ١٣٣٠هـ، وقد أصر الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يبدأ هو بتدريس الشيخ اللغة العربية، فدرَّسه بعضَ الكتب. ودرس المنطق عند الشيخ مولانا إبراهيم البلياوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودرس كتب الفقه وأصوله عند عدة مشايخ، منهم: مولانا نبيه حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومولانا عبد السميع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومولانا غلام رسول رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشيخ الأدب مولانا إعزاز علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكانت سنة ١٣٣٧هـ هي السنة الأخيرة من الدراسات التي تسمى دورة الحديث، وتُدرس فيها كتب الحديث المختلفة، فدرس «صحيح البخاري» و«جامع الترمذي» عند محدث العصر العلامة أنور شاه الكشميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«صحيح مسلم» عند والده الشيخ مولانا محمد أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«سنن أبي داود» و«شرح معاني الآثار»

---

(١) الشيخ مولانا القارئ عبد الوحيد خان إلهآبادي، وقد قرَّر مجلس الشورى بدار العلوم في عام ١٣٢١هـ ببناء مبنى خاص لشعبة التجويد والقراءات في دار العلوم، فعُين مدرسًا فيها، وبقي على المنصب إلى وفاته في سنة ١٣٢٦هـ وكان المترجَم أول تلميذ تخرج في هذه الشعبة.

(٢) الشيخ مولانا محمد ياسين، والد الشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي، كان الشيخ يدرِّس في دار العلوم اللغة الفارسية من سنة ١٣٠٨هـ إلى أن توفي في سنة ١٣٣٥هـ.

عند الشيخ مولانا السيد أصغر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«سنن النسائي» عند الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«سنن ابن ماجه» و«الشمائل المحمدية» عند الشيخ مولانا غلام رسول خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«الموطأ» بروايتي الليثي والشيباني عند الشيخ المفتي عزيز الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فتخرج وتأدب وتعلم في دار العلوم وتخرج عالمًا فاهمًا متقنًا فاضلًا، وذلك في عام ١٣٣٧هـ، وكان عمره حينئذ ٢٢ سنة، ثم بعد فراغه من تحصيل العلوم فيها ذهب إلى المحدث العلامة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقرأ عليه بعض الأجزاء الحديثية، وقرأ عليه المسلسلات من رسالة الإمام الشاه ولي الله الدِّهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا سيما المسلسل بالأولية، والمسلسل بالمصافحة، والمسلسل بالماء والتمر مع الضيافة، وقرأ عليه أوائل الكتب الستة، وحصل منه على إجازة خاصة بتلك الكتب وعامة بجميع مروياته. وقد حصل على الإجازة من والده الشيخ العلامة محمد أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأيضًا من الشيخ عبد الله الأنبهيتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبايع أيضًا على يد الشيخ الإمام المجدد، حكيم الأمة، مولانا محمد أشرف علي التهانوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي عام ١٣٥٠هـ أجازه في سلاسل التصوف الأربعة، وهو الذي لقبه بـ «حكيم الإسلام».

اشتغاله بعد التخرج

بعد أن أتم دراسته عُين مدرسًا في دار العلوم، وبدأ بتدريس بعض كتب الفقه والحديث، وكان له درس من كتاب «حجة الله البالغة» للشاه ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من أنفع الكتب لفهم مقاصد الشريعة وأسرارها، مع أن عبارته صعبة جدًا، فكانت دروسه مشهورة ومعروفة.

ثم في عام ١٣٤١هـ قدم الشيخ مولانا سعيد الدين الرامفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو

عضو مجلس الشورى بدار العلوم ـ اقتراحًا أن يعين نائبًا مساعدًا للمدير، ذا علم وعمل، ونسب عال، ورغبة في ترقية دار العلوم. فبعد استشارات المجلس عين الشيخ في منصب نائب مدير دار العلوم، وكان الشيخ مولانا حبيب الرحمن العثماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينئذ مديرًا في دار العلوم، فمكث في هذا المنصب إلى أوائل شهر رجب سنة ١٣٤٨هـ عند وفاة الشيخ مولانا حبيب الرحمن.

بعد وفاة الشيخ مولانا حبيب الرحمن، وذلك في ٢١ شوال سنة ١٣٤٨هـ عيَّنه مجلس الشورى بدار العلوم مديرًا بعد استشارات استمرت ثلاثة أيام.

وقد سلك الشيخ طريقة والده، وقدّم خدمة عظيمة لا ينكرها أحدٌ لدار العلوم، وأجمعوا على عظيم خدمته مديرًا، وأثنى عليه العلماء خاصة والناس عامة، واشتهرت دار العلوم في العالم بدورها الكبير، وأمَّها الطلبة من الدول المختلفة.

أبرز الأعمال التي قام بها في أثناء إدارته:

وقد قام بخدمة دار العلوم مدة تزيد على خمسين عامًا على أتم وجهٍ وأحسن حالٍ، فهنيئًا له هذا المغنم الرابح، وخلال عهده تقدمت دار العلوم بشكل كبير، وشهد على حسن إدارته العالم كله، سواء في الجوانب الإدارية أو التعلمية، فشُهدتْ تحسينات كثيرة. سأذكر في هذا المقام بعض خدماته في هذا الباب على سبيل المثال لا الحصر:

- بدأ مشروع توسعة المسجد، وبناء الدور الثاني له في عام ١٣٤٩هـ.

- كانت دار العلوم معروفة بدورة الحديث الشريف التي يَدرسها الطلبة في آخر سنة دراسية فيها، فبدأ بدورة تفسير القرآن الكريم وكان يدرَّس فيها تفسيران مشهوران، «تفسير ابن كثير» و«تفسير البيضاوي»، وكان هذا في عام ١٣٥٠هـ.

– صدرتْ مجلة شهرية باللغة الأردية تُوزع في داخل الهند وخارجها، تشتمل على بحوث ومقالات بقلم مشايخ وطلبة دار العلوم، وهذا في عام ١٣٦٠هـ.

– بعد التماس الشيخ، رَفعتِ الوزارة قيد الدخول عن الطلاب الباكستانيين في عام ١٣٦٧هـ.

– افتتحتْ كلية الطب والمستشفى في عام ١٣٧٢هـ.

– صدرتْ مجلة شهرية باللغة العربية تُوزع في داخل الهند وخارجها، في عام ١٣٨٤هـ

– عقد الشيخ مؤتمرًا كبيرًا في دار العلوم، الذي اشتهر بـ(صَدْ سَالَهْ اِجْلَاسْ)؛ احتفالًا بمرور ١٠٠عام على تأسيس دار العلوم، وحضر في هذا الاحتفال المئوي جمٌّ غفيرٌ من العلماء والصلحاء والوزراء من داخل الهند وخارجها، ووُزعت الشهادات والجوائز على خريجي دار العلوم، وكان هذا في عام ١٤٠٠هـ.

– إنشاء لجنة مكونة من كبار علماء الهند، من جميع المسالك والمشارب، وغيرهم من أهل السياسة والقانون، ليدافعوا عن حقوق المسلمين في الهند، فمكث الشيخ رئيسًا للجنة حتى وفاته، وعقد لهم مؤتمرًا في دار العلوم.

– في سنة ١٤٠٢هـ أسَّس (دار العلوم وقف) بديوبند بعدما حصل من الاختلاف بين الأفراد في دار العلوم، ورأسه حكيم الإسلام إلى وفاته ثم قام على رئاسته نجله الأكبر الصالح التقي النقي الشيخ مولانا محمد سالم القاسمي حفظه الباري.

فمكث في هذا المنصب حتى وفاته، وبذل جهده في خدمة دار العلوم خاصةً، والمسلمين في الهند عامةً، ومن المعلوم أن عهده مديرًا لدار العلوم كان من أكثر الأزمنة نفعًا لدار العلوم، وانتفع به المسلمون شرقًا وغربًا.

شيوخه

الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندي

وهو البطل الشهير، شيخ المشايخ، أستاذ العلماء، مقدام الراسخين، جامع العلوم والفنون، قائد المسلمين، الشيخ الكامل، المحدث العظيم، الإمام مولانا محمود حسن بن ذو الفقار علي الحنفي الديوبندي رحمه الله. ولد في عام ١٢٦٨هـ في مدينة بريلي، ونشأ في وطن آبائه وهي مدينة ديوبند.

بدأ التعلم في دار العلوم ديوبند وهو أول طالب فيها، فمن أساتذته: الشيخ ملا محمود رحمه الله[١]، ومولانا محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله[٢]، وأخذ الحديث عن الشيخ العلامة الإمام مولانا قاسم النانوتوي رحمه الله وكان ملازمًا له ملازمة تامة لمدة طويلة، وانتفع به كثيرًا حتى برع في العلوم المختلفة، واتخذ الإمام الرباني، قطب الإرشاد، الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله شيخًا له في التصوف وتزكية النفوس.

وفي عام ١٣٠٥هـ أعطي منصب رئاسة التدريس في دار العلوم، وتخرج على يده ألوف من الطلبة، وكلهم أئمة في مجالاتهم، سواء كان في مجال التدريس، أو التبليغ، أو التصوف، أو السياسة، أو الجهاد، أو غير ذلك.

---

(١) هو الشيخ محمود الديوبندي، المعروف بـ ملا محمود. كان من زملاء حجة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي. وكان أول مدرس عين في دار العلوم ديوبند ويروى أن أول تلميذه هو الشيخ محمود حسن الديوبندي، فكانا يلقبان بـ المحمودين. قد أخذ الحديث الشريف عن الشيخ الشاه عبد الغني الدهلوي وساعده في تحشيته على «سنن ابن ماجه» المسمى بـ «إنجاح الحاجة». توفي هذا الشيخ العظيم في سنة ١٣٠٤هـ ودفن في المقبرة القاسمية بدار العلوم.

(٢) هو العالم الكبير، المحدث الشيخ، مولانا محمد يعقوب بن مملوك علي النانوتوي. ولد سنة ١٢٤٩هـ بيلدة نانوته، ودرس عند والده حيث كان مدرسًا في كلية دهلي. ثم انتقل إلى أجمير لمدة وقام بتدريس الطلبة هناك. ثم جاء إلى دار العلوم ديوبند ودرّس فيها مدة حياته. توفي في بلدة نانوته سنة ١٣٠٢هـ.

كان له جهد عظيم في تحرير بلاد الهند من الاحتلال البريطاني، وبذَل جهده ليستعين بالخلافة العثمانية، فلقي غالب باشا في مكة المكرمة، وأنور باشا وجمال باشا في المدينة المنورة، فلما عرفتْ الحكومة البريطانية بإرادته تحرير الهند، اعتقلته وسجنته في مالطا مع تلميذه الرشيد، فلبث في السجن نحو ثلاث سنين، راضيًا بقضاء الله، مشتغلًا بالذكر والعبادة.

توفي هذا الإمام، إمام الدنيا، وشيخ الهند في سنة ١٣٣٩هـ ودفن في المقبرة القاسمية، ولم يترك إلا مؤلفات قليلة، من أشهرها: ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردية مع الفوائد التفسيرية التي أكملها تلميذه الشيخ شبير أحمد العثماني، وأيضًا له رسالة يشرح فيه تراجم أبواب «صحيح البخاري» ولم يكملها.

الشيخ مولانا خليل أحمد السهارنفوري

هو المحدث الكبير، الفقيه الجليل، أستاذ العلماء، الشيخ، الإمام خليل أحمد بن مجيد علي الأنصاري السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في عام ١٢٦٩هـ في مدينة نانوته ونشأ في مدينة أمبيتهه.

بدأ التعلم في مدرسة مظاهر العلوم، ومن أساتذته الشيخ مولانا محمد مظهر النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ مولانا فيض الحسن السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم. وتخرج فيها في عام ١٢٨٨هـ.

بعد أن أتم دراسته فيها، أقام مدة في بهوبال، ثم سكندرآباد، ثم بهاول بور، ثم بريلي، مدرسًا مفيدًا، ثم أعطي منصب التدريس في دار العلوم ديوبند في عام ١٣٠٨هـ، ودرس فيها ست سنين ثم انتقل إلى مدرسة مظاهر العلوم بأمر شيخه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأعطي منصب رئاسة التدريس فيها، وبقي في هذا المنصب إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة الشريفة للإقامة في طيبة الطيبة.

شيوخه

الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندي

وهو البطل الشهير، شيخ المشايخ، أستاذ العلماء، مقدام الراسخين، جامع العلوم والفنون، قائد المسلمين، الشيخ الكامل، المحدث العظيم، الإمام مولانا محمود حسن بن ذو الفقار علي الحنفي الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في عام ١٢٦٨هـ في مدينة بريلي، ونشأ في وطن آبائه وهي مدينة ديوبند.

بدأ التعلم في دار العلوم ديوبند وهو أول طالب فيها، فمن أساتذته: الشيخ ملا محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، ومولانا محمد يعقوب النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، وأخذ الحديث عن الشيخ العلامة الإمام مولانا قاسم النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان ملازمًا له ملازمة تامة لمدة طويلة، وانتفع به كثيرًا حتى برع في العلوم المختلفة، واتخذ الإمام الرباني، قطب الإرشاد، الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخًا له في التصوف وتزكية النفوس.

وفي عام ١٣٠٥هـ أعطي منصب رئاسة التدريس في دار العلوم، وتخرج على يده ألوف من الطلبة، وكلهم أئمة في مجالاتهم، سواء كان في مجال التدريس، أو التبليغ، أو التصوف، أو السياسة، أو الجهاد، أو غير ذلك.

---

(١) هو الشيخ محمود الديوبندي، المعروف بـ ملا محمود. كان من زملاء حجة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي. وكان أول مدرس عين في دار العلوم ديوبند ويروى أن أول تلميذه هو الشيخ محمود حسن الديوبندي، فكانا يلقبان بـ المحمودين. قد أخذ الحديث الشريف عن الشيخ الشاه عبد الغني الدهلوي وساعده في تحشيته على «سنن ابن ماجه» المسمى بـ «إنجاح الحاجة». توفي هذا الشيخ العظيم في سنة ١٣٠٤هـ ودفن في المقبرة القاسمية بدار العلوم.

(٢) هو العالم الكبير، المحدث الشيخ، مولانا محمد يعقوب بن مملوك علي النانوتوي. ولد سنة ١٢٤٩هـ ببلدة نانوته، ودرس عند والده حيث كان مدرسًا في كلية دهلي. ثم انتقل إلى أجمير لمدة وقام بتدريس الطلبة هناك. ثم جاء إلى دار العلوم ديوبند ودرّس فيها مدة حياته. توفي في بلدة نانوته سنة ١٣٠٢هـ.

كان له جهد عظيم في تحرير بلاد الهند من الاحتلال البريطاني، وبذَل جهده ليستعين بالخلافة العثمانية، فلقي غالب باشا في مكة المكرمة، وأنور باشا وجمال باشا في المدينة المنورة، فلما عرفتْ الحكومة البريطانية بإرادته تحرير الهند، اعتقلته وسجنته في مالطا مع تلميذه الرشيد، فلبث في السجن نحو ثلاث سنين، راضيًا بقضاء الله، مشتغلًا بالذكر والعبادة.

توفي هذا الإمام، إمام الدنيا، وشيخ الهند في سنة ١٣٣٩هـ ودفن في المقبرة القاسمية، ولم يترك إلا مؤلفات قليلة، من أشهرها: ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردية مع الفوائد التفسيرية التي أكملها تلميذه الشيخ شبير أحمد العثماني، وأيضًا له رسالة يشرح فيه تراجم أبواب «صحيح البخاري» ولم يكملها.

الشيخ مولانا خليل أحمد السهارنفوري

هو المحدث الكبير، الفقيه الجليل، أستاذ العلماء، الشيخ، الإمام خليل أحمد بن مجيد علي الأنصاري السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في عام ١٢٦٩هـ في مدينة نانوته ونشأ في مدينة أمبيتهه.

بدأ التعلم في مدرسة مظاهر العلوم، ومن أساتذته الشيخ مولانا محمد مظهر النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ مولانا فيض الحسن السهارنفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم. وتخرج فيها في عام ١٢٨٨هـ.

بعد أن أتم دراسته فيها، أقام مدة في بهوبال، ثم سكندرآباد، ثم بهاول بور، ثم بريلي، مدرسًا مفيدًا، ثم أعطي منصب التدريس في دار العلوم ديوبند في عام ١٣٠٨هـ، ودرس فيها ست سنين ثم انتقل إلى مدرسة مظاهر العلوم بأمر شيخه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأعطي منصب رئاسة التدريس فيها، وبقي في هذا المنصب إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة الشريفة للإقامة في طيبة الطيبة.

توفي هذا الإمام في سنة ١٣٤٦هـ، ودفن في بقيع الغرقد عند قبور أهل البيت رضي الله عنهم، وله مؤلفات عديدة، منها؛ «بذل المجهود في حل سنن أبي داود» من أنفس الشروح وأوسعها على «سنن أبي داود»، و«المهند على المفند» وهو كتاب أجاب فيه عن بعض الأسئلة الموجهة إلى علماء ديوبند في بيان عقائدهم، و«مطرقة الكرامة على مرآة الإمامة» في الرد على الرافضة.

الشيخ مولانا أشرف علي التهانوي

هو حكيم الأمة، مجدد الملة، العلامة الأوحد، الحبر المفرد، المفسر، الفقيه، الصوفي الزاهد الورع، الإمام مولانا محمد أشرف علي بن عبد الحق العمري التهانوي رحمه الله. ولد في عام ١٢٨٠هـ في مدينة تهانه بهون.

بدأ التعليم في مدينته ثم التحق بدار العلوم ديوبند، ومن مشايخه الشيخ مولانا سيد أحمد الدهلوي رحمه الله، والشيخ مولانا عبد العلي الميرتهي رحمه الله، والشيخ مولانا محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله، وشيخ الهند الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندي رحمه الله، فتخرج فيها في عام ١٣٠٠هـ.

أسست له مدرسة في مدينة كانفور فجلس يدرِّس فيها إلى سنة ١٣١٥هـ، ثم انتقل إلى مدينته تهانه بهون وأقام بها ودرّس فيها إلى آخر حياته، فكان كثير الاشتغال بالتدريس والتأليف وتزكية النفوس.

توفي هذا المجدد في سنة ١٣٦٢هـ ودفن في المقبرة عند الخانقاه، وترك مؤلَّفات كثيرة ممتعة، بل أكاد أجزم أنه من نوادر العلماء الذين تركوا أكثر من ١٠٠٠ مؤلف في جميع العلوم والفنون، ومن أشهرها: «بيان القرآن» وهو تفسير القرآن باللغة الأردية، و«إمداد الفتاوى» وهو مجموع فتاواه، و«بوادر النوادر» فيه رسائل

مختلفة باللغة العربية والأردية، و«بهشتي زيور» وهو كتاب لتعليم النساء المسائل الفقهية وآداب المعاشرة، وذكر فيه الأحاديث والآثار التي تتعلق بالحياة الزوجية، ولهذا الكتاب انتشار عظيم وقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية والفارسية والإنكليزية وغيرها.

الشيخ مولانا عزيز الرحمن العثماني

هو المفتي الأعظم، الشيخ الفاضل، الفقيه الجليل، مولانا عزيز الرحمن بن فضل الرحمن العثماني الديوبندي رحمه الله. ولد في عام ١٢٧٥هـ في مدينة ديوبند، ونشأ فيها.

بدأ التعلم في دار العلوم ديوبند، وتخرج فيها في عام ٢٩٨١هـ. ثم ذهب إلى ميرته ليدرس ويفيد فيها، ثم في عام ١٣٠٥هـ سافر إلى الحجاز والتقى بالشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي العمري التهانوي رحمه الله في مكة المكرمة واستفاد منه، وفي عام ١٣٠٩هـ ذهب إلى الشيخ فضل رحمن كنج مرادآبادي رحمه الله ومكث عنده وأخذ بعض دروس الحديث الشريف منه.

بعد هذه الرحلات رجع إلى ديوبند في عام ١٣١٠هـ، وأعطي منصب التدريس والإفتاء فيها، فمكث في هذا المنصب إلى سنة ١٣٤٥هـ، ثم انتقل إلى دابهيل في ولاية كجرات في الهند مع الشيخ مولانا أنور شاه الكشميري رحمه الله وأخيه الشيخ مولانا شبير أحمد العثماني رحمه الله، ودرس في دار العلوم في دابهيل لمدة، ثم رجع إلى ديوبند بعد وفاة الشيخ الكشميري.

توفي هذا الفقيه العظيم في سنة ١٣٤٧هـ، ودفن في المقبرة القاسمية بديوبند. كان قليل التصنيف، فلم يترك إلا بعض المصنفات، منها: «حاشية على ميزان البلاغة»

للشاه عبد العزيز الدهلوي، و«مجموع فتاويه» يبلغ ٣٧٥٦١ فتوًى مسجلة، أما غير المسجلة فيبلغ ١١٨٠٠٠ كما صرَّح بذلك حكيمُ الإسلام، وله «منحة الجليل ببيان ما في معالم التنزيل».

الشيخ مولانا أنور شاه الكشميري

هو حافظ العصر، مسند الوقت، البحاثة النقادة، المحقق الموهوب، المحدث الفقيه، الإمام، الشيخ السيد مولانا محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري رحمه الله. ولد في عام ١٢٩٢هـ في قرية وُدْوَان وهي قرية صغيرة في مدينة لولاب بكشمير، ونشأ فيها.

بدأ التعلم على يد والده، ثم سافر إلى مدينة بكلي ودرس عند المشايخ فيها. وبعد الدراسة فيها التحق بدار العلوم ديوبند في سنة ١٣١٠هـ ، فمن أساتذته هناك: الشيخ مولانا محمد إسحاق الأمرتسري رحمه الله، والشيخ مولانا خليل أحمد السهارنفوري رحمه الله، وشيخ المشايخ شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي رحمه الله، وتخرج فيها في عام ١٣١٣هـ.

بعد أن أتم دراسته فيها ذهب إلى مدينة دهلي، وبدأ يدرس ويفيد في مدرسة عبد الرب عدة شهور، ثم أسَّس المدرسة الأمينية بمساعدة أهل الخير، ومكث فيها نحو سبع سنين.

ثم جذبه الحنين إلى زيارة الوالدين والقيام بخدمتها فتوجه إلى كشمير وجلس عندهما، وقام بحقه إلى التعليم فأسس مدرسة الفيض العام ودرّس وأفاد وأفتى فيها ثلاث سنين. وفي عام ١٣٢٣هـ تعلق قلبه بزيارة بيت الله الحرام وروضة سيد الأنام ﷺ، فجلس في مكة عدة شهور، ثم شدَّ الرحال إلى روضة النبي ﷺ ومكث في

المدينة المنورة الشريفة عدة شهور، واستفاد من بركاتها، وعلمائها، ومكتباتها خاصة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، والمكتبة المحمودية، فأمعن النظر في كتبها القيمة النادرة من التفسير والحديث والفقه. ثم عاد إلى وطنه كشمير، لكنه شعر بأنه تركه قلبَه في المدينة فعزم على الهجرة إلى تلك الديار الشريفة المباركة، ففي عام ١٣٢٥هـ ارتحل من بلدته قاصدًا إلى المدينة المنورة وفي طريقه مرَّ لزيارة شيخه شيخ الهند، فلقيه وأخبره بما نوى من الهجرة فأمره بإلغاء العزم والبقاء في ديوبند ليقوم بمهمة التدريس فيها، فوافق شيخَه واستقَّر بديوبند وفُوض إليه تدريس «صحيح مسلم» و«سنن النسائي» و«سنن ابن ماجه».

ولما سافر شيخه شيخ الهند إلى الحجاز للإقامة في بلاد الحرمين في عام ١٣٣٣هـ استخلفه على منصب رئاسة التدريس، فدرس «صحيح البخاري» و«جامع الترمذي» تدريسًا علميًّا دقيقًا. وفي عام ١٣٤٦هـ غادر إلى مدينة دابهيل مع الشيخ مولانا شبير أحمد العثماني رَحِمَهُ اللَّهُ والشيخ مولانا عزيز الرحمن العثماني رَحِمَهُ اللَّهُ ودرَّس في دار العلوم دابهيل خمس سنين، ثم رجع إلى ديوبند.

توفي هذا المحدث الكبير، العلامة الجليل، شارح البخاري والترمذي، في سنة ١٣٥٢هـ ودفن عند مصلى العيد في ديوبند. من مؤلفاته: «فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب» في مسألة قراءة الفاتحة خلف الإمام، و«كشف الستر عن صلاة الوتر» في مسألة صلاة الوتر عند الحنفية، و«الإتحاف لمذهب الأحناف» هو حواشيه على آثار السنن للنيموي، و«نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين» في مسألة رفع اليدين عند تكبيرات الانتقال، وأيضًا جمع بعض تلاميذه إفاداته في دروس «صحيح البخاري» باسم «فيض الباري في شرح صحيح البخاري»، ودروسه على

«سنن أبي داود» باسم «أنوار المحمود»[1]، ودروسه على «جامع الترمذي» باسم «العرف الشذي شرح سنن الترمذي».

الشيخ مولانا شبير أحمد العثماني

هو شيخ الإسلام، العلامة الكبير، المحدث الجليل، المفسر العظيم، الشيخ مولانا شبير أحمد بن فضل الرحمن العثماني الديوبندي رَحِمَهُ اللهُ، وهو أخ صغير للشيخ مولانا عزيز الرحمن العثماني رَحِمَهُ اللهُ. ولد في عام ١٣٠٥هـ في مدينة ديوبند ونشأ فيها.

بدأ التعلم في دار العلوم ديوبند، ومن أساتذته شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ الحكيم محمد حسن رَحِمَهُ اللهُ أخو شيخ الهند، والشيخ محمد ياسين الشِّيركوتي رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ غلام رسول الهزاروي رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ محمد أحمد بن محمد قاسم النانوتوي رَحِمَهُ اللهُ، وتخرج فيها في عام ١٣٢٥هـ.

بعد أن أتم دراسته فيها عُيِّن مدرسًا في دار العلوم، ثم أرسله أخوه الشيخ حبيب الرحمن العثماني إلى دهلي ليدرس في المدرسة العالية فتحبوري (فتحپوري)، ثم بعد نحو سنتين رجع إلى ديوبند، وفُوض إليه تدريس «صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» وذلك في سنة ١٣٢٨هـ، واشتهرت دروسه في العالم الإسلامي، وفي العام نفسه ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.

ثم في ذي الحجة عام ١٣٤٦هـ غادر إلى مدينة دابهيل مع الشيخ مولانا أنور شاه الكشميري رَحِمَهُ اللهُ وأخيه الشيخ مولانا عزيز الرحمن العثماني رَحِمَهُ اللهُ ودرّس «صحيح مسلم» و«تفسير البيضاوي» فيها إلى أن توفي العلامة الشيخ مولانا أنور

---

(١) سوف يصدر قريبًا عن مكتبة قاسم العلوم بإذن الله تعالى.

شاه الكشميري في سنة ١٣٥٢هـ، فأعطي منصب رئاسة التدريس، وكُلف بتدريس «صحيح البخاري».

وفي أيام قيامه بالتدريس في دابهيل دُعي إلى ديوبند وأعطي منصب رئاسة شؤون دار العلوم مع إقامته في دابهيل، فبقي يؤدي واجبه نحو المنصبين؛ التدريس بدابهيل، ورئاسة الشؤون بديوبند إلى عام ١٣٦١هـ، حيث اعتزل من منصبه بدابهيل وتفرغ للتدريس في دار العلوم ديوبند، لكن بعد إصرار شديد من الفضلاء بدابهيل عاد إليهم في ربيع الأول عام ١٣٦٢هـ ومكث عندهم إلى شعبان ١٣٦٣هـ ثم عاد إلى ديوبند في الإجازة ومرض فبقي في ديوبند.

ثم في عام ١٣٦٦هـ ـ بعد إقامة الدولة الإسلامية ـ وكان له جُهد كبير في تأسيسها ـ انتقل إلى باكستان حيث التمس منه المؤسس محمد علي جناح أن يكون أول من يرفع راية الدولة الإسلامية باكستان.

لقد كان بعيد النظر، صاحب بصيرة بديعة ولسان حكمة، حيث الكبراء والأمراء والوجهاء يتمسكون باقتراحاته وتوجيهاته، منه: إبقاء القبة الخضراء بالمسجد النبوي بعد أن نوت الحكومة السعودية هدمها، وأيضًا هو الذي اقترح القرار الأساسي الإسلامي للدستور الباكستاني، فأخذوا به وطبقوه.

توفي هذا المحدث العظيم والمرشد الكبير في سنة ١٣٦٩هـ بمدينة بهاولفور، ودفن في المقبرة عند الكلية الإسلامية (إسلامية كالج) بكراتشي. له مؤلفات عديدة، من أشهرها: «فتح الملهم في شرح صحيح مسلم» باللغة العربية شرح فيه «الصحيح» إلى آخر كتاب النكاح، ولم يتيسر له إتمامه، وكتب تكملة له المفتي محمد تقي العثماني، وأيضًا له «الفوائد التفسيرية» التي سبق ذكره في ترجمة شيخ الهند، وأيضا له «تأليفات عثماني» وهو مجموع مقالاته في مواضع مختلفة.

الشيخ مولانا أصغر حسين الديوبندي

هو الشيخ الجليل السيد مولانا أصغر حسين بن السيد محمد حسين شاه الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في عام ١٢٩٤هـ في مدينة ديوبند، ونشأ فيها.

بدأ التعلم بدار العلوم ديوبند، ومن أساتذته: شيخ الهند الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتخرج فيها في عام ١٣٢٠هـ.

بعد أن أتم دراسته فيها، سافر إلى جونفور ودرَّس في مدرسة هناك، ثم في عام ١٣٢٧هـ عيِّن مدرسا في دار العلوم ديوبند، فمكث في هذا المنصب يدرس «سنن أبي داود» إلى أن تُوفي.

توفي هذا الشيخ الجليل الكريم في سنة ١٣٦٤هـ أثناء سفره إلى مدينة رانديرِ، بسورت بكجرات، ودفن بها، وترك بعض المؤلفات، من أشهرها: «الورد الزكي» جمع فيه إفادات شيخه شيخ الهند من دروسه على «جامع الترمذي»، و«القول المتين في الإقامة والتأذين»، و«الفتاوى المحمدية».

الشيخ مولانا إعزاز عليّ الأمروهي

هو سيبويه زمانه، شيخ الأدب واللغة، النحوي، الفقيه، الشيخ مولانا محمد إعزاز علي بن مزاج علي بن حسن علي الأمروهي الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في عام ١٣٠٠هـ في أمروهه في ولاية مرادآباد، ونشأ في مدينة شاه جهانفور.

بدأ التعلم عند الشيخ المفتي مولانا كفاية الله الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شاه جهانفور، ثم انتقل إلى ميرته وتعلم في بعض مدارسها عند الشيخ مولانا عبد المؤمن الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومولانا عاشق إلهي الميرتهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم التحق بدار العلوم ديوبند ودرس عند

مشايخها، منهم: شيخ الهند الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتخرج فيها في عام ١٣٢٠هـ.

بعد أن أتم دراسته فيها، غادر إلى بهار وبدأ بالتدريس في المدرسة النعمانية لمدة سبع سنين، ثم رجع إلى مدينة شاه جهانفور ودرس في مدرسة أفضل المدارس ثلاث سنين. ثم في عام ١٣٣٠هـ أعطي منصب التدريس والإفتاء في دار العلوم ديوبند. فكان يدرس الحديث والفقه والأدب العربي، ويفتي فيها.

تُوفي هذا الأديب الفقيه المفتي في سنة ١٣٧٤هـ. وقد ترك مؤلَّفات قيمة، منها: الحواشي على كتب الفقه كـ«مختصر القدوري»، و«نور الإيضاح»، و«كنز الدقائق»، وأيضًا له حاشية على «ديوان الحماسة» و«ديوان المتنبي»، وله «نفحة العرب» في الأدب العربي.

الشيخ مولانا محمد إبراهيم البلياوي

هو الشيخ الجليل، الفاضل، العلامة الفهامة، الشيخ مولانا محمد إبراهيم البلياوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولد في عام ١٣٠٤هـ.

بدأ التعلم الابتدائي عند الشيخ الحكيم جميل الدين النكينوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم التحق بدار العلوم ديوبند وتعلم فيها. وتخرج فيها في عام ١٣٢٧هـ.

وبعد أن أتم دراسته فيها، درَّس في عدة مدارس؛ فدرَّس أولًا في المدرسة العالية فتحبوري في دهلي، ثم عين مدرسًا في مدرسة بقرية عمري كالن. في سنة ١٣٣١هـ طُلب منه أن يرجع إلى ديوبند للتدريس، فمكث إلى ١٣٤٠هـ، حينئذ أُرسل إلى مدرسة دار العلوم بمئو في أعظم كره، ثم المدرسة الإمدادية ببهار، ثم طُلب مرة أخرى إلى ديوبند في عام ١٣٤٤هـ ومكث يدرس إلى ١٣٦٢هـ حينما

ذهب إلى دابهيل، ثم ذهب إلى المدرسة العالية فتحبوري، ثم رحل إلى مدرسة معين الإسلام في هات هزارا ببنكال. ثم دعاه تلميذه الرشيد حكيم الإسلام، الذي كان رئيس الجامعة في ذاك الوقت، أن يرجع إلى ديوبند للتدريس والإفادة فيها. فمكث يدرس ويفيد، وتولى منصب رئاسة التدريس بعد وفاة شيخ الإسلام الشيخ السيد مولانا حسين أحمد المدني في سنة ١٣٧٧هـ، لقد درَّس في هذه المدة عدة كتب منها «صحيح مسلم»، و«السنن» الأربعة. وقد سمعت من كثير من المشايخ الذين تشرفت بالجلوس بين أيديهم الثناءَ العاطرَ على هذا الجهبذ العظيم وعلى جلالة علمه.

توفي هذا الشيخ الجليل في شهر رمضان سنة ١٣٨٧هـ، ودفن في المقبرة القاسمية.

أقول بعد الفراغ من ترجمة هؤلاء الأكابر الفضلاء الأتقياء ما قاله حكيم الإسلام نفسه في نظم:

فهم أمثال آبائي فجئْني ... بِمثْل بل بشبه المثل جِئنِي

ولا تَجدون مثْلهم بعلمٍ ... ولا عملٍ ولا خلقٍ وحلمِ

أشعاره

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ شاعرًا يحب الشعر، أديبًا فصيحًا في عدة لغات، منها: اللغة العربية، والفارسية، والأردية، فكان حظه منه غير منقوصٍ، ونصيبه منه غير مهضومٍ.

فله عدة أشعار باللغة الأردية، وكذلك باللغة الفارسية، لا يسع المقام لنقلها هنا، فأنقل هنا أشعاره باللغة العربية من دواوينه المختلفة.

فله نظمٌ مختصرٌ في أوزان أفعال المبالغة؛ مِفْعَالٌ، فَعُوْلٌ، مِفْعَلٌ، فَعَّالٌ، وهو:

تـريد فـروق أوزان فَـسَمعًا ... لأمـرك يـا بنيَّ وما تَـقولُ

هـي الأوزان أَرْبَـعة تـراهَا ... بنظم عـن لحاظك لا يَـزولُ

فـمِفْعَال متى تـعتاد فـعلا ... وأن تـقوى على فعل فَـعُولُ

ومـن هـو عدة للـفعل مِـفْعَلْ ... وقَـوَّال يـكرر ما يَـقولُ

ونظم يبين فيه معنى الحديث: «**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف**»(١):

نـزول كتاب الله في سبعة أحرف ... تـعـدَّد لـفظًا لا عِداد مَـعانِ

فإمـا لـغاتٌ من قـبائلَ سـبعةٍ ... فـصاحتُها امتازَت بحُسنِ بـيانِ

قُـريشٌ هُـذيلٌ ثـم طيٌّ هـوازنٌ ... ثـقيفٌ تـميمٌ ثم أهل يـمانِ

وإمـا قـراءاتٌ بأنـواع لـهجةٍ ... تـسبَّعها الـقرَّاء بالإتـقـانِ

وإمَّـا يُـراد بـسبعةٍ تـنويعُها ... بأنـواعِ أحـكامٍ من الـقُرآنِ

حـلالٌ حـرامٌ مـحكمٌ مـتشـابهٌ ... فـزجرٌ وأمـرٌ والـمِثَال بِـشانِ

ونظم آخر عن مشاهير وأعلام الأمة، المسمى بـ «نونية الآحاد»:

يـا مـن هـدى قـلبي وزان بياني ... فـنظمت عـقد جـواهر الأزمان

أعـني بها أعلام من فـاق الـورى ... فمضى الـدهور وما لـهم من ثان

مـن كـان فـرد زمـانه في فـنـه ... سـميتُه فـيها بـحسن بـيان

يـسّر مـرادي لـي فـأنت ميسّرٌ ... كل الصِّعاب عزوت من رحمان

سـرد الـسيوطي حبرنا وأجلنا ... أعـني جـلال الـدين ذا الإتـقان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القران، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٤٩٩٢، من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولـقد رآها الشيخ في حظ من الذ ـهبي ذي الـعرفان والإحـسان
ومـتى رفعت لك الرواية مسندًا فـأرع بـسمعك واعيا تـبياني

بيتان عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

قَـد كـانَ أرحَـم أمَّـةٍ مرحُومةٍ صَـديقُـها بـالصِّدق والإحسانِ
ثـمَّ الـنسَابة حبرهَا في عَصرهَا هو هذا الرحـيم فـجاء فردًا وان

بيتٌ عن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه:

وأشـدهم في ديـنه فاروقـه عـمر بن خـطاب جـليل الشأن

بيتٌ عن سيدنا عثمان الغني رضي الله عنه:

عـثمان أصدقهم حياءً صاحب الـنورين ثـمة جامع الـقرآن

بيتٌ عن سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه:

وكـذاك أقـضاهم علي حامل ال إحـسان ثمة مـاحي الـعدوان

بيتٌ عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

أمـا أبـو ذر فـأصدق لـهجة فـيهم وأتـقاهم من الـنيران

بيتٌ عن سيدنا أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

وأبـو عـبيدة في الأمـانة واحـد فـهو الأمـين لـكل ذي إيمـان

بيتان عن سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه:

أيـن الـشجاعة من شجاعة خالد قـد كان أشجع نازلـي الـميدان
سـيف صـقيل من سـيوف الله أعـناق أهل الـشرك والـكفران

بيتٌ عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه:

وسما ابن كعب في القراءة رتبة　　فيهم فأضحى أقرأ الأقران

بيتٌ عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

أما ابن عباس فواحد عصره　　في كشفه لمعارف القرآن

بيتٌ عن سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه:

حاز الفرائض علمه متفردًا　　زيد بن ثابتٍ الكريم الشأن

بيتٌ عن سيدنا الحسن البصري رحمه الله:

حسن ببصرة قد أقام مذكِّرًا　　فغدا فريدًا ما له من ثان

بيتٌ عن الإمام وهب بن منبه رحمه الله:

وفريدهم قصصًا هو ابن منبه　　في العصر وهو العالم الرباني

بيتٌ عن الإمام ابن سيرين البصري رحمه الله:

أما ابن سيرين فأعبر عصره　　فالقول منه فيه ذو إتقان

بيتٌ عن الإمام الجنيد البغدادي رحمه الله:

وجنيد قطب للزمان إمامهم　　عَلَمُ التصوف كامل العرفان

بيتٌ عن الإمام فضيل بن عياض رحمه الله:

وفضيل بن عياض البر التقي　　قد كان أعبد عابدي الرحمن

بيتٌ عن الإمام نافع المدني رحمه الله:

هذا وأنفعهم وأقرؤهم لهم　　هو نافع بقراءة القرآن

بيتان عن الإمام مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومقاتل قد سابق التأويل أي: تأويل أهل الحق والإيمان
فمداره تأويل أهل العلم لا تأويل أهل الجهل والخذلان

بيتٌ عن الإمام محمد بن السائب الكلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتفرد الكلبي في قصص القرآ نِ فكان يرويه على الإتقان

بيتٌ عن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والفقه فيه أبو حنيفة فردهم في جودة الرأي البديع الشأن

بيتٌ عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والشافعي من الأئمة كان في فقه الحديث مسلم الأقران

بيتٌ عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من كان أعلم دهره هو مالك نشَر العلوم بسائر البلدان

بيتٌ عن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقتفي سنن النبي فأحمد لله درك من إمام زمان

بيتٌ عن الإمام علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذا علي ابن المديني في العلْل في عصره أضحى وحيد زمان

بيتٌ عن الإمام محمد بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علم الخلاف إمامه وزعيمه وهو ابن نصر السابق الأعيان

بيتٌ عن الإمام أبي القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصل العوالي من أبي القاسمْ جرى قد كان مسكنه لفي الطبران

بيتٌ عن الإمام ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما ابن إسحاق ففي نقل المغا زي للنبي فواحد الأزمان

بيتٌ عن الإمام يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد كان أحفظ علم أسماء الرجا لِ ابن المعين البارع الأقران

بيتٌ عن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذاك في نقدِ الحديث محمدٌ وهو البخاري العزيز الشانِ

بيتٌ عن الإمام ابن مَنده رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا ابن منده في السياحة أوحد جوَّابهم لسباسب القيعان

بيتٌ عن الإمام ابن حزم الظاهري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا ابن حزم ظاهري في الجمو د على الظواهر سابق الأقران

بيتٌ عن الإمام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما الإمام الأشعري فإنه علم الكلام وصاحب البرهان

بيتٌ عن الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما الخطيب ففي القراءة سرعة في عصره أضحى فريد الشان

بيتٌ عن الإمام ابن زكريا رازي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومحمدٌ في الطب سابق عصره بحذاقة ومهارة وبيان

بيتٌ عن الإمام أبي محمد الحريري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وتـفرد الحبر الحريري في الـمقا ـمات التي نـسجت بحسن بـيان

بيتٌ عن الشاعر حبيب الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحبيـب الطائي أبـلغ حــكمة وكــذاك أحمد صاحب الـتبيان

بيتٌ عن الإمام البحتري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ:

والـشعر شـعر الـبحتري إجازة إذ كـــان في التـشبيه ذا إتــقان

بيتٌ عن الإمام أبي الفرج الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

رأس مـحاضرة أبـو الـفرج الذي هـو أصبـهاني لـدى اسـتيطان

بيتٌ عن الإمام القاضي فاضل رَحِمَهُ اللَّهُ:

والـفاضل القاضي غدا في عصره في صـنعة الإنـشاء ذا إتــقـان

بيتٌ عن الإمام ابن نباتة رَحِمَهُ اللَّهُ:

أحــلاهم خــطبًا فـابن نـباتــة شــهدوا بـأن له جــلي بـــيان

بيتٌ عن الإمام الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأصــمعي إمامهم وفـريدهم في حــفظه لــنوادر الأزمـــان

بيتٌ عن الإمام سيبويه رَحِمَهُ اللَّهُ:

والـــنحو عـلم سـيبويه إمـامه فـتـرى الـنحاة لـه ذوو إذعـان[٢]

---

(١) في الأصل: «البختري» بالخاء، والصواب بحاء مهملة.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: «فترى النحاة له ذوي إذعان». لأنه مفعول ثانٍ لترى منصوب بالياء لأنه جمع المذكر السالم.

بيتٌ عن الإمام الخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما الخليل ففي العروض قد ارتقى أوج الـكمال فصار ذا سلطان

بيتٌ عن الإمام أبي معشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أبـو مـعشر فرد النجوم فـريدهم ضـبط الـبروج وكـان ذا إمـعان

بيتٌ عن الإمام علي بن هلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمَّـا عـليّ ابـن الـهلال ففردهم في حـسن خـطٍّ يا لـه مـن شأن

أبيات عن العلامة أبي علي ابن سينا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمـا ابـن سينا القرمطيْ فمصانع لـلمسلمين بـمنطق الـيونان

يـونـان ما الـيونان أكثر أهلها أهـل الـضلالة قـدوة الـشيطان

مـا عـندهم نـور من الأنـوار بل هـم في ظـلام الـجهل كالـعميان

بيتٌ عن شيخ المعتزلة أبي علي الجبائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأبـو عـلي قـد تـفرد مـبدعًا للاعـتزال فـصار ذا بـطلان

بيتٌ عن أبي الحسن الكذاب:

أمـا أبـو الحسـن الكـذوب فإنـه فـي كذبـه قـد صـار ذا خسـران

بيتٌ عن عطاء السلمي:

أمـا عطـاءٍ بنـي سـليم قـد غـدا فـي الجبـن فـردًا سـابق الأقـران

بيتٌ عن أشعب طماع:

والغـز أشـعب واحد فـي حرصه ما نـال ذو طمـع سـوى الحرمان

بيتٌ عن مادرٍ البخيل:

والبخل أجمعه بضاعة مادر والبخل أقبح ديدن الإنسان

ثم ختم النونية ببعض الأبيات عن نفسه:

أما الذنوب قراب أرض ملأها ثم العيوب وسائر العصيان
ثم الخطايا والنقائص كلها ثم الخلوّ عن الكمال الداني
فيها فواحد عصره هو طيب ملء الندامة راجي الغفران
يا ربنا أتمم لنا أنوارنا بنبيك المختار من عدنان
واغفر لنا إسرافنا في أمرنا واشمل بعفوك كل ذي إيمان

ونظم آخر عن جده، الإمام محمد قاسم النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نفسي الفداء لقاسم الخيرات وبمهجتي أفدي لذي البركات
فيضانه بالعلم عم بحاره مأواه عند الله في الجنات
أولى الأعاظم رتبة وكرامة أعلى الأماجد قامع البدعات
سبّاق غايات المكارم في الحيا ة مؤيد من رافع الدرجات
شمس الذكا طود العلى زيد الهدى كهف الورى بكرامة الدرجات
شيخ الأئمة مقتدى الأعلام صدر الأجلة قبلة الحاجات
نص مُحِقٍّ حجة وشهادة أو آية في الكون في الآيات
سلطان أصحاب الحقائق بالعلى شيخ المشايخ زبدة الحسنات
شيخ رشيدٌ كامل متفرد هاد إلى المخلوق بالدعوات
شرف الأفاضل فائق الأقران سباق فضل العلم بالغايات

الله فــضَّــلــه وأعــلى أمــره رغـمًا لأهل الكفر والــبدعات
بــدر على فلك الفضيلة طــالع وعـطارد قد لاح من حــومات
تنشق من أنواره حجب الدجى هو في الـمحامد آية الآيـــات
مــنه استقام أساس دين محمد وبــه تــجدد رونق الــحسنات
وبــه تــلوح مــعالم الإسلام والي الولاة خلاصة الــبركات
قاضٍ إذ اشتبه الأمور ففي الورى قــاضي البرية رافع الــشبهات
وتــسر من جدواه أفئدة الــورى ركن الشريعة قاسم الــخيرات
ســلطان أربــاب المناقب كلهم فاق الورى بفضائل الــحسنات
أفــعاله أعــماله حــركاته فبـ «**إنما الأعمال بالــنيات**»
نــور الهدى عفّى رسوم جهالة بدر الدجى في عالم الــظلمات
هو غــير مــرئي بــعين عيوننا لــكنه بادٍ لذي اللــحظات
قلبي بــبابك حاضر مــسترشد نــظري وإما ينظر الــبركات
إني أرى في القلب حبك دائــمًا ويلوح في الحركات والــسكنات
والله ما التقت الــجفون بــنظرة إلا وذكرك قائم بالــذات
إني أراك وإن خــفيت بــتربة بمسائح الغدوات والــروحات
بــيني وبــينك في المحبة نــسبة مــستورة من عالم الآفـــات
مــن قــبل خــلق الله طــينة آدم روحي تعارف روحكم بــالذات
ومن القلوب إلى القلوب شواهد يشهدن قبل تشاهد الــحالات
يــدعو لك العبد الفقير مــضرعًا رفع المراتب رافع الــدرجات

مؤلفاته

مع شدة اشتغاله بأمور مختلفة، فقد ألف كتبًا عديدة جليلة، أكثرها باللغة الأردية، فإنها كانت لغة بيئته، وبعضها بالعربية والفارسية، وعددها أكثر من ١٠٠ كتابٍ ما بين كتاب كبير ورسالة مختصرة في علوم مختلفة، منها:

آفتاب نبوت کامل ـ هو كتاب يشرح فيه آية: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾، بمنهج علمي دقيق.

آنکھ کی کہانی ـ قصة العيون ـ قصيدتان تصل أبياتهما إلى ٧٠٠ بيت.

اردو کی شرعی حیثیت ـ المنزلة الشرعية للغة الأردية.

ارمغان اجلاس ـ مجموعة من منظوماته عن حياة ٨٠ من مشايخ دار العلوم، و١٨٦ من الكتب التي تُدرس فيها.

اسرائیل ـ إسرائيل في ضوء القرآن والسنة.

اسلامی اور مغربی تہذیب ـ الإسلام والحضارة المغربية.

اسلام اور فرقہ واریت ـ الإسلام والحزبية.

اسلام کا اخلاقی نظام ـ النظام الأخلاقي في الإسلام.

اسلامی تہذیب وتمدن ـ التشبه في الإسلام ـ هو كتاب عن مسألة التشبه بالكفار وحفظ المعيشة الإسلامية، قرَّظ له الشيخ مولانا أشرف علي التهانوي، والشيخ مولانا حسين أحمد المدني، والشيخ مولانا حبيب الرحمن العثماني، وهو من أنفس الكتب في هذا الموضوع، وقد تم تعريبه من قبل مجمع حجة الإسلام تحت إشراف الأخ الفاضل مولانا محمد شكيب القاسمي.

اسلام کا دو امتیازی پہلو ـ خصيصتان يتميز بها دين الإسلام. الأولى: أن الدين الإسلام هو دين متكامل، بمعنى أنه ما ترك شيئا من لوازم الحياة إلا وقد وضع له حلًّا مناسبًا، والثانية: أن الإسلام دين اجتماعي، بمعنى أنه كما يسعى لإصلاح الفرد، كذلك يسعى لإصلاح المجتمع، والترابطِ بين أفراد المجتمع.

اسلامی مساوات ـ المساواة الإسلامية.

اصول دعوت اسلام ـ هو كتاب يشرح فيه آية: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

الكلم الطيب ـ جمع فيه مواقف وقصص جده، الإمام محمد قاسم النانوتوي التي سمعها من بعض تلاميذه وأصحابه.

انسانیت کا امتیاز ـ الامتياز الإنساني.

پچاس مثالی شخصیات ـ وهو كتاب يجمع فيه ترجمة لـ٥٠ من الأعلام النموذجيين.

تاریخ دار العلوم دیوبند ـ كتابٌ جامعٌ عن تاريخ دار العلوم ديوبند، تأسيسها وسبب التأسيس.

تصوری اسلام کے آئینہ میں ـ حكم التصوير في الإسلام.

تعلیمات اسلام اور صحیح اقدام ـ التعليم الإسلامي والتحرك الصحيح.

تعلیمات اسلام اور مسیحی اقدام ـ التعليم الإسلامي والتحرك المسيحي (النصراني).

جنون شباب ـ كتب قصائد عن زيارته لأمريكا وكندا.

جذبات الم ـ بعد وفاة أهله، كتب عن حياته وأحواله.

حجیت حدیث ـ وهو كتابٌ ردًّ على من ادعي أن الأحاديث النبوية الشريفة ليست بحجة.

حدیث رسول کا قرآنی معیار ـ المعيار القرآني للأحاديث النبوية الشريفة.

خاتم النبیین ـ تكلم فيه على مسألة ختم النبوة للنبي ﷺ.

دار العلوم کی سو سالہ زندگی ـ تاريخ دار العلوم ديوبند خلال ١٠٠ عام.

دارالعلوم دیوبند کا ایک فتوی اور اس کی حقیقت ـ حقيقة الفتوى التي أُصدرت من دار العلوم ديوبند.

دینی دعوت کے قرآنی اصول ـ الأصول القرآنية للدعوة.

ڈاڑھی کی شرعی حیثیت ـ وهي رسالة مختصرة في بيان حكم اللحية وما يتعلق بها.

سفرنامہ افغانستان ـ عن رحلته إلى أفغانستان.

سفرنامہ برما ـ عن رحلته إلى بورما.

سفرنامہ مقامات مقدسہ ومآثر سفر مصر ـ تكلم في عن رحلته إلى الحرمين الشريفين، وفلسطين ومصر. وهو من أواخر تأليفاته وهو كتاب قيّمٌ جدًا، وتكلم فيه عن الحرمين الشريفين والشام من الناحية السياسية أيضًا، ومن فراسته تكلم عن أهداف الكفار تجاه الشام والحرمين.

سورہ فیل میں پرویزی تحریف ـ التحريفات في سورة الفيل من قبل الفرقة البرويزية (هم أتباع غلام أحمد برويز).

سیرت خاتم الانبیاء ـ عن سيرة النبي ﷺ.

سیرت قرآنی ـ السيرة القرآنية.

شان رسالت ـ عن سيرة النبي ﷺ أيضًا.

شرعی پردہ ـ حكم الحجاب في الإسلام؛ أتى فيه بالكلام عن وجوب الحجاب، وأهميته، وفوائده، ردًا على الاعتراضات عليه.

شہید کربلا اور یزید ـ رد على كتاب «خلافة معاوية ويزيد» لمحمود أحمد عباسي الذي اعترض على سيدنا الحسين رضي الله عنه، فبيّن أسباب ونتائج ما حدث في كربلاء ونتائجه، وموقف سيدنا الحسين رضي الله عنه، وأجاب عن جميع الاعتراضات عليه، سلك فيه مسلكًا وسطًا بين الإفراط والتفريط.

عالم انسانیت کا مکمل قانون ـ النظام الكلي للعالم الإنساني.

علمائے دیوبند کا دینی رخ اور مسلکی مزاج ـ وهو آخر كتاب ألّفه، يوضح فيه مسلك مشايخ ديوبند ومشربهم، وقد قام بتعريبه الشيخ روح الأمين.

علم غیب ـ عن مسألة علم الغيب للنبي ﷺ.

عرفان عارف ـ مجموعة قصائد باللغة العربية، والفارسية، والأردية.

فطری حکومت ـ الحكومة الطبيعية.

فلسفہ طہارت ـ حكمة تشريع الطهارة.

فلسفہ نعمت ومصیبت ـ حكمة النعمة والمصيبة.

فہم قرآنی اور تعلیم مذہب کے دو بنیادی اُصول ـ تكلم عن أصلين رئيسين مهمين لفهم القرآن وتعليم الدين.

قرآنی دعوت کے ستر أصول ـ جمع فيه ٧٠ أصلًا للدعوة القرآنية.

قول فصل

کلمات طیبات ـ ترجمة لمشايخ دار العلوم ديوبند.

کلمہ طیبہ ـ إثبات الشهادة في ضوء القرآن والسنة.

مسلک علمائے دیوبند ـ كتب هذا الكتاب بطريقة سهلة ويسيرة لبيان مسلك وعقائدهم، وبيان وأنهم ورثوا مسلك علماء أهل السنة الصحيح المعتدل.

مسئلہ تقدیر ـ عن مسألة اعتقادية: وهي القدر.

مسئلہ اردو زبان ہندوستان میں ـ مسألة استعمال اللغة الأردية في الهند بدلًا عن الهندية.

مشاہیر امت ـ مجموع ١٦٨ قصيدة عن علماء الأمة المحمدية.

مقالات طیب ـ مجموع مقالاته.

میلاد النبی ﷺ کی حقیقت ـ عن مسألة الاحتفال بالمولد النبي ﷺ.

نسب اور اسلام ـ الأنساب في الإسلام.

نظریہ دو فرقوں پر ایک نظر ـ تعقبات والرد على كتاب «قرآنين» لبروفيسور غلام جيلاني.

وقد طبع مجموع رسائله باللغة الأردية في ٧ مجلدات، ومجموع دروسه وخطبه في ٩ مجلدات أيضًا باللغة الأردية، ويشتمل على دررٍ وفوائد كثيرة.

وفاته

توفي هذا الرئيس العظيم، العالم الكبير، الإمام الجليل، فخر الإسلام والمسلمين، القدوة الحجة، في الساعة الحادية عشرة في يوم الأحد، ٦ من شوال سنة ١٤٠٣هـ، الموافق ١٧ يوليو ١٩٨٣م، وصلى عليه ابنه الجليل الشيخ مولانا محمد سالم القاسمي دامت بركاته وفيوضه، ودفن عند مشايخه وأساتذته في المقبرة القاسمية بديوبند، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له مغفرة تامة، وطيّب آثاره وأعلى درجاته في أعلى عليين ـ آمين يا رب العالمين.

لَيْسَ علـى الله بِمسـتنْـكَرٍ　　أنْ يـجْـمـعَ الـعالَم في واحدِ

متن العقيدة الطحاوية

قَالَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ مُحَمَّدُ شَفِيْعُ الدِّيْوْبَنْدِيُّ:

إِنَّ هَذِهِ دُرَّةٌ فَرِيْدَةٌ مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أُسْلُوبِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ

وَأَنْـفَعُ شَيْءٍ صُنِّفَ فِي هَـذَا الْبَابِ، وَأَبْلَغُ مَا حَازَهُ كِـتَابٌ

إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ نَادِرَةُ الْوُجُودِ إِذْ وَجَدْتُ نُسْخَةً مَطْبُوعَةً

بِقَازَانَ سَنَةَ ١٣١١هـ عِنْدَ بَعْضِ مِنْ مَعَارِفِي

فَسَعَيْتُ فِي طَبْعِهَا وَإِشَاعَتِهَا

وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

متن العقيدة الطحاوية

قَالَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ مُحَمَّدُ شَفِيْعُ الدِّيْوْبَنْدِيُّ:

إِنَّ هَذِهِ دُرَّةٌ فَرِيْدَةٌ مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أُسْلُوبِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ
وَأَنْـفَعُ شَيْءٍ صُنِّفَ فِي هَـذَا الْبَابِ، وَأَبْلَغُ مَا حَازَهُ كِـتَابٌ
إِلّا أَنَّهَا كَانَتْ نَادِرَةُ الْوُجُودِ إِذْ وَجَدْتُ نُسْخَةً مَطْبُوعَةً
بِقَازَانَ سَنَةَ ١٣١١هـ عِنْدَ بَعْضٍ مِنْ مَعَارِفِي
فَسَعَيْتُ فِي طَبْعِهَا وَإِشَاعَتِهَا
وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلْإِمَامُ ٱلْفَقِيهُ عَلَمُ ٱلْأَنَامِ حُجَّةُ ٱلْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْوَرَّاقُ ٱلطَّحَاوِيُّ ٱلْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْـجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ ٱلْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ ٱلْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْـحَسَنِ ٱلشَّيْبَانِيِّ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ ٱلدِّيْنِ وَيَدِيْنُونَ بِهِ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ ٱللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيْقِ اللهِ:

۞ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ

۞ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ وَلَا إِلٰهَ غَيْرُهُ

۞ قَدِيْمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيْدُ، وَلَا يَكُوْنُ إِلَا مَا يُرِيْدُ

۞ لَا تَبْلُغُهُ ٱلْأَوْهَامُ وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَفْهَامُ وَلَا يُشْبِهُهُ ٱلْأَنَامُ

۞ حَيٌّ لَا يَمُوْتُ، قَيُّوْمٌ لَا يَنَامُ

۞ خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مَؤُونَةٍ

۞ مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ

۞ مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ

۞ وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا

۞ لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ ٱلْـخَلْقَ ٱسْتَفَادَ ٱسْمَ ٱلْخَالِقِ

۞ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ ٱلْبَرِيَّةَ ٱسْتَفَادَ ٱسْمَ ٱلْبَارِي

۞ لَهُ مَعْنَى ٱلرُّبُوْبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوْبٌ، وَمَعْنَى ٱلْـخَالِقِيَّةِ وَلَا مَـخْلُوْقٌ

۞ وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي ٱلْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَ ٱسْتَحَقَّ هَذَا ٱلِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ

۞ لِذَلِكَ ٱسْتَحَقَّ ٱسْمَ ٱلْـخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ

۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ،

۞ وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾

۞ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ بِعِلْمِهِ وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا

۞ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ خَلَقَهُمْ

۞ وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُوْنَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ

۞ وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِيْ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيْئَتِهِ

۞ وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ

۞ لَا مَشِيْئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ

۞ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلا

۞ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي مَنْ شَاءَ عَدْلا

۞ وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيْئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ

۞ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ

۞ آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ

۞ وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ ٱلْمُصْطَفَى

۞ وَنَبِيُّهُ ٱلْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ ٱلْمُرْتَضَى

۞ خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامُ ٱلْأَتْقِيَاءِ

۞ وَسَيِّدُ ٱلْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

۞ وَكُلُّ دَعْوَةِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ لَغَيٌّ وَهَوَى

۞ وَهُوَ ٱلْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ ٱلْجِنِّ وَكَافَّةِ ٱلْوَرَى بِالْحَقِّ وَٱلْهُدَى

۞ وَأَنَّ ٱلْقُرْآنَ كَلَامُ ٱللهِ تَعَالَى مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا

۞ وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَحْيًا

۞ وَصَدَّقَهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا

۞ وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ ٱللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيْقَةِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ ٱلْبَرِيَّةِ

۞ فَمَنْ سِمَعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ ٱلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ

۞ وَقَدْ ذَمَّهُ ٱللهُ تَعَالَى وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ عَذَابَهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾

۞ فَلَمَّا أَوْعَدَ ٱللهُ بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ ٱلْبَشَرِ

۞ وَلَا يُشْبِهُهُ قَوْلَ ٱلْبَشَرِ

۞ وَمَنْ وَصَفَ ٱللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِيَ ٱلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ،

۞ فَمَنَ أَبْصَرَ هَذَا فَقَدِ ٱعْتَبَرَ،

۞ وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ ٱلْكُفَّارِ ٱنْزَجَرَ

۞ وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ

۞ وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾،

۞ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ

۞ وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا

۞ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَا سَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ

۞ وَرَدَّ عِلْمَ مَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ

۞ وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلِاسْتِسْلَامِ

۞ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُجِزَ عَنْهُ عِلْمُهُ وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ ٱلتَّوْحِيدِ وَصَافِي ٱلْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ ٱلْإِيمَانِ

۞ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلتَّصْدِيقِ وَٱلتَّكْذِيبِ وَٱلْإِقْرَارِ وَٱلْإِنْكَارِ

۞ مُوَسْوِسًا تَائِهًا شَاكًّا زَائِغًا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا

۞ وَلَا يَصِحُّ ٱلْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ ٱعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ

۞ إِذَا كَانَ تَأْوِيلُ ٱلرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى ٱلرُّبُوبِيَّةِ لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ إِلَّا بِتَرْكِ ٱلتَّأْوِيلِ وَلُزُومِ ٱلتَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ ٱلْمُرْسَلِينَ

۞ وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ ٱلنَّفْيَ وَٱلتَّشْبِيهَ زَلَّ؛ وَلَمْ يُصِبِ ٱلتَّنْزِيهِ

۞ فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ ٱلْوَحْدَانِيَّةِ مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ ٱلْفَرْدَانِيَّةِ

۞ لَيْسَ بِمَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْبَرِيَّةِ

۞ تَعَالَى عَنِ ٱلْحُدُودِ وَٱلْغَايَاتِ وَٱلْأَرْكَانِ وَٱلْأَعْضَاءِ وَٱلْأَدَوَاتِ

۞ لَا تَحْوِيهِ ٱلْجِهَاتُ ٱلسِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ

۞ وَٱلْمِعْرَاجُ حَقٌّ قَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي ٱلْيَقْظَةِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ

۞ ثُمَّ إِلَى حَيْثُ مَا شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْعُلَى

۞ وَأَكْرَمَهُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا شَاءَ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾

۞ وَٱلْحَوْضُ ٱلَّذِي أَكْرَمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ

۞ وَٱلشَّفَاعَةُ ٱلَّتِي ٱدَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي ٱلْأَخْبَارِ

۞ وَٱلْمِيثَاقُ ٱلَّذِيْ أَخَذَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ

۞ وَقَدْ عَلِمَ ٱللهُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ

۞ وَيَدْخُلُ ٱلنَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً

۞ وَلَا يَزْدَادُ فِي ذَلِكَ ٱلْعَدَدِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ

۞ وَكَذَلِكَ أَفْعَالُـهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ

۞ وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ لَهُ

۞ وَٱلْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ

۞ وَٱلسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ ٱللهِ وَٱلشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ

۞ وَأَصْلُ ٱلْقَدَرِ سِرُّ ٱللهِ فِي خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ

۞ وَٱلتَّعَمُّقُ وَٱلنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ ٱلْـخِذْلَانِ وَسُلَّمُ ٱلْـحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ ٱلطُّغْيَانِ

۞ فَالْـحَذَرَ كُلَّ ٱلْـحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً

۞ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ ٱلْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

۞ فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ ٱلْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ ٱلْكِتَابِ كَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ

۞ فَهَذِهِ جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ تَعَالَى وَهِيَ دَرَجَةُ ٱلرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ

۞ لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ عِلْمَانِ؛ عِلْمٌ فِي ٱلْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي ٱلْخَلْقِ مَفْقُودٌ

۞ فَإِنْكَارُ ٱلْعِلْمِ ٱلْمَوْجُوْدِ كُفْرٌ

۞ وَادِّعَاءُ ٱلْعِلْمِ ٱلْمَفْقُودِ كُفْرٌ

۞ وَلَا يَصِحُّ ٱلْإِيْمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ ٱلْعِلْمِ ٱلْمَوْجُودِ وَتَرْكِ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلْمَفْقُودِ

۞ وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَٱلْقَلَمِ وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ

۞ فَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْـخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ ٱللهُ تَعَالَى فِيْهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ

۞ وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى مَا لَمْ يَكْتُبْهُ ٱللهُ فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ

۞ جَفَّ ٱلْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ

۞ وَمَا أَخْطَأَ ٱلْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهُ وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ

۞ وَعَلَى ٱلْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدَّرَ ذَلِكَ بِمَشِيْئَتِهِ تَقْدِيْرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا

۞ لَيْسَ لَهُ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ وَلَا مُزِيْلٌ وَلَا مُغَـيِّـرٌ وَلَا مُحَوِّلٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ

۞ وَلَا يَكُونُ مُكَوَّنٌ إِلَّا بِتَـكْوِيْنِهِ، وَٱلتَّـكْوِينُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَسَنًا جَمِيْلًا

۞ وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ ٱلْإِيْمَانِ وَأُصُولِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلِاعْتِـرَافِ بِتَوْحِيدِ ٱللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّـتِهِ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

۞ فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ فِي ٱلْقَدَرِ خَصِيمًا وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيْهِ قَلْبًا سَقِيْمًا

۞ لَقَدِ ٱلْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ ٱلْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيْهِ أَفَّاكًا أَثِيْمًا

۞ وَٱلْعَرْشُ وَٱلْكُرْسِيُّ حَقٌّ كَمَا بَيَّنَ ٱللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ

۞ وَهُوَ جَلَّ جَلَالُه مُسْتَغْنٍ عَنِ ٱلْعَرْشِ وَمَا دُوْنَهُ

۞ مُحِيْطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ

۞ وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ ٱلْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ

۞ وَنَقُولُ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى ٱتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلًا وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيْمًا إِيْمَانًا وَتَصْدِيْقًا وَتَسْلِيْمًا

۞ وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّبِيِّيْنَ وَٱلْكُتُبِ ٱلْمُنَزَّلَةِ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ

۞ وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ عَلَى ٱلْـحَقِّ الْمُبِينِ

۞ وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ

۞ وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ

۞ وَلَا نَخُوضُ فِي ٱللهِ وَلَا نُمَارِي فِي ٱلدِّين

۞ وَلَا نُجَادِلُ فِي ٱلْقُرْآنِ وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ ٱلْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ

۞ وَكَلَامُ ٱللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْمَخْلُوقِينَ

۞ وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ

۞ وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ

۞ وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ

۞ وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ ٱلْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ

۞ وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ

۞ وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ

۞ وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ

۞ وَٱلْأَمْنُ وَٱلْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ ٱلْمِلَّةِ؛ وَسَبِيلُ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ

۞ وَلَا نُخْرِجُ ٱلْعَبْدَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ

۞ وَٱلْإِيمَانُ: هُوَ ٱلْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ

۞ وَأَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَى فِي ٱلْقُرْآنِ وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلشَّرْعِ وَٱلْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ

۞ وَٱلْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ

۞ وَٱلتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ بِالتَّقْوَى وَمُخَالَفَةِ ٱلْهَوَى وَمُلَازَمَةِ ٱلْأَوْلَى

۞ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ ٱلرَّحْمَنِ وَأَكْرَمُهُمْ أَطْوَعُهُمْ بِالتُّقَى وَٱلْمَعْرِفَةِ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ

۞ وَٱلْإِيمَانُ: هُوَ ٱلْإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْبَعْثِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ وَٱلْقَدَرِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى

۞ وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَنُصَدِّقُ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤُوا بِهِ

۞ وَأَهْلُ ٱلْكَبَائِرِ فِي ٱلنَّارِ لَا يَخْلُدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَارِفِينَ

۞ وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾

۞ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي ٱلنَّارِ بِقَدْرِ جِنَايَتِهِمْ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ ٱلشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّاعَةِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ

۞ ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ جَلَّ جَلَالُهُ مَوْلَى لِأَهْلِ مَعْرِفَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي ٱلدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ ٱلَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ

۞ ٱللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ ٱلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَسِّكْنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ

۞ وَنَرَى ٱلصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ

۞ وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى

۞ وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلسَّيْفُ

۞ وَلَا نَرَى ٱلْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُوا عَلَيْهِمْ وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ

۞ وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَتِهِ، وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَٱلْمُعَافَاةِ

۞ وَنَتَّبِعُ ٱلسُّنَّةَ وَٱلْـجَمَاعَةَ وَنَجْتَنِبُ ٱلشُّذُوذَ وَٱلْخِلَافَ وَٱلْفُرْقَةَ

۞ وَنُحِبُّ أَهْلَ ٱلْعَدْلِ وَٱلْأَمَانَةِ وَنُبْغِضُ أَهْلَ ٱلْـجَوْرِ وَٱلْـخِيَانَةِ

۞ وَنَقُوْلُ ٱللهُ أَعْلَمُ فِيْمَا ٱشْـتَـبَـهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ

۞ وَنَـرَى ٱلْمَسْحَ عَلَى ٱلْـخُفَّيْنِ فِي ٱلسَّفَرِ وَٱلْـحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي ٱلْأَثَرِ

۞ وَٱلْـحَجُّ وَٱلْـجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنَ أَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا

۞ وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ ٱلْكَاتِبِينَ وَأَنَّ ٱللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِيْنَ

۞ وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ ٱلْعَالَمِيْنَ

۞ وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَنَعِيْمِهِ لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِيْنِهِ وَنَبِيِّهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ ٱلْأَخْبَارُ عَنْ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

۞ وَٱلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْـجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ ٱلنِّيْـرَان

۞ وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَٱلْعَرْضِ وَٱلْـحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ ٱلْكُتُبِ، وَٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ، وَٱلصِّرَاطِ وَالْمِيْزَانِ

۞ البَعْثُ هُوَ حَشْرُ الْأَجْسَادِ وَإِحْيَاءُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

۞ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوْقَتَانَ لَا يَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا يَبِيْدَانِ

۞ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ لِلْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ لِلنَّارِ عَدْلًا مِنْهُ

۞ وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا فُرِغَ مِنْهُ وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ

۞ وَٱلْخَيْرُ وَٱلشَّرُ مُقَدَّرَانِ عَلَى ٱلْعِبَادِ

۞ وَٱلِاسْتِطَاعَةُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا ٱلِاسْتِطَاعَةُ ٱلَّتِيْ يُوْجَدُ بِهَا ٱلْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ ٱلتَّوْفِيْقِ ٱلَّذِي لَا يَجُوْزُ أَنْ يُوْصَفَ ٱلْمَخْلُوْقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ ٱلْفِعْلِ

۞ وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ الَّتِيْ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ وَهُوَ كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

۞ وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ: خَلْقُ اللهِ وَكَسْبُ الْعِبَادِ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ إِلَّا مَا يُطِيْقُوْنَ، وَلَا يُطِيْقُوْنَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ

۞ وَهُوَ تَفْسِيْرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ

۞ نَقُوْلُ: لَا حِيْلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَوْلَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُوْنَةِ اللهِ

۞ وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيْقِ اللهِ

۞ وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِيْ بِمَشِيْئَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ

۞ فَغَلَبَتْ مَشِيْئَتُهُ الْمَشِيْئَاتِ كُلَّهَا وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا

۞ يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ

۞ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَحَدًا ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

۞ وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ

۞ وَاللهُ يَسْتَجِيْبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ

۞ وَلَا غِنًى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ

۞ وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى

۞ وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ

۞ وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْحَقِّ يَذْكُرُهُمْ وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِالْخَيْرِ

۞ وَحُبُّهُمْ دِيْنٌ وَإِيْمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ

۞ وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رضي الله عنه تَفْضِيْلًا لَهُ تَقْدِيْمًا عَلَى جَمِيْعِ الْأُمَّةِ

۞ ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

۞ ثُمَّ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه

۞ ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ رضي الله عنه

۞ وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُوْنَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّوْنَ

۞ وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِيْنَ سَمَّاهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ

۞ وَهُمْ أَبُوْ بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُوْ عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُمْ أُمَنَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رضي الله عنهم أَجْمَعِيْنَ

۞ وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ

۞ وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِيْنَ السَّابِقِيْنَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُوْنَ إِلَّا بِالْجَمِيْلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوْءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيْلِ

۞ وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَنَقُوْلُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيْعِ الْأَوْلِيَاءِ

۞ وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ

۞ وَنُؤْمِنُ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُوْلِ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَبِخُرُوْجِ يَأْجُوْجَ وَمَأْجُوْجَ

۞ وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا

۞ وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيئًا بِخِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ

۞ وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا

۞ وَدِيْنُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾

۞ وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْيَأْسِ

۞ فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِيْ ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ

۞ وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيْمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا

مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ مِثْلِ الْمُشَبِّـهَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا الْجَمَاعَةَ وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ وَنحْنُ بُرَآءٌ مِنْهُمْ وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ أَرْدِيَاءُ

۞ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* * * * *

شرح
العقيدة الطحاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى،

أما بعد:

فإن مجلس الشورى لدار العلوم بديوبند حين اتخذ خطوات هامة لإصلاح النظام التعليمي وإدخال التعديلات على المنهج الدراسي، قد قرر في الجلسة المنعقدة في شعبان سنة ١٣٩٠هـ زيادةَ بعض المتونِ على المنهج، منها «العقيدة الطحاوية».

وهي رسالة تتجلَّى في مرآتها العقائد الإسلامية النزيهة للسلف الصالح، إلا أنها في غاية الإيجاز والإجمال، بحيث يصح القول عنها أنها فهرس موجز للعقائد. فكلَّفني مجلس الشورى بتوضيح ما تحتويه الرسالة واستخراج مآخذه من الكتاب والسنة.

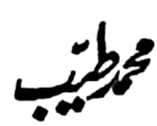
وكان أكبر الدواعي إلى ذلك أن المتون العقائد تَذْخَر في الغالب بالدلائل العقلية ولكنها ـ باستثناء مطولات هذا الفن ـ تكاد تخلو عن الدلائل السمعية، وذلك ما أدَّى إلا إبعاد أذهان الطلبة عن الدلائل السمعية، وعدم اطلاعهم على مآخذ العقائد من القرآن والحديث، مع أن الدلائل السمعية هي الأساس الحقيقي والمصدر الأصيل للعقائد.

ونظرًا إلى ذلك جعلتُ أكبر اهتمامي في تحشية هذه الرسالة إلى تعيين وإثبات المآخذ لكل عقيدة من الكتاب والسنة، مع اعترافي بعدم تضلعي في اللغة العربية وإتقان أساليبها، لذلك لا أثق بصحة تعبيري وأسلوبي، فربما فيها ما يسمى

خطأ أو نقائص تعبيرية، وبخاصة إذا كانت الحالة قد فرضت عليَّ الاستعجال وإتمام هذا الواجب في مدة يسيرة لا تكفي لمثل هذا العمل العلمي العظيم، فقد أتممت هذه الحاشية في شهر ونصف على الأكثر، ولا شك أن هذه المدة غير كافية وقليلة جدًا بالنسبة إلى أهمية هذه الخدمة المفوَّضة.

وقد تجرأتُ على تحشية الرسالة بالعربية، مع ضعف استعدادي فيها وعدم ممارستي لها، نظرًا إلى أن الغرض ليس تحسين البيان وتنميق العبارات، وإنما هو توفير الدلائل السمعية للدارسين، فلم أقصر ما أمكنني في الغرض الأصيلِ، وحيث أني لا أدعي صحة البيان أرجو من العلماء أن يتكرموا مشكورين باطلاعي على الأخطاء والزلات، إن وجدوها في الحاشية، والله يجازيهم على ذلك أحسن الجزاء.

قد طالتْ بعض الإيضاحات ـ دون قصد ـ عن بعض المسائل العويصة والمواضع المغلقة، ففصلتُها عن الحاشية وجعلتُها تتمةً سوف تُطبع وتُلحق بالرسالة في الطبعة القادمة[1]، إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.



مدير دار العلوم ديوبند
٢ من محرم الحرام سنة ١٣٩٢هـ

---

(١) لم تطبع هذه «التتمة» بعد، وقد سألتُ شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند، الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري عنها، فقال: قد أراد الشيخ أن يتمها ويطبعها ولم يتيسر له ذلك، انتهى.
قلت: ولم يقصد الشيخ من «التتمة»، رسالتَه: «مباني الخلافة والسياسة الدينية وغاياتها» كما يزعمه البعض، لأن الشيخ رحمه الله قد كتب مقدمته سنة ١٣٩٢، وتم من التحشية سنة ١٣٩٠ وكتب عند إتمامها: «تمت التحشية، وتليها تكملة متعلقة بمباني الخلافة...» ، فذكْر «التتمة» في مقدمته تدل على أنها ليست تلك الرسالة لأنها لم تطبع حين كتابة المقدمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلْإِمَامُ ٱلْفَقِيهُ عَلَمُ ٱلْأَنَامِ حُجَّةُ ٱلْإِسْلَامِ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْوَرَّاقُ ٱلطَّحَاوِيُّ ٱلْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ....

قوله (قال الشيخ):

هذه العبارة (الشيخ إلى المصري) ليست من الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأن مدحَ النفس مذموم عند علماء الأخلاق، حتى العظماء لا يظهرون أسماءَهم في مؤلفاتهم تواضعًا لربهم وهضمًا لأنفسهم، فإن «**من تواضع لله، رفعه الله**»[(١)] ، فهذه العبارة لأحد تلاميذه أو ممن بعدهم.

قوله (أبو جعفر):

الإمام الفقيه المحدث، أبو جعفر الورَّاق الطحاوي، أحمد بن محمد بن سَلَامَة بن سلمة[(٢)] بن عبد الملك بن سَلَمَة[(٣)] بن سليمان بن جواب الأزدي، ثم

(١) حديثٌ، أخرجه بهذا اللفظ الإمام أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى ٤٣٠هـ في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٧/ ١٢٩ عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، و٨/ ٤٦ عن سيدنا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وله شواهد كثيرة بألفاظ مختلفة كما أخرج مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع: ٦٥٩٢: حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**ما نقصتْ صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

(٢) في الأصل: «مسلمة»، وهو تحريف. واتفق جميع من ترجم له أن اسم جد والده هو سلمة. انظر: «الإكمال» للإمام ابن ماكولا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٣/ ٨٥، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٥/ ٣٦٧، و«الحاوي» للشيخ زاهد الكوثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صـ٥.

(٣) ذكر في المصادر المذكورة آنفًا أن والد سلمة هو سُليم، وأما سليمان فهو جده.

الحجري، المصري الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولد في ٢٣٩هـ على ما قاله ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلى قول ابن خلكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ٢٣٨هـ، وذكر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ والحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ والحافظ بدر الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة ٢٢٩هـ، وهو الأصح.

ومات في ٣٢١هـ، فكان عمره اثنتين وتسعين سنة، وهو معاصر لأصحاب «الصحاح الستة».

وارتحل لطلب العلم من مسكنه إلى مصر، وتعلم من خاله الإمام المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، تلميذ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان الطحاويُّ شافعيًّا، ثم لما جلس في مجلس أحمد بن أبي عمران الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ القاضي بمصر[٢]، تأثر من صحبته وانتقل إلى المسلك الحنفي.

قال محمد بن أحمد الشُّرُوطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سألته عن سبب هذا الانتقال، فقال: إن خالي المزني كثيرًا ما يطالع كتب الأحناف ويستفيد منها، فلذا رغبتُ إلى مطالعتها وتأثَّرت عنها وانتقلت إلى مسلك الأحناف». وأيضا لما نقد القاضي بكار بن قتيبة الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، الإمام المزني، وطالعه الطحاوي وتأثر، فكان هذا سببًا ثانيًا لهذا الانتقال.

---

(١) هو الإمام العلامة، فقيه الملة علم الزهاد، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد سنة ١٧٥هـ وتوفي سنة ٢٦٤هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٢/ ٤٩٢.

(٢) هو الإمام الفقيه المحدث القاضي، أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في حدود المائتين، وتوفي سنة ٢٨٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ١٣/ ٣٣٤.

(٣) هو الإمام المحدث العلامة القاضي، بكار بن قتيبة بن أسد البكراوي البصري الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد سنة ١٨٢هـ، وتوفي سنة ٢٧٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ١٢/ ٥٩٩.

....

فإذا علمتَ هذا، فلا تلتفت إلى الروايات الكاذبة المنقولة في الباب، كما بيّن الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «اللسان»: «أن المزني شرح مسألة دقيقة عند الطحاوي مرارًا ولكن لما لم يفهم الطحاوي، ضاق صدر المزني فوبخه وزجره، فمل الطحاوي وترك مسلكه وارتحل إلى أحمد قاضي القضاة بمصر، واختار مسلك الأحناف»[1].

فهذا كذب محض بوجوه:

الأول: أن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ والحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ قد ذكرا أن أحمد بن أبي عمران تولى منصب القضاء بمصر بعد وفاة القاضي بكار، المتوفى ٢٧٠هـ، ووفاة المزني كان قبل ذلك في ٢٦٤هـ، فكيف يمكن أن يذهب الطحاوي إلى أحمد القاضي بمصر لزجر المزني؟

الثاني: أن الطحاوي كان ذكيًّا جدًّا، فكيف لم يفهم مسألة دقيقة مع أن المزني بيَّنها مرة بعد مرة؟

الثالث: أن المزني كان تلميذًا للإمام الشافعي، الشفيق على الطالبين، والحريص على أفهامهم، ولم يكن زاجرًا لهم، حتى أن الربيع المرادي أحد تلاميذه كان بليدًا جدًّا، وبيَّن الإمام الشافعي مسألةً أربعين مرة ولكن لمَّا لم يفهم، وقصر عن إدراك مرامه، فقال له: عليك أن تأتيَني في وقت الفراغ، فلما حضر عنده بيَّن الشافعي بحيث أفهمه، فسر الربيع جدًّا.

هذا هو خلق الأستاذ فكيف لا يكون التلميذ هكذا مع أن الأستاذ كان خالًا للطحاوي وشفيقًا عليه؟

---

(١) في: «لسان الميزان»: ١/ ٢٧٥.

....

والحقيقة أن الأسلاف كانوا طالبين للحق، وهاربين عن شوائب النفسانية، ومصاديق «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها»(١).

فلذا ترى بعض أكابر الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة أنهم يسلكون مسلكًا، أو يأخذون قولًا، ثم يكونون مطمئنين بمسلكٍ أو قولٍ آخر، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا من تسليمه، فهذا التحويل من الطحاوي ليس من الأهواء ـ حاشاه الله ـ، بل هم مستغرقون في بحر الخشية والتقوى، وطالبون للآخرة، نافرون عن التعصُّب والتحزُّب، فكيف يفتخر العوام كالأنعام بهذا؟

ولا مساغ لنا أن نتركَ تقليدَ أئمة الهدى، لأن الطحاوي مع أنه مجتهدٌ ومجددٌ لكنه مقلدٌ في الأصول للإمام، ونحن لا نعلم شيئًا فكيف يجوز لنا أن نتخذَ ديننا هزوًا ولعبًا؟(٢)

وكان الطحاوي بواسطة المزني تلميذًا للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبواسطتهما للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم بواسطتهم لإمامنا الأعظم أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان من سادات الحنفية.

والإمام الطحاوي من المشايخ العظام، والجهابذة الكرام من كبراء مصر،

(١) حديثٌ، أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٢٨٨٢، وابن ماجه في أبواب: الزهد، باب: الحكمة: ٤١٦٩، من حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) ومن أفضل الكتب من في هذا الموضوع هو: «خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق» للشيخ العلامة عبد الغني النابلسي، المتوفى ١١٤٣هـ و«الاقتصاد في التجليد والاجتهاد» للإمام العلامة أشرف علي التهانوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنه للأسف باللغة الأردية، نسأل الله أن يسخر لنا من يترجمه إلى اللغة العربية.

....

واليمن، والبصرة، والكوفة، والشام، والحجاز، وخراسان، وغيرها، وهكذا تلاميذه الكبار كثيرون.

والطحاويُّ إمامٌ في الحديثِ، والفقهِ، ومجتهدٌ، ومجددٌ على ما قاله كثير من المشايخ، والمحدثين، والفقهاء، والمشاهير، منهم: ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة يافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والمحدث الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأبو بكر الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحافظ المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم.

وأن الطحاوي قد نقده الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحافظ ابن حجر العسقلاني، لكن جرحهم لا يوازن تعديل أولئك المشايخ الكبار.

وتصانيف الطحاوي كثيرة. قال الملا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول التأليفات له:

١ ـ «شرح معاني الآثار»، وقال الحافظ العيني هو راجح على «الجامع» للترمذي، و«سنن أبي داود»، و«سنن ابن ماجه»، وقال العلامة ابن حزم الظاهري: بل هو راجح على «الموطأ» للإمام مالك، والحاصل أن الخصائص الكبرى لـ«معاني الآثار»، ومزاياها العظمى لا تحصى.

٢ ـ «مشكل الآثار»،

٣ ـ «أحكام القرآن»،

٤ ـ «الشروط الكبير»،

....

٥ ـ «الشروط الوسيط»،

٦ ـ «الشروط الصغير»،

٧ ـ «كتاب في النحل وأحكامها»،

٨ ـ «شرح المغني»،

٩ ـ «نقض كتاب المدلسين»،

١٠ ـ «اختلاف العلماء»،

١١ ـ «الرد على عبيد»،

١٢ ـ «الرد على عيسى بن أبان»،

١٣ ـ «جزء في الرؤية»،

١٤ ـ «النوادر الفقهية»،

١٥ ـ «النوادر والحكايات»،

١٦ ـ «جزء في حكم أرض مكة»،

١٧ ـ «جزء في قسمة الفيء والغنائم»،

١٨ ـ «كتاب الأشربة»،

١٩ ـ «كتاب المحاضرات والسجلات»،

٢٠ ـ «كتاب الوصايا»،

٢١ ـ «كتاب الفرائض»،

....

٢٢ ـ «كتاب التسوية بين حدثنا وأخبرنا»،

٢٣ ـ «كتاب صحيح الآثار»،

٢٤ ـ «مختصر الإمام الطحاوي»،

٢٥ ـ «سنن الشافعي»،

٢٦ ـ «شرح الجامع الصغير»،

٢٧ ـ «شرح الجامع الكبير»،

٢٨ ـ «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»،

٢٩ ـ «اختلافات الروايات على مذهب الكوفيين»،

٣٠ ـ «عقيدة الطحاوي».

وشروح «عقيدة الطحاوي» كثيرة، منها ما طبع بمصر في المطبعة السلفية، ولكن اسم الشارح غير مكتوب عليه[١]، والأغلب أنه صدر الدين، علي بن محمد ابن أبي[٢] العز الأزدي الدمشقي الحنفي، المتوفى ٧٤٦هـ[٣]. وهو تلميذ للعلامة

(١) وهي طبعة التي طبعتْ بمصر بتحقيق الشيخ أحمد شاكر سنة ١٣٧٣هـ.

(٢) في الأصل: «بن العز» والصحيح ما أثبتُّه.

(٣) قال محقق العصر الشيخ زاهد الكوثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طبع شرح لمجهول ينسب إلى المذهب الحنفي زورًا، ينادي صنع يده بأنه جاهل بهذا الفن وأنه حشوي مختل العيار»، انظر: حاشية المؤلف على «الحاوي» صـ١١٠.

قلت: أما كون ابن أبي العز مجهولًا فهو ليس كمال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد ترجم له غير واحد من العلماء، وقد تولى التدريس والقضاء بدمشق المحروسة. وأما كونه على المذهب الحنفي أصولًا وفروعًا ففيه كلام، ففي الفقه قد هاجم المذهب وأصحابه في كتبه، مثل مقدمة رسالته «الاتباع» حيث رد =

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْـجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ ٱلْمِلَّةِ: ....

الحافظ عماد الدين ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال صاحب «كشف الظنون»: «أن صدر الدين المذكور، من أفاضل علماء الأحناف»(١) (٢).

قوله (أهل السنة والجماعة):

هي الجماعة التي قامت على طريقٍ ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه، كما روى عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة،** قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي»**(٣).

= على من يرجّح المذهب الحنفي، وهذا غريب من فقيهٍ، بل من عالم من العلماء. وقد تم تعزيره بأمر من سلطان وقته لإنكار علماء بالديار المصرية، وعلماء المذهب الحنفي، وقضاة وعلماء من المذاهب عليه لاعتراضه على قصيدة علي الصفدي في مدح النبي ﷺ.

وأما اتجاهه في الأصول: فليس له أي علاقة بعقائد الأئمة الحنفية ولا بالطحاوي أبدًا، فإنه في الأصول مقلدٌ للحافظ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتابه «شرح العقيدة الطحاوية» لا يخرج عن أقوال تيمية وأقوال تلميذه ابن القيم ألبتة. وينظر حاشية عبد العزيز آل عبد اللطيف على «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز حيث عزا كلام ابن أبي العز إلى كتب ابن تيمية وابن القيم كلها، ويُلاحظ أنه أحيانًا ينقل من كتبهما حرفًا حرفًا.

(١) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»: ٢/ ١١٤٣.

(٢) لعل المؤلف اعتمد للترجمة على «الحاوي في سيرة الإمام الطحاوي» للشيخ زاهد الكوثري.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب: الإيمان، باب: افتراق هذه الأمة: ٢٨٣٢، من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وقد أخرجه في مواضع أخرى من كتابه. ولشيخنا المحدث الكبير، مولانا محمد يونس الجونفوري رَحِمَهُ اللَّهُ، المتوفى ١٤٣٨هـ «جزء تخريج حديث تفرقت أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة»، وذكر أن هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة، بلغ عددهم ١٥ صحابيًّا.

....

وفي رواية أحمد وأبي داود: «وهي الجماعة»[١].

وفي رواية: «من كان على السنة والجماعة»[٢].

ففيه إشارة على أن لقب أهل الحق بـ«أهل السنة والجماعة» مأخوذ من قول النبي ﷺ، وهذا اللقب مركب من جزءين؛ منهاج السنة المراد من: ما، والذوات القدسية المراد من: الجماعة.

فمعيار الحق: السنة وأهلها، لا إحداهما فقط. لأن الله أنزل كتبًا وصحائفَ، وأرسل معها الأنبياء والرسل، بل عددهم أكثر من الكتب والصحائف، فالسنة وأهلها متلازمان وهذا دين قيم، وصراط مستقيم، معتدل متوسط بين الإفراط والتفريط، والجامع بين الجذب والسلوك، والعقل والنقل، والمراد من الاختلاف بين الفِرَق: اختلاف الأصول، لا اختلاف الفروع، وإلا ازداد عدد الفرق على ثلاث وسبعين.

والمراد من قوله ﷺ: «كلهم في النار» أنهم يعذبون عذابًا شديدًا لفساد اعتقادهم، وسوء أعمالهم، بخلاف الفسَّاق من أهل السنة والجماعة، فإنهم يعذبون لسوء أعمالهم.

ونقل صاحب «المدارك» تحت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] حديثًا وهو أن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: شرح السنة: ٤٥٩٧، من حديث سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) لم أجد هذه الرواية في كتب الحديث، إنما ورد حديثًا في «الفتاوى التاترخانية» عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من كان على السنة والجماعة استجاب الله دعاءه وكتب له بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ورفع له عشر درجات».

رسول الله ﷺ: خطَّ خطًّا مستقيمًا فقال: «هذا طريق الرشد والهداية فاتبعوه»، ثم خط ستة خطوط عن جنبيه فقال: «هذه طرق الشياطين فاجتنبوها»[(١)].

بيان أهل السنة والجماعة والفرق الأخرى

عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)] أن أهل السنة والجماعة من كان فيه عشر خصال:

١ ـ تفضيل الشيخين (أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)

٢ ـ وتوقير الختنين (عثمان وعلي رضي الله عنهما)

٣ ـ وتعظيم القبلتين (الكعبة وبيت المقدس)

٤ ـ والصلاة على الجنازتين (الرجل التقي والفاسق)

٥ ـ والصلاة خلف الإمامين (الإمام الصالح والفاسق)

٦ ـ وترك الخروج على الإمامين (السلطان العادل والجائر)

٧ ـ والمسح على الخفين

٨ ـ والقول بالتقديرين (الخير والشر)

٩ ـ والإمساك عن الشهادتين (شهادة الجنة والنار لأحد من المؤمنين إلا الأنبياء والعشرة المبشرة)

---

(١) في «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»: ١/ ٥٤٨، والحديث أخرجه الحاكم بمعناه في «المستدرك»: ٢٩٧٩، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) وفي مراجع عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

....

١٠ ـ وأداء الفريضتين (الصلاة والزكاة)[١].

ولا انحصار فيها، بل هي معظمات الشعائر لأهل السنة والجماعة وإلا رؤية الله، وأحوال القبر والبرزخ، أيضًا من شعائرهم، أو يقال: إنها شرائط، وما سواها فهي من خصائصهم.

والفرق الضالة المختلفة في الأصول ستة:

١ ـ الرافضة[٢]

٢ ـ الحرورية[٣]

٣ ـ الجبرية[٤]

٤ ـ القدرية[٥]

٥ ـ الجهمية[٦]

٦ ـ المرجئة[٧]

---

(١) ذُكرتْ هذه العشر خصال في: «بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية»: ١/ ٢٧٩، وذكرت ثلاث منها عن سيدنا أنس بن مالك ﵁ في «شرح العقائد النسفية»: صـ٣٤٦، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: ٢/ ٤٧٢.

(٢) هم غلاة الشيعة يتشيعون لأهل البيت ويخالفون أهل السنة في كل شيء!

(٣) من ألقاب الخوارج، هم الذين يخرجون عن الإمام الحق المتفق عليه!

(٤) هم الذين يقولون: إن العبد مجبور على فعل وليس له اختيار، وهم غلاة القدرية!

(٥) هم الذين يقولون: إن الله لا يقدر الخير والشر ـ أو الشر فقط ـ والعبد خالق الفعل!

(٦) هم أصحاب جهم بن صفوان، قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً، لا مؤثرة، ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى!

(٧) هم الذين يقولون لا يضر الإيمان المعصية، والإيمان بالقلب فقط!

ثم كل واحدة منها تَنْشَعِب على اثنتي عشرة فرقة:

فرق الروافض:

١ ـ العلوية[١]

٢ ـ الأمرية[٢]

٣ ـ الشيعية[٣]

٤ ـ الإسحاقية[٤]

٥ ـ الزيدية[٥]

٦ ـ العباسية[٦]

٧ ـ الإمامية[٧]

٨ ـ المتناسخة[٨]

---

(١) هي الفرقة التي زعمت أن الرسالة كانت إلى علي رضي الله عنه وأن جبرائيل أخطأ!

(٢) هي الفرقة التي زعمت أن عليًّا رضي الله عنه شريك محمد ﷺ في أمره!

(٣) هي الفرقة التي زعمت أن عليًّا رضي الله عنه وصيُّ رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره!

(٤) هي الفرقة التي زعمت أن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي!

(٥) هي الفرقة التي زعمت أن أولاد الحسين رضي الله عنه كلهم أئمة في الصلوات ولا صلاة خلف غيره!

(٦) هي الفرقة التي زعمت أن العباس رضي الله عنه كان أولى بالخلافة من غيره!

(٧) هي الفرقة التي زعمت أنه لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين رضي الله عنه!

(٨) هي الفرقة التي زعمت أن الأرواح تتناسخ فمن كان محسنًا خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه!

....

٩ ـ الرجعية[١]

١٠ ـ اللاعنة[٢]

١١ ـ المتربصة[٣]

١٢ ـ الناووسية[٤]

فرق الحرورية:

١ ـ الأزرقية[٥]

٢ ـ الإباضية[٦]

٣ ـ الثعلبية[٧]

٤ ـ الحازمية[٨]

٥ ـ الخلفية[٩]

---

(١) هي الفرقة التي زعمت أن عليًا رضي الله عنه وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم!

(٢) هي الفرقة التي تلعن عثمان، وطلحة، والزبير، ومعاوية، وأبا موسى، وعائشة رضي الله عنهم وغيرهم!

(٣) هي الفرقة التي تشبه أهلها بزي النساك، ونصبوا في كل عصر رجلاً ينسبون إليه الأمر، وأنه مهدي هذه الأمة!

(٤) هي الفرقة التي زعمت أن عليا رضي الله عنه أفضل الأمة، فمن فضل غيره عليه، كفر!

(٥) هي الفرقة التي زعمت أن الأمة، غير من عاصر الوحي، هم المسلمون وليسوا بمؤمنين!

(٦) هي الفرقة التي زعمت أن من أخذ بقولهم فهو مؤمن ومن لم يأخذ فهو كافر!

(٧) هي الفرقة التي زعمت أن الله لم يقض ولم يقدر!

(٨) هي الفرقة التي زعمت أننا لا ندري ما الإيمان، والخلق كلهم معذورون!

(٩) هي الفرقة التي زعمت أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى؛ فقد كفر!

٦ ـ الكوزية[١]

٧ ـ المعتزلة من الحرورية[٢]

٨ ـ الميمونية[٣]

٩ ـ الكنزية[٤]

١٠ ـ الحكمية[٥]

١١ ـ الأخنسية[٦]

١٢ ـ الشمراخية[٧]

فرق الجبرية:

١ ـ المضطرية[٨]

---

(١) هي الفرقة التي زعمت أنه ليس لأحد أن يمس أحدًا، لأنه لا يعرف الطاهر من النجس! ولا أن يؤاكله حتى يغتسل ويتوب!

(٢) هي الفرقة زعمت أن الأمر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما اشتبه علينا فنتبرأ من الفريقين!

(٣) هي الفرقة التي زعمت بوجوب قتال السلطان، وإباحة نكاح بنات البنات، وأنكرت كون سورة يوسف من القرآن!

(٤) هي الفرقة التي زعمت أنه ليس لأحد أن يعطي أحدًا ماله لأنه لا يعرف هل هو مستحقٌّ أم لا، فيكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق!

(٥) هي الفرقة التي زعمت أن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر!

(٦) هي الفرقة التي زعمت أنه لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر!

(٧) هي الفرقة التي زعمت أنه لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين!

(٨) هي الفرقة التي زعمت أن الله يفعل الكل ولا فعل للآدمي!

....

٢ ـ الأفعالية(١)

٣ ـ المفروغية(٢)

٤ ـ النجارية(٣)

٥ ـ المنانية(٤)

٦ ـ الكسلية(٥)

٧ ـ السابقية(٦)

٨ ـ الحبية(٧)

٩ ـ الخوفية(٨)

١٠ ـ الفكرية(٩)

١١ ـ الحسبية(١٠)

---

(١) هي الفرقة التي زعمت أن الأعمال لنا ولا استطاعة لنا فيها، ونحن كالبهائم تقاد بالحبل!

(٢) هي الفرقة التي زعمت أن كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شيء!

(٣) هي الفرقة التي زعمت أن الله تعالى يعذب الناس على فعله لا على فعلهم!

(٤) هي الفرقة التي زعمت أن العبد يفعل ما يخطر بقلبه، فليفعل ما توسَّمَ منه الخير!

(٥) هي الفرقة التي زعمت أنه لا يكسب العبد ثوابًا ولا عقابًا!

(٦) هي الفرقة التي زعمت أن من شاء فليعمل ومن شاء لم يعمل، والسعيد لا تضره ذنوبه والشقي لا ينفعه بره!

(٧) هي الفرقة التي زعمت أن من شرب كأس محبة الله تعالى سقطت عنه عبادة الأركان!

(٨) هي الفرقة التي زعمت أن من أحب الله لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه!

(٩) هي الفرقة التي زعمت أن من ازداد علما سقط عنه بقدر ذلك من العبادة!

(١٠) هي الفرقة التي زعمت أن الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم مما ورثهم أبوهم آدم!

....

١٢ ـ المعية[(١)]

فرق القدرية:

١ ـ الأحمدية[(٢)]

٢ ـ الثنوية[(٣)]

٣ ـ الكيسانية[(٤)]

٤ ـ الشيطانية[(٥)]

٥ ـ الشريكية[(٦)]

٦ ـ الوهمية[(٧)]

٧ ـ الريوندية[(٨)]

٨ ـ الناكثية[(٩)]

(١) هي الفرقة التي زعمت أن الفعل لنا والاستطاعة لنا أيضًا!

(٢) هي الفرقة التي زعمت أن في شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم!

(٣) هي الفرقة التي زعمت أن الخير من الله، والشر من إبليس!

(٤) هي الفرقة التي زعمت أننا لا نعلم أن هذه الأفعال من الله أم من العباد، ولا نعلم أيُثاب الناس بعد الموت أم يعاقبون!

(٥) هي الفرقة التي زعمت أن الله لم يخلق الشيطان!

(٦) هي الفرقة التي زعمت أن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر!

(٧) هي الفرقة التي زعمت أن ليس للأفعال والكلام ذات، ولا للحسنات والسيئات ذات!

(٨) هي الفرقة التي زعمت أن كل كتاب نزل من الله تعالى، فالعمل به حق ناسخًا كان أو منسوخًا!

(٩) هي الفرقة التي زعمت أن من نكث بيعة رسول الله فلا إثم عليه!

....

٩ ـ المنبرية[١]

١٠ ـ القاسطية[٢]

١١ ـ النظامية[٣]

١٢ ـ المعتزلة[٤]

فرق الجهمية:

١ ـ المخلوقية[٥]

٢ ـ القبرية[٦]

٣ ـ الواقفة[٧]

٤ ـ العيرية[٨]

٥ ـ الزنادقة[٩]

---

(١) هي الفرقة التي زعمت أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته!
(٢) هي الفرقة التي فضلت طلب الدنيا على الزهد فيها!
(٣) هي الفرقة التي قالت إن من زعم أن الله شيء فهو كافر!
(٤) هي الفرقة التي زعمت أن القرآن مخلوق وجحدوا الرؤية!
(٥) هي الفرقة التي زعمت أن القرآن مخلوق!
(٦) هي الفرقة التي زعمت بإنكار عذاب القبر والشفاعة!
(٧) هي الفرقة التي زعمت أن القرآن ليس بمخلوق ولا غير مخلوق!
(٨) هي التي زعمت أن الرسل حكماء، وجحدتهم!
(٩) هي الفرقة التي زعمت أن ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربًّا، لأن الإثبات بإدراك الحواس، وما لا يُدرك فليس بإله!

....

٦ ـ اللفظية[(١)]

٧ ـ المريسية[(٢)]

٨ ـ الملتزقة[(٣)]

٩ ـ الواردية[(٤)]

١٠ ـ الفانية[(٥)]

١١ ـ الحرقية[(٦)]

١٢ ـ المعطلة[(٧)]

فرق المرجئة:

١ ـ التاركية[(٨)]

٢ ـ السائبية[(٩)]

٣ ـ الراجية[(١٠)]

---

(١) هي الفرقة التي زعمت أن لفظنا بالقرآن مخلوق!

(٢) هي الفرقة التي زعمت أن أكثر صفات الله مخلوقة!

(٣) هي الفرقة التي زعمت أن الله تعالى في كل مكان!

(٤) هي الفرقة التي زعمت أنه لا يدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبدًا!

(٥) هي الفرقة التي زعمت أن الجنة والنار يفنيان!

(٦) هي الفرقة التي زعمت أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقًا أبدًا لا يجد حر النار!

(٧) هي الفرقة التي زعمت أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، وأن من ادعى أن الله يرى فهو كافر!

(٨) هي الفرقة التي زعمت أن ليس لله على خلقه فريضة سوى الإيمان به ثم يفعل ما يشاء!

(٩) هي الفرقة التي زعمت أن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا!

(١٠) هي الفرقة التي زعمت أنه لا يُسمى الطائع طائعًا ولا العاصي عاصيًا لأن علمه عند الله!

....

٤ ـ الشاكية[١]

٥ ـ البيهسية[٢]

٦ ـ العملية[٣]

٧ ـ المنقوصية[٤]

٨ ـ المستثنية[٥]

٩ ـ المشبهة[٦]

١٠ ـ الحشوية[٧]

١١ ـ الظاهرية[٨]

١٢ ـ البدعية[٩] [١٠]

(١) هي الفرقة التي زعمت أن الطاعات ليست من الإيمان!
(٢) هي الفرقة التي زعمت أن الإيمان هو العلم، فمن لا يعلم الحلال من الحرام فهو كافر!
(٣) هي الفرقة التي زعمت أن الإيمان هو العمل!
(٤) هي الفرقة التي زعمت أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص!
(٥) هي الفرقة التي زعمت بنفي الاستثناء في الإيمان!
(٦) هي الفرقة التي زعمت أن يد الله كيدي، وصفات الله كصفاتي!
(٧) هي الفرقة التي زعمت أن حكم الأحاديث كلها واحدٌ فتاركُ النفل كتارك الفرض!
(٨) هي الفرقة التي زعمت بنفي القياس والاجتهاد، والعمل بالقرآن والأخبار فقط!
(٩) هي الفرقة التي أول من ابتدعت الأحداث في هذه الأمة!
(١٠) أثبتُّ أسماء الفرق والتعريف من كتاب «شرح وبيان وآثار وعلامات الاثنين وسبعين فرقة» للإمام محمد بن حميد الدين البلخي، المتوفى ٧٠٢هـ وهو ما زال في قيد المخطوط وعندي نسخة منه، و«تلبيس إبليس» صـ١٢١-١٣٣، وذلك لأني وجدتُّ في الأصل أن أسماء الفرق قد تحرفت.

....

وقال بعض العلماء إن المعطلةَ أصلٌ والجهمية من شعبه، والمشبهة أصلٌ والمرجئة من شعبه، وعند البعض: الفرق الباطلة اثنتا عشرة، ولكل واحدة منها ست شعب.

وبين صاحب «المواقف» أن الفرق الضالة سبعة[١]، والفرقة الناجية واحدة:

١ ـ المعتزلة[٢]

٢ ـ الشيعة

٣ ـ الخوارج

٤ ـ المرجئة

٥ ـ النجارية[٣]

٦ ـ الجبرية

٧ ـ المشبهة[٤]

والفرقة الناجية المستثناة:

١ ـ أهل السنة الأشاعرة، السلف من المحدثين، أهل السنة والجماعة.

---

(١) في (أ): (أن الفرق الضالة ثمانية)، والصحيح ما أثبته من المصدر.

(٢) هم أصحاب واصل بن عطاء العزال، الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين منزلتين. «المواقف في علم الكلام»: صـ٤١٥

(٣) هم أصحاب محمد بن الحصين النجار، موافقون لأهل السنة في خلق الأفعال وأن الاستطاعة مع الفعل، ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام. «المواقف في علم الكلام»: صـ٤٢٨

(٤) شبهوا الله بالمخلوقات، وقال بعضهم إن له جسمًا. «المواقف في علم الكلام»: صـ٤٢٩

....

ثم لكل واحدة من المعتزلة والخوارج عشرون فرقة، والشيعة اثنتان وعشرون فرقة، وللمرجئة والمشبهة خمس فرقة، والنجارية ثلاث فرق، والجبرية فرقة واحدة[1].

الأمور الفارقة بينها

الروافض:

١ ـ ييأسون من روح الله

٢ ـ ويسبون الصحابة، خصوصًا الشيخين، وطلحة، والزبير، إلا عليًا رضي الله عنهم.

٣ ـ يفضلون فاطمة على عائشة رضي الله عنهما.

٤ ـ وينكرون وقوع الطلقات الثلاث بلفظٍ واحدٍ.

٥ ـ وينكرون سنة الإقامة والجماعة للصلاة.

٦ ـ ومسح الخفين.

٧ ـ والتراويح.

٨ ـ ووضع اليد اليمنى على اليسرى في القيام للصلاة.

٩ ـ والتعجيل لصلاة المغرب.

١٠ ـ وإفطار الصوم.

الخوارج:

١ ـ يكفرون أهل القبلة مع المعصية.

---

(١) «المواقف في علم الكلام»: صـ٤١٥-٤٢٩.

....

٢ ـ يُجوِّزون الخروج على السلطان الجائر.

٣ ـ ويلعنون على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤ ـ وينكرون سنة الجماعة والصلاة.

الجبرية يقولون:

١ ـ إن الإنسانَ مجبورٌ محض كالمدر والحجر لا اختيار للعبد في الأفعال كلها فلا يثاب ولا يعاقب.

٢ ـ وإن المال محبوب عند الله.

٣ ـ وتوفيق الله يكون بعد أفعال العباد.

٤ ـ وينكرون: المعراج الجسماني،

٥ ـ والعهد والميثاق،

٦ ـ ووجوب صلاة الجنازة.

القدرية يقولون:

١ ـ إن الإنسان فاعل بالاختيار حقيقة، لا دخل فيها لله.

٢ ـ ويَجُوز أن يكون الفعل كفرًا عند الله، وهو إيمان عند العبد.

٣ ـ وتوفيق الله يكون قبل فعل العبد.

٤ ـ وينكرون: المعراج الجسماني،

....

٥ ـ والعهد والميثاق،

٦ ـ ووجوب صلاة الجنازة.

الجهمية يقولون:

١ ـ إن تعلق الإيمان بالجنان فقط لا باللسان، بأي وجه كان.

٢ ـ ويتعلق قبض الأرواح بالله فقط، لا بملائكة الموت، لأنهم:

٣ ـ ينكرون ملك الموت

٤ ـ وينكرون عالم البرزخ

٥ ـ وسؤال النكيرين

٦ ـ والحوض الكوثر، ويقولون: إنها تخيلات محضة.

المرجئة يقولون:

١ ـ إن الله خلق آدم على صورته.

٢ ـ والعرش مكان لله.

٣ ـ والإيمان كاف للنجاة، لا نفع لطاعة ولا ضرر عن معصية.

٤ ـ والنساء مثل رياحين الروضة، من شاء أن يتمتع بها فلا حاجة إلى نكاح، وغيره.

هذا هو البيان للفرق الضالة، قد ذكرناه لإفادة الطالبين وإلا فأكثر الفرق لا وجود لها اليوم إلا في الكتب، وكل حزبٍ بما لديهم فرحون.

أَبِي حَنِيْفَةَ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ ٱلْكُوفِيِّ ....

قوله (أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي):

الإمام الأعظم، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن المَرْزُبَان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أبناء فارس الأحرار.

ولد في عام ٧٠هـ وهو الأصح، وفيه أقوال أخرى، وهو أكبر سنًّا من الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه ولد في ٩٥هـ، ووفاة أبي حنيفة في ١٥٠هـ.

قد حجَّ بيت الله الحرام مع أبيه في ٨٧هـ، ولقي عبد الله بن الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصحابي، وروى عنه، وقال ابن حجر العسقلاني وغيره من كبار المحدثين: أنه رأى أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم حج في ٩٣هـ ولقي بعض الصحابة، بل على قول «الدر المختار» رأى عشرين صحابيًّا، وفي «الإكمال» أنه زار ستًّا وعشرين صحابيًّا، وفي مسكنه الكوفة جاء عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والحاصل أنه من أجلة التابعين.

وله الروايات الوحدانيات، بينه وبين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسطة واحدة، وهذه الفضيلة غير حاصلة لمن بعده، بل لكثير من معاصريه.

قال مجد الدين الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] إن أبا حنيفة كان لقبًا لعشرين فقيهًا، ولكن اشتهر لأفقههم النعمان بن ثابت الكوفي، وأنه رأى في صباه أنه ينبش قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخرج منه عظامه، فعبر محمد بن سيرين[٢] أن الرائي يحفظ وينشر سنن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العالم.

---

(١) هو العلامة اللغوي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب «القاموس المحيط»، ولد سنة ٧٢٩هـ وتوفي سنة ٨١٧هـ. انظر: «معجم المؤلفين»: ١٢/ ١١٨.

(٢) هو الإمام الكبير، أبو بكر محمد بن سيرين البصري، التابعي الكبير، وإمام في التفسير والحديث وتعبير الرؤيا. ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١١٠هـ. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات»: ١/ ٨٢.

....

وقال جلال الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مصداق هذا الحديث، «**لو كان العلم بالثريا، لناله رجل من أبناء فارس**»[١].

واستفاد منه رجال كثيرون، وتلاميذه زائدون على أربعة آلاف، وقال العلامة ابن حجر المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتلمذ على أبي حنيفة، وكلما حضر في المدينة المنورة استفاد منه مالك وتذاكر معه، ومرة واحدة تذاكر إلى آخر الليل فسأل الناس عن هذا، فقال مالك: إن أبا حنيفة لو أراد أن يدعي أن عمود الخشبة من ذهب فيقدر عليه».

واستفاد مالك من كتبه ومسائله المستخرجة كثيرًا، حتى قيل: إنه استفاد منه في ستين ألف مسألة.

ومشايخ أبي حنيفة أربعة آلاف، بعضهم صاحَب رسول الله ﷺ، ولكن أكثرهم تابعون أو تابعوهم، والأستاذ الخاص منهم حمَّاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، تلميذ إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، وكان أبو حنيفة يلازم صحبته، ويجلس أمامه في الدرس، ويتولى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: سورة الجمعة: ٤٨٩٧، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل فارس: ٢٥٤٦، من حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الإمام شهاب الدين ابن حجر الهيتمي، المتوفى ٩٧٣هـ في «الخيرات الحسان»: صـ١٥-١٦: «قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي: هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفي الفضيلة التامة له». وقال في موقع آخر في كتابه: «قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر، لا شك فيه! لأنه لم يبلغ أحد ـ أي في زمنه ـ من أبناء فارس في العلم مبلغه».

(٢) هو الإمام الفقيه، حماد بن أبي سليمان الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من كبار فقهاء التابعين، وهو شيخ أبي حنيفة ومعلمه، لازمه ما يقارب ١٨ سنة وتفقه به، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٥/ ٢٣١.

(٣) هو الإمام الفقيه الحافظ، إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من كبار قراء وفقهاء التابعين، ولد سنة ٤٧هـ وتوفي سنة ٩٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٤/ ٥٢٠.

....

منصب الإفتاء في غيبوبته، ويصدقه الأستاذ في أكثر فتاواه بعد القدوم، حتى كان أبو حنيفة أحب التلامذة إليه، وسأل إسماعيل بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أباه مرة: من أحب الناس عندك؟ فقال: أبو حنيفة!

وكان أبو حنيفة أذكى الناس وأعلمهم في زمانه، فقال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) وأبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كان أبو حنيفة أعظم الناس وأذكاهم».

وقال خارجة بن مصعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «لقيت من العلماء أكثر من ألف، ولكن ما رأيت أحدًا مثله».

واستخف رجل أبا حنيفة عند عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «هات مثله وإلا فاتركني ولا تملني، لأني رأيت الأكابر أصاغر(٤) في مجلسه وما رأيتني حقيرًا في مجلس أحد مثل ما رأيت في مجلسه».

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يخالف أبا حنيفة إلا من يساويه في علمه، ومن هو؟».

---

(١) هو الإمام القدوة، شيخ الإسلام، يزيد بن هارون السلمي الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تابعيٌّ وشيخ أئمة الحديث. ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ٢٠٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٩/ ٣٥٨.

(٢) هو الإمام الحافظ، المحدث القارئ، أبو بكر بن عياش الأسدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٩٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٨/ ٤٩٥.

(٣) هو شيخ خراسان، الإمام المحدث خارجة بن مصعب الضبعي السرخسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد سنة ٩٠هـ وتوفي سنة ١٦٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٧/ ٣٢٧.

(٤) في الأصل: «رأيت أكابر أصاغر..»، والصحيح كما ذُكر في عدة مصادر، كـ«مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة» للإمام الموفق بن أحمد المكي: ٢/ ٥٢ أنه قال: «رأيت الأكابر في مجلس أبي حنيفة صغارًا».

....

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أعلم الناس في زمانه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم أبو حنيفة، وما رأيت مثل أبي حنيفة».

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبو حنيفة أمير المؤمنين في الحديث»، وقام عبد الله مرة على قبره وقال: «ترك حماد وإبراهيم خلفهما عند الموت، ولكن ما تركت خلفك»، ثم بكى بكاءً شديدًا! وقال: «لا تقولوا لأقواله الرأي بل هي التفسير».

وقال أبو علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «عرضت على أبي حنيفة الأحاديث التي سمعتها من الأساتذة فبين الأحوال لكل راوٍ، وقال: فلان قابل للأخذ وفلان قابل للترك، فالآن أتأسف على أنني لِمَ لَمْ أعرض الأحاديث كلها عليه».

وقال زهير بن معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «مجلسُ يومٍ عند أبي حنيفة أنفع من مجلس شهر عندي».

والإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سأل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي حنيفة فقال: «سبحان الله! هو أعجب الناس ما رأيت مثله».

وقال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا ليت حصل لي عُشر من فقه أبي حنيفة»، وقال: «لا نفع من سماع الحديث بغير الفقه، ولا فقاهة لكم حتى تجلسوا عند أصحاب أبي حنيفة».

وقال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ والأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهما من كبار المحدثين لأبي حنيفة: «نحن الصيادلة وأنتم الأطباء».

---

(١) هو الإمام عبد الله بن محمد ابن أبي فروة الأموي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد في حدود سنة ٩٠هـ وتوفي سنة ١٩٠هـ. انظر: «إكمال تهذيب الكمال»: ٨/ ١٧٤.

(٢) هو الإمام الحافظ المجود، زهير بن معاوية الجعفي الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٧٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٨/ ١٨١.

....

وقال أبو يوسف بعد وفاة أبي حنيفة: «لو حصل لي مجلس واحد عند أبي حنيفة لأعطيت نصف مالي، و كان المال عنده عشرين مائة ألف».

وقال الإمام الشافعي: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة».

وقال الإمام جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبو حنيفة أفقه من فقهاء الكوفة».

والحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عده من حفاظ الحديث في الطبقة الخامسة، والحافظ في الحديث يقال للمحدث الذي يحفظ مائة ألف رواية فصاعدًا مع الإسناد والمتن، والإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان حافظًا لست مائه ألف رواية مع أن المشايخ والأساتذة في الحديث له ألف، ولأبي حنيفة أربعة آلاف أستاذ في الحديث، فكيف لا يكون مائة ألف رواية محفوظة عنده؟

ولذا اعتمد عليه من أئمة الحديث يزيد بن هارون، وأبو بكر بن عياش، وابن أبي ليلى، ومسيب، وابن شريك، ويحيى بن معين، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وأبو علقمة، وعمر بن علاء، وعلى بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبو داود السجستاني، والإمام الأوزاعي، والقاضي الفضيل بن عياض، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج، والعلامة ابن الأثير الجزري، ووكيع بن الجراح، وعمرو بن دينار المكي، والحافظ ابن عبد البر المالكي، وغيرهم رحمهم الله.

وكذا سائر أصحاب كتب الحديث تلميذ له بالواسطة، كما خرج الحافظ ابن حجر وصاحب «مجمع البحار» روايات الترمذي، والنسائي عن أبي حنيفة، وصاحب «الخلاصة» خرج للنسائي وجزء البخاري، و«الشمائل» للترمذي روايات متعددة عنه، ولـ«مسند» أبي داود الطيالسي رواية، ولـ«معجم الطبراني» روايتين،

....

ولـ«مستدرك الحاكم» في الجزء الثاني رواية، وفي الجزء الثالث رواية، والدارقطني مع تعصبه للإمام الأعظم قد خرج الروايات في ثلاث وثلاثين موضعًا من طرقه، وذكر بعض المحدثين أن تلاميذه المختصين ثمان مائة، وذكروا أنسابهم وأحوالهم أيضًا ﷺ.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلاميذ الإمام قسمان: ١ ـ أصحاب الحديث، ٢ ـ أصحاب الفقه. قال الحافظ ابن حجر المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض الأئمة أن تلاميذه أكثر من تلاميذ الأئمة العظام كلهم، وقد روى عنه «مسند الإمام الأعظم» خمسمائة من تلاميذه، وأربعون من تلاميذه بلَغُوا درجة الاجتهاد، وحضروا في مجلس الإفتاء وتدوين الفقه، الذي جرى في خمس وعشرين أو ثلاثين سنة، ورتبت فيها خمسون ألف بعد اثنتي عشر مائة ألف مسألة، وفوض منصب القضاء والإفتاء إلى تلاميذه في كل بلد، فلذا شاع واشتهر فقهه.

فلا تلتفتوا إلى أقوال الحاسدين المعاندين الذين يقولون: إن أبا حنيفة قليلٌ في الحديثِ، والحفظِ، والعربيةِ، وعقيدتِه عقيدةِ المرجئةِ، ويُكثر القياس، والاستحسان، والحيل، لأن العناد والحسد من لوازم الكمال والفضل.

كما نقل الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أستاذه الحميدي: «إن أبا حنيفة تعلم من الحلاق في موسم الحج أربع سنن»، فعلم بذلك أنه قليل في الحديث مع أن فقهه شاع في الثلثين من الأمة الإسلامية، ولا يكون الدرك الكامل والمعرفة التامة بالفقه بدون الكمال في الحديث، لأن كل فقيه محدث، ولا عكس!

وإذا كانت المسائل المستخرجة لأبي حنيفة كثيرة فتكون أحاديثه كثيرة،

فلا يصح أن يقال أنه قليل المعرفة بالحديث، بل ثبت أنه كثير المعرفة بالحديث، ولكن الإمام قد كان مشتغلًا في الكلام والحديث، ولما رأى أن احتياج المسلمين إلى المسائل الفقهية أشد فاشتغل كلية بالفقه، وقال لتلميذه: «أعينوني! لأن الناس جعلوني صراطًا يمشون عليه فالذمة علي».

ثم الأحاديث نوعان:

أحدهما: ما تستنبط منه الأحكام،

وثانيهما: ما لا تتعلق به الأحكام، فوظيفة الفقيه الاشتغال بالأولى، وتلك قليلة جدا، فلا تكون قلة الروايات عيبا على الإطلاق.

كما أن الشيخين أبا بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما وإن امتازا رتبة بين الصحابة في رفاقته ﷺ، وعليّا المرتضى رضي الله عنه صاحبَ النبي ﷺ ليلًا ونهارًا أربعًا وعشرين سنة، وعبدَ الله بن مسعود رضي الله عنه الذي صاحبَه اثنتين وعشرين سنة ما كانوا مكثرين في الحديث، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مع مزيته وفضله على الصحابة كان يخشى كثرة الأحاديث، وروي عن عمر رضي الله عنه خمسمائة وخمس وأربعون رواية، وعن علي رضي الله عنه خمسمائة وست وثمانون رواية، وعن ابن مسعود رضي الله عنهما ثمانمائة وثمان وأربعون رواية، فروايات الخلفاء الراشدين وأجلة الصحابة أقل من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، وأنس رضي الله عنه، وجابر رضي الله عنه، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعائشة رضي الله عنها، لأن كل واحد منهم مكثرٌ في الحديث.

فالحاصل أن الإمام الأعظم ليس مقلًا في الحديث، وإن سُلم فليس هذا بعيب.

....

وأما قلة الحفظ فاتهام محض منسوب إلى الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والجواب على ما قاله العلامة العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الدارقطني قَبِل روايات الإمام في سننه، فعُلم منه أنه اعتمد على حفظ أبي حنيفة، وهذه النسبة خطأ»، والحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد عده من حفاظ الحديث، وقال شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أمير المؤمنين في الحديث».

وأيضًا شروط قبول الرواية عنده أشد من شروط سائر المحدثين، منها: أن الراوي يحفظ الرواية من وقت سماعها إلى أدائها إلى الغير، فكيف يكون سيء الحفظ؟ فهذا اتهام محض.

وهكذا لا يصح قول الحاسدين إنه ضعيف في العربية، لأن مسكنه العراق وهو مركز للنحو بل لأئمة النحو، والصحابة الكبار قدموا إلى العراق. والإمام تعلم الفصاحة والبلاغة هنا، فلذا قال أبو بكر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشعار أبي حنيفة ألطف وأفصح من أشعار الشافعي»، والظاهر أن الأشعار الفصيحة لا تكون بدون الفصاحة والبلاغة، وأبو سعيد السيرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأبو علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وابن جنِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء العربية والبلاغة لما شرحوا في كتبهم ألفاظ أبي حنيفة تعجبوا من براعته وبلاغته، وكان أبو سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المغالطة، لكن بعد ظهور الحال أظهَرَا التأسف والندامة، وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسد الناس أبا حنيفة فلذا نسبوا إليه الأغلاط».

وأما كونه على عقيدة المرجئة فنقول: إن الإرجاء نوعان:

الأول: إرجاء السنة: وهو ممدوح ومنسوب إليه، كما قال صاحب «الدراسات»: وأهل السنة هم المرجئة المرحومة خلافًا للخوارج والمعتزلة.

....

الثاني: إرجاء البدعة: وهو مذموم، وقائله الجماعة المسماة بـ: **المرجئة**، الملعونة الخوارج والمعتزلة، لا يصح نسبة الإمام الأعظم إليه.

والاستحسان، أيضا يُذكر في قدحه مع أن الاستحسان قياسٌ خفيٌّ لا يدركه إلا من كان عالمًا ماهرًا حتى أن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «إن للعلم عشر حصص، وتسع منها في الاستحسان»، وقال الإمام محمد: «نسلك مع أبي حنيفة في القياس ونتذاكر معه ولكن إذا قال من الاستحسان عجزنا»، وهذا من كمال حذاقته[1] لا من نقصان علمه.

والحيل نوعان: شرعية، وغير شرعية، ونسب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحيل غير الشرعية إلى الأحناف، ولكنه غير صحيح كما عده الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أغلاطه المنسوبة إلى أبي حنيفة وجعل عدم الاطلاع على مذهبه سببًا لذلك.

وتأليفات أبي حنيفة كثيرة، في «عقود الجمان»: «أن الإمام رتب مجموعًا في الفقه»، والعلامة الكوثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في حاشية «بلوغ الأماني»: «أن للإمام كتبًا متعددة، والمسانيد المنسوبة إلى الإمام إحدى وعشرون، ونسب بعض العلماء «كتاب الآثار» لأبي يوسف ومحمد وزفر إلى الإمام أيضًا».

ومن تصانيفه كتاب «الرأي» كما ذكره ابن أبي العوام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب «اختلاف الصحابة» كما ذكره أبو عاصم العامري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومسعود بن شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب «الجامع» كما ذكره العباس بن مصعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب «السير» وكتاب «الأوسط» و«الفقه الأوسط» وكتاب «الرد على القدرية» و«رسالة الإمام أبي عثمان في الإرجاء»

---

(١) في «القاموس المحيط»: الحِذاقة، بالكسر: تعلمه كله، ومهر فيه.

....

وكتاب «العالم والمتعلم» و«الفقه الأكبر» و«المكاتيب الوصايا». ولكن تصانيفه لا توجد الآن إلا الكتب الثلاثة الأخيرة، كما لا توجد تصانيف غيره من علماء الحديث والفقه في عصره خصوصا للأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وسفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ، وحماد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهشيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ومعمر رَحِمَهُ اللَّهُ، وجرير بن عبد الحميد رَحِمَهُ اللَّهُ، وعبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهم.

وكان أبو حنيفة مع هذا زاهدًا عابدًا، كما قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكثر الناس صلاة في زماننا أبو حنيفة».

وقال أبو عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقال لأبي حنيفة لكثرة الصلاة وتَدٌّ».

وقال أسد بن عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن أبا حنيفة يختم القرآن في ركعة من صلاة الليل وفي مكان توفي ختم القرآن سبعة آلاف مرة»، كذا قال مكي بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، وهو تلميذ لأبي حنيفة وأستاذ للبخاري، الذي يروي إحدى عشرة رواية من اثنين وعشرين ثلاثيات البخاري، وتسع منها مروية من راويين آخرين من الأحناف[2]، فبقيت روايتان رواهما البخاري من غير الأحناف. قال خارجة بن مصعب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ختم القرآن في الكعبة أربعة رجال: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.». وقال قاسم بن معن رَحِمَهُ اللَّهُ: «تلا أبو حنيفة آية: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]، فكررها في الليل كله

---

(١) هو الإمام مكي بن إبراهيم التميمي الحنظلي، المتوفى ٢١٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٩/ ٥٤٩.

(٢) وهما: ستٌّ للإمام أبي عاصم، الضحاك بن مخلد الشيباني النبيل، المتوفى ٢١٢هـ وهو تلميذ لأبي حنيفة، وثلاثٌ للإمام محمد بن عبد الله ابن أنس بن مالك الأنصاري، المتوفى ٢١٥هـ وهو تلميذ لأبي يوسف وزفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْأَنْصَارِيِّ ....

وبكى مسلسلا حتى أصبح»، وقال أبو مطيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيت أبا حنيفة وأبا سفيان الثوري يطوفان البيت في الليل كله».

وكان أبو حنيفة جوادًا معطيًا مستغنيًا، يعطي الفقراء والمساكين والعلماء كل صنف من المال، ولا يأخذ من بيت المال شيئًا، كما ذكر أبو يوسف: أن الخليفةَ أراد أن يعطيه ثلاثين ألف درهمٍ فلم يأخذها وقال معتذرًا: يا أميرَ المؤمنين! إني غريب في بغداد وليس لهذا المال موضعٌ عندي، وإني أخاف عليه فاحفظه لي عندك في بيت المال حتى إذا احتجتُه طلبتُه منك، فرضي الخليفة بذلك ولكن بعد وفاة الإمام، علم أنه اجتنبَ مالَ بيت المال بالحيلة الجميلة(١).

قوله (أبي يوسف):

الحافظ المُتْقن، المجتهد المطلق، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بحير بن معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولد في ٩٣هـ.

وسعد بن بحير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أجداده كان صحابيًّا، يتمنى المشاركة في غزوة أحد ولكن إذا عرض مع رافع بن خديج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على النبي ﷺ فقال: «أنتم صغيرون سنا»، ثم حضر وذهب إلى غزوة الخندق وبعدها إلى غزوات أخرى.

---

(١) لعل المؤلف اعتمد في الترجمة على بعض المصادر، منها: «فضائل أبي حنيفة» للشيخ ابن أبي العوام، و«مناقب الإمام الأعظم» للشيخ موفق المكي، و«مناقب أبي حنيفة» للإمام الذهبي ويبدو أنه من أهم مصادره، و«تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة» للإمام جلال الدين السيوطي، و«الخيرات الحسان» للإمام ابن حجر الهيتمي، و«تأنيب الخطيب» للإمام زاهد الكوثري، فلم أخرج الأقوال التي أوردها المؤلف خشية أن يثقل الحواشي، فالرجوع إلى المصادر الأصلية أولى.

....

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: «نظر النبي ﷺ إلى سعد بن حبتة يوم الخندق يقاتل قتالًا شديدًا، وهو حديث السن، فدعاه فقال له: «من أنت يا فتى؟» قال: سعد ابن حبتة، فقال له النبي ﷺ: «أسعد الله جدك، اقترب مني»»، فاقترب منه فمسح على رأسه[1]. فكان أبو يوسف يقول: نشاهد بركات يد النبي ﷺ، ثم بعد ذلك أقام سعد في الكوفة، وتوفي هناك وصلى عليه زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وكان أبو يوسف أكبر من الإمام مالك رحمه الله بسنتين فقط، فلذا يعامل معه معاملة المعاصرة، وقال: «حضرت أولًا في مجلس ابن أبي ليلى رحمه الله[2]، وكان قاضيًا في عهد الأمويين والعباسيين وكان عارفًا لقضايا القاضي شريح رحمه الله[3] الذي ولي القضاء في خلافة عمر رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه إلى عهد الحجاج، ويعلم بقضاياهم ولكن إذا أشكل عليه مسألة، يرجع إلى أبي حنيفة رحمه الله، فقلت: أن أحضر في مجلسه وازداد اشتياقي إليه، ولكن لا أستطيع إلى ذلك لأجل ابن أبي ليلى، حتى اضطر في مسألة فجعلتها وسيلة إلى حضور مجلسه، وصرت من الحاضرين في مجلسه. ثم لما علم أبي، منعني وقال: إن أبا حنيفة غني ومستغن عن الكسب، وأنت مفلس فعليك الكسب! فتركت مجلسه واشتغلت بالمعاش مطيعًا لوالدي، فسألني أبو حنيفة وجهه، فقلت له حقيقة الحال فسكت، ولما ذهب تلاميذه أعطاني صرة فيها مائة

---

(١) في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: ٢/ ٥٨٤

(٢) وهو الإمام القاضي الفقيه التابعي، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري رحمه الله. ولد سنة ٧٦هـ وتوفي سنة ١٤٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٦/ ٣١٠.

(٣) وهو القاضي الكبير، المحدث الفقيه، شريح بن الحارث بن قيس الكندي رحمه الله. ولد قبل الهجرة بـ ٣٠ سنة، وأسلم في حضرموت في حياة النبي ﷺ ولم يتيسر له الصحبة، وتوفي سنة ٧٨هـ عن ١٠٨ سنة. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ٤/ ١٠٠.

....

درهم وقال: اصرف في حاجة أهل بيتك فإذا أنفقت فقل لي، فصرت أحضر في مجلسه فارغ القلب وبعد أيام أعطاني صرة أخرى بغير سؤالي وهكذا كان يعطيني كأنه واقف بأحوالي وفتح الله علي أبواب الرزق ببركة إعطائه، وأبواب العلم ببركة مجلسه».

وفي رواية أنه قال: «لمّا سكت والدي عن المنع، جاءت والدتي مجلسه وأخرجتني بالجبر والإكراه فقال لها أبو حنيفة: يا صالحة! لا تبالي فإنه يأكل فالوذج بدهن الفستق لأجل العلم فذهبت غضبى، ولكن لما وليت منصب قاضي القضاة، دعاني هارون الرشيد الخليفة، وأحضر على المائدة فالوذج، فقال هارون: كل فإنه لا يأتي كل يوم هكذا! فقلت: ما هذا؟ فقال: فالوذج، فضحكت، فسأل عن الضحك، فقلت له: ما قال أبو حنيفة لوالدتي في الدرس وبشرها بأنه يأكل الفالوذج لأجل العلم فتعجب وتحير هارون»[١].

قال أبو يوسف: «إن أحب الأشياء عندي مجلس أبي حنيفة وابن أبي ليلى، لأني ما رأيت أحدا أفقه من أبي حنيفة وأقضى من ابن أبي ليلى»، وقال: «كنت مصاحبًا لأبي حنيفة تسعًا وعشرين سنة بحيث أصلّي صلاة الفجر معه»، وقال: «توفي ولدي وتركت تجهيزه وتدفينه وما تركت الحضور في مجلس الدرس لأبي حنيفة».

واستفاد من المشايخ الكثيرين والمشاهير منهم: أبان بن أبي عياش، وأبو إسحاق الشيباني، وابن أبي جريج عبد الملك، وحجاج بن أرطاة، وحسن بن دينار، وأعمش، وعبد الرحمن بن ثابت، وعطاء بن السائب، وعطاء بن عجلان، وعمرو بن دينار،

---

(١) قال الشيخ زاهد الكوثري في: «حسن التقاضي»: قد انفرد برواية هذه الحكاية محمد بن الحسن بن زياد، وهو كذاب مشهور.

....

وعمرو بن نافع، ونافع مولى ابن عمر، وقيس بن ربيع، وليث بن سعد، ومالك بن أنس، ومجاهد بن سعيد، ومحمد بن إسحاق، ومسعر بن كدام، ويحيى بن سعيد الأنصاري ﷺ وغيرهم.

قال هلال بن يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أبو يوسف حافظًا في التفسير، والمغازي، وأيام العرب، والفقه له أقل من علومه الأخرى».

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا أعلم قاضيًا يجري حكمه من الشرق إلى الغرب سوى أبي يوسف»، وبقي على منصب قاضي القضاة سبع عشرة سنة.

وقال في «الانتقاء»: «حافظته قوية جدًا حتى أنه يسمع في مجلس المحدثين خمسين أو ستين حديثا، يؤديها بعد ذلك بتمامها».

وفي «الموفق» نُقل عن أبي مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «جئنا المحدث أبا معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ لسماع أحاديث الحجاج بن أرطاة رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: أليس عندكم أبو يوسف؟ والعجب أنكم تركتم أبا يوسف وجئتم»، مع أن الحجاج بن أرطاة إذا أملى الأحاديث لا يمليها أبو يوسف، ولكن إذا خرجنا من مجلسه فأبو يوسف يمليها لنا من حفظه.

وقال أبو حنيفة لتلاميذه ـ وهم ستة وثلاثون ـ: «إن كلًّا منكم يصلح أن يكون قاضيا ولكن أبا يوسف وزفر رَحِمَهُ اللَّهُ يصلحان أن يكونا معلمي القضاة».

وابتلي أبو يوسف بشدة المرض مرة فذهب أبو حنيفة لعيادته، ثم رجع وقام على الباب متفكرًا، فسئل عن سبب التفكر فقال: «لو مات هذا الشاب لرفع أكبر العالِم»[١].

---

(١) ورد في «تاريخ بغداد»: ١٦/ ٣٦٤ قول أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن يمت هذا الفتى فإنه أعلمُ من عليها، وأومأ إلى الأرض». ونقلت هذه العبارة هنا لأنها أوضح.

....

ونقل ابن أبي العوام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن: «في أصحاب الرأي ما رأيت أحدا أثبت في الحديث، وأحفظ للحديث، وأصح في الرواية من أبي يوسف».

وقال داود بن رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لم يكن لأبي حنيفة تلميذ سوى أبي يوسف كفى به فخرًا، وإذا رأيته يبحث في موضوع يخرج من بحر علمه أنهار كثيرة».

قال يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أبا يوسف صاحب الفقه وصاحب الحديث».

قال محمد بن سماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أبا يوسف يصلي كل يوم مائتي ركعة مع أنه قاضي القضاة يشتغل في أمور القضاء».

نقل الحارثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناده عن حسين بن الوليد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن: «أبا يوسف إذا تكلم تحير السامعون»، وسمعت يومًا كلامه في مسألة استوعبها من الجهات كلها، فتحيرت وقلت: «كم أعطي قدرة على الكلام والفهم لمعان دقيقة؟!».

وكان علي بن أبي صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا روى عن أبي يوسف يقول: «أخبرنا أفقه الفقهاء قاضي القضاة سيد العلماء أبو يوسف».

وعند المحدث بشر بن الوليد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر بعض تلاميذه اسمًا لأبي يوسف بغير ألقابه، فقال: «ألا تعظمه؟ وإننا ما رأينا مثله في العالم!»

وما ذكر ابن خلكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ والعلامة الشامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما أورد السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ الخلفاء بعض الواقعات عن إيوان الخلافة، والعداوة بين أبي يوسف ومحمد والشافعي، وهكذا قصة مناظرة الشافعي مع أبي يوسف في مكة والمدينة، وإيوان الخلافة لهارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس بصحيح، لأن التلاقي بين أبي يوسف والشافعي ليس

....

بثابت، كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإن كان بينهما معاصرة وتلمذ الشافعي على محمد واعترف بإحساناته.

تلاميذه المشاهير كثيرة: الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (شيخ البخاري)، أحمد بن منيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (شيخ البخاري)، علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (شيخ البخاري)، أسد بن الفرات رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المدون لمذهب الإمام مالك)، إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، محمد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بشر بن غياث رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جعفر بن يحيى البرمكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حسن بن زياد اللؤلؤي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بواسطة الإمام محمد.

وما نقل في بعض «مسانيد الإمام الأعظم» أن الشافعي روى عن أبي يوسف فالمراد منه يوسف بن خالد السبتي لا أبو يوسف.

قال إبراهيم بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أتيت لعيادته في مرض الموت فرأيت في مجلسه أن المباحث العلمية جارية في هذا الوقت أيضًا، فغشي على أبي يوسف ثم أفاق فقال لي يا إبراهيم: الرمي راكبًا أفضل أم ماشيًا؟ فقلت: ماشيًا، قال: لا، فقلت: راكبًا، فقال: لا، بل إن كان بعد الرمي دعاء فيكون الرمي ماشيًا أفضل، وإلا فراكبا!» وفي «المناقب» للصيمري: «قلت لأبي يوسف أفي هذه الحالة أنت مشتغل في المسائل العلمية؟ فقال: لا حرج! بل عسى أن يكون هذا وسيلة لنجاتي، فقال إبراهيم: لما خرجت وذهبت إلى الباب فسمعت أنه توفي ووفاته في ١٨٢هـ».

وله تصانيف كثيرة قال صاحب «كشف الظنون»: «أن «الأمالي» له في ثلاث مائة مجلد».

....

وقال العلامة شرف الدين بن عبد العليم القربتي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه، «قلائد عقود الدرر والعقيان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان»: «إن من مناقب أبي يوسف أنه ألف كتبًا مبسوطة منها: ١ ـ «الإملاء»، ٢ ـ «الأمالي»، ٣ ـ «أدب القاضي والمناسك»، وغيره».

ولما وصل الشيخ يحيى الغربي إلي زبيد سنة ٩٠٨هـ حكى أنه وقف على «الأمالي» لأبي يوسف في ثلاثمائة مجلد محفوظة في مدرسة بمدينة غزة من أرض الشام، ولكن الآن ليست بموجودة، يمكن أنها ضاعت في حرب مشهورة في عام ١٠٠٠هـ.

ومن تصانيفه:

١ ـ كتاب «الآثار»،

٢ ـ كتاب «الخراج»،

٣ ـ كتاب «الصلاة»،

٤ ـ كتاب «الزكاة»،

٥ ـ كتاب «الصيام»،

٦ ـ كتاب «الفرائض»،

٧ ـ كتاب «البيوع»،

٨ ـ كتاب «الوصايا»،

٩ ـ كتاب «الحدود»،

وَأَبِي عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْـحَسَنِ ٱلشَّيْبَانِيِّ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ ٱلدِّيْنِ وَيَدِيْنُونَ بِهِ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

١٠ ـ كتاب «الوكالة»،

١١ ـ كتاب «الصيد والذبائح»،

١٢ ـ كتاب «الغصب»،

١٣ ـ كتاب «الاستبراء»،

١٤ ـ كتاب «اختلاف علماء الأمصار»،

١٥ ـ كتاب «الرد على مالك بن أنس»،

١٦ ـ كتاب «الجوامع» مشتملا على أربعين كتابًا،

١٧ ـ «الرد على سيد الأوزاعي»،

١٨ ـ «اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى»،

١٩ ـ مجموعة «الأمالي» المشتملة على ستة وثلاثين كتابًا،

٢٠ ـ «كتاب الخراج»[١].

قوله (وأبي عبد الله محمد بن الحسن):

الإمام المجتهد أبو عبد الله محمد ابن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولد في ١٣٢هـ بواسط، وأصله من الجزيرة، ثم انتقل والداه إلى الكوفة.

---

(١) اعتمد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجمة على «حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي» للإمام زاهد الكوثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

....

وأخذ محمد في تحصيل العلم وحضر إلى أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعمره أربع عشرة سنة، وقام عنده أربع سنين. ثم حضر عند أبي يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ والأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتكمل على أيديهما، وبعد وفاة أبي حنيفة حضر المدينة المنورة، واستفاد من الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث سنين، وقال: «إني وجدت من وراثة أبي ثلاثين ألف درهمٍ أو دينارٍ وصرفت نصفه في طلب اللغة والشعر، والنصف في تحصيل الحديث والفقه».

واستفاد من المشايخ في عصره والمشاهير منهم:

أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، زفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مسعر بن كدام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ضحاك بن عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طلحة بن عمرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبو عمرو بن عبد الرحمن الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وتولى التدريس وعمره عشرون سنة، واشتغل مدة حياته في خلوة البيت بالتصنيف والتأليف.

وقال حفيده: «إنه كان يكتب في البيت ومعه تشتغل عشرة نسوة في نقله وحوله ذخيرة كبيرة من الكتب، وقال لأهل بيته: «لا تسألوني عن شيء، بل اطلبوا من وكيلي!». وما رأيت أنه يتكلم مع عياله إلا بإشارة الحاجب أو الأصابع».

وعن محمد بن مسلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن محمدًا يدرس ثلث الليل، ويصلي ثلث الليل، وينام ثلثه، وكان يبيت أكثر الليالي يقظان فقال القائل: لِمَ لا تنام؟ فقال: لأن عيون المسلمين نامت على اعتمادنا فكيف أنام؟!» ونقل الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أستاذه القاضي ابن أبي عمران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن محمدًا يتلو ثلث القرآن كل يوم»، وقال المحدث بكر بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن ابن سماعة وعيسى بن أبان تعلما حسن الصلاة من محمد».

....

نقل المحدث الصيمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) عن محمد بن سماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن عيسى بن أبان المحدث، كان يصلي معنا صلاة الفجر ولكن لا يجلس بعد الصلاة في مجلس الإمـام محمد، وكان يقول: إنهم يخالفون الحديث، فصلى معنا صلاة الفجر يوم الدرس لمحمد فقلت له وأصررت عليه بأن يحضر في الدرس، فرضي وسمع الدرس، وبعد الفراغ أذهبته إلى الإمام محمد وقلت إنه يقول إنكم تخالفون الأحاديث فقال محمد: يابن أخي! أي الحديث نخالفه؟ فسأله عيسى ابن أبان عن خمسة وعشرين بابًا فأجاب عنها، وبيّن الأحاديث المنسوخة بالدلائل حتى اطمئن قلبه وقال خارجا من مجلسه: إن بيني وبين النور كان حجابًا وارتفع الآن وعلمت أن في العالم مثل هذا الرجل موجود! ثم لازم مجلسه حتى صار فقيها عظيما»، وهو راوٍ لكتابه «كتاب الحجج على أهل المدينة»، وله «الحجج الكبير» في رد على الأقوال القديمة للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلأجله أقام الإمام الشافعي في العراق قليلًا وألّف «الحجج الصغير على رد عيسى بن أبان»، وهو أيضًا رفيق الدرس للمأمون، الخليفة، ومؤلف الكتاب الذي ذكر فيه أن أبا حنيفة يخالف الأحاديث الصحيحة فطلب مأمون من العلماء جوابه، ولكن ما رضي بأجوبتهم إلا بجواب عيسى بن أبان، وألف كتابا في شروط قبول الأخبار، اختار فيه كثيرًا من أصول الإمام محمد ورد على الإمام الشافعي والمريسي(٢).

(١) وهو الإمام الفقيه القاضي، الحسين بن علي الصَّيمَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد سنة ٣٥١هـ وتوفي سنة ٤٣٦هـ وله «أخبار أبي حنيفة وأصحابه».

(٢) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي المعتزلي المشهور. أخذ الفقه عن الإمام القاضي أبي يوسف والحديث عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة، لكنه بعد وقت تأثر بالمعتزلة فذهب على مذهبهم، له كتب عديدة في علم العقيدة. توفي في سنة ٢١٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: ١٠/ ١٩٩.

....

وقال أبو يوسف في شأن محمد وحفظه: «أي سيف هو! لو لا أن فيه صدأ وأنه يحتاج إلى جلاء»، وأيضا يقول: «إنه من أعلم الناس!»

ونقل الخطيب عن المجاشع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «كنت عند الإمام مالك، وهو يفتي الناس، فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث، فقال: ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد. قال: فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء؟ قال: فجعل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد! فلما أكثر عليه قال له مالك: فما تقول أنت في هذا؟ قال: يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل، قال مالك: من أين أنت؟ قال: من أهل هذه ـ وأشار إلى الأرض ـ فقال: ما من أهل المدينة أحد لا أعرفه، فقال: ما أكثر من لا تعرف، ثم نهض. قالوا المالك: هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن؟ كيف يكذب وقد ذكر أنه من أهل المدينة؟ قالوا: إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض، فقال: هذا أشد على من ذاك!»[(١)]، انتهى.

ثم لما حضر عند مالك لقراءة الموطأ، وأقام عنده فقال في حقه: «أتاني رجال الشرق والغرب ولكن ليس لهم عمق في العلم مثل هذا الشاب!»

وقال الشافعي: «أعانني الله برجلين؛ سفيان بن عيينة ومحمد»، وقال مرة: «ما رأيت أحدا أفصح وأبلغ منه، كأن القرآن نزل على لسانه، وما رأيت أعقل [في] الناس منه».

وذكر عند الإمام المزني قول محمد فسأل من محمد؟ قالوا محمد بن الحسن:

(١) نقله الخطيب في «تاريخ بغداد»: ٢/ ١٧١

....

«فقال مرحبا! وهو يملأ الأسماع والقلوب من العلم والعقل، ولا أقول وحدي بل قال الشافعي هكذا».

ونقل الصيمري عن أبي عبيد: «إن محمدًا إمام في العربية، والنحو، والحساب وأعلم الناس بكتاب الله».

وقال محمد بن سلام: «إني صرفت على نقل كتب الإمام محمد عشرة آلاف وما كنت أعلمها قبل ذلك وإلا ما صرفت في غيرها».

وسئل عيسى بن أبان: «إن أبا يوسف أفقه أم محمد؟ فقال: انظروا إلى كتبهما!»

وذكر الذهبي في «المناقب»: «إن الشافعي احتج في الحديث بمحمد، وفي كتابه «الأم» و«المسند» أخذ الرواية عن أبي يوسف بواسطة محمد، وما قيل: إن الإمام محمدًا يقول بخلق القرآن، أو هو جهمي، كما زعم البخاري: إن الإمام أبا حنيفة والإمام محمد جهميان أو مرجئيان، فهو كذب صريح وباطل!»

كما نقل المحدث الصيمري: «إن محمدًا كان يقول مذهبي مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف، ومذهبهما مذهب الخلفاء الأربعة».

ونقل الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في «شرح السنة»: «أن الإمام محمدًا قال: لا تصلوا خلف من يقول: إن القرآن مخلوق»، وقال أيضًا: «نؤمن بالقرآن وبالأحاديث الصحيحة المتعلقة بالصفات من غير تفصيل وتفسير وتشبيه لئلا نخرج من السنة والجماعة ولئلا نكون مثل جهم خارجًا عن الجماعة».

تلاميذه كبار العلماء والمشاهير منهم:

....

الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أسد بن الفرات القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبو حفص الكبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أستاذ في الفقه للإمام البخاري، أبو سليمان موسى بن سليمان الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ- الذي جرت من سلسلة أصحاب «الصحاح» من الشرق إلى الغرب، علي بن معبد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -راوي «الجامع الصغير والكبير» وأستاذ أصحاب «الصحاح الستة»، يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ -إمام الجرح والتعديل، أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ - راوي «الموطأ للإمام محمد»، على بن صالح الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -راوي «الجرجانيات»، شعيب بن سليمان الكيساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -راوي «الكيسانيات»، إسماعيل بن توبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ - راوي «السير الكبير»، أبو بكر بن إبراهيم المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - راوي «النوادر»، سفيان بن سحبان البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - صاحب كتاب «العلل»، أبو موسى عيسى بن أبان البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - راوي «الحجج على أهل المدينة» ومؤلف كتاب «الحجج الصغير» و«الكبير».

وارتحل من دار الفناء إلى دار القرار سنة ١٨٩ هـ.

وترك تصانيف كثيرة، والمشهور أن مؤلفات الإمام محمد قريب من ألف وكان يشتغل كل حين في التصنيف، وكان سمينا ولحيما ومع ذلك ذكيا جدا حتى قيل: إن كل سمين بليد إلا محمدًا، وضاع أكثر تصانيفه ولكن بقي بعضٌ، منها:

١ -«المبسوط» وهو أول مؤلف وجمع فيه مسائل أبي يوسف،

٢ -«الجامع الصغير» جمع فيه ألفًا وخمسمائة واثنتين وثلاثين مسألة، قد ذكر فيه الاختلاف في مائة وسبعين مسألة، والمسائل المذكورة فيها نوعان:

الأول: المسائل المختصة بهذا الكتاب ولا توجد في كتاب آخر،

....

والثاني: المسائل التي صرح فيها بأنها من أبي حنيفة ولا تصريح في كتاب آخر للمسائل التي ذكرت في كتب أخرى أيضا وله أربعون شرحًا والمتقدمون يتدارسونه،

٣ ـ «الجامع الكبير» وفيه أقوال لأبي حنيفة وأبي يوسف وزفر مع الدلائل، وهو أشهر وأصعب من «الجامع الصغير»، ومعانيه دقيقة وشرحه الفقهاء العظام وذكر في «كشف الظنون» اثنين وأربعين شرحًا لها، وهو مأخذ لمسائل أصول الفقه، طالعه العالم النصراني فأسلم وقال: «هذا حال علوم محمد الصغير، فكيف علوم محمد الكبير؟ وإن ادعى المصنف بنبوته وأشهد كتابه معجزة فلا يستطيع أحد أن يعارضه!»

٤ ـ «الزيادات» ذكر فيه المسائل التي بقيت بعد تأليف «الجامع الكبير» فلذا سمي «زيادات»،

٥ ـ «كتاب الحجج على أهل المدينة» لما رجع من المدينة بعد ما أقام ثلاث سنين عند الإمام مالك ذكر فيه الأبواب الفقهية ثم نقل أقوال أهل المدينة ثم ذكر بهذا العنوان (**قال محمد**) أقوال الإمام أبي حنيفة مع الأحاديث والآثار والقياس، وأثبت أن أقوال الإمام راجحة وصحيحة وبعض الأعمال لأهل المدينة مخالف للأحاديث.

والإمـام محمد موجد لعلم الخلاف وهـذا الكتاب أول تأليف جمع فيه الأحاديث والآثار من الطرفين ثم حكم عليها[1]،

---

(١) قال أ. د. الناجي لمين: إن الإمام الشافعي استفاد في ردوده على الإمام مالك من هذا الكتاب.

٦ ـ «السير الصغير» صنَّفه في السيرة، ولما رآه الإمام الأوزاعي استحسنه، ولكن قال: «أين العراقيون من السير؟» ولما سمع هذا محمد صنف في جوابه «السير الكبير»،

٧ ـ «السير الكبير» رتبه على ستين جزءً ضخمًا وحمله على البغال وأراد أن يذهب إلى باب الخلافة فقدم هارون الرشيد ابنه للاستقبال، وقال لابنه: أن يأخذ عنه الإجازة والسند ثم لما علم الأوزاعي مدح تحقيقه،

٨ ـ «الموطأ»، قرأ محمد على الإمام مالك «موطأه» ثم روى عنه بطريق خاص يذكر فيه وجه الأخذ والترك للروايات من الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف،

٩ ـ «الرقيات»،

١٠ ـ «الكيسانيات»،

١١ ـ «الجرجانيات».

والحاصل أن الإمام محمدًا نشر الفقه الحنفي وخَدَمَه بالتصنيف والتأليف والتدريس.(١)

قوله (توحيد الله):

بدأ بالتوحيد لأنه أولُ ركن من أركان الإسلام، وأولُ أساسٍ من أسس الدين واليقين، وأولُ ما يجب على المكلَّف، وأولَ دعوة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الأمم كلها، قرنًا بعد قرنٍ ودهرًا بعد دهرٍ، حتى خصَّه الله بشهادة نفسه الكريمة أولًا، ثم ثنَّى

---

(١) اعتمد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ للترجمة على «بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد الشيباني» للإمام زاهد الكوثري رَحِمَهُ اللَّهُ.

مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيْقِ اللهِ: إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ.......................

بشهادة ملائكته، ثم ثلَّث بشهادة أهل العلم، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، ثم أعلم خاتم أنبيائه ﷺ بكلمة التوحيد خاصة بقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محمد: ١٩]، ثم ذكر أن ما أوحى إلى جميع أنبيائه ورسله كان هو القول الثابت، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]. فالتوحيد دينُ الأنبياءِ والمرسلِين، وطريقُ الأولِين والآخِرين من أهل الصدقِ واليقينِ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسِرُّ تقديم التوحيد على الكل وأوليَّته في أصول العقائد ذكرناه في «التتمة».

قوله (بتوفيق الله):

متمسكين بقول تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

قوله (إن الله تعالى واحد):

لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦] هذا في الثبوت، وأما في السلب فقال عز اسمه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وتصوير هذا الفساد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

لَا شَرِيْكَ لَهُ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ ....

وتصوير عجز الشركاء عن أفعال الألوهية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾ [الروم: ٤٠]، ونفي التعدد هو إثبات الواحد، فجميعُ آياتِ ردِّ الشرك دليلٌ على إثبات الوحدانية.

قوله (لا شريك له):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، ولقوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، ثم قال: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩]، ثم قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال عز اسمه آمرًا للنبي ﷺ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء: ١١١].

قوله (لا شيء مثله):

لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، أي: ليس له مثيل ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا وشأنًا ومقامًا.

قوله (ولا شيء يعجزه):

لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ

وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ ....

﴿كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤]. ولما كان العجز إما أن ينشأ من الضعف من القيام بما يريده الفاعِل، وإما من عدم العلم أو قلَّته، فنفى الله الأول بقوله﴿قَدِيرًا﴾ ونفى الثاني بقوله﴿عَلِيمًا﴾. وأيضًا في موضع آخر نفاهما عن نفسه الكريمة بدليلٍ مستقلٍ لكلٍّ واحدٍ منهما، فقال في نفي الأول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، فأثبت القوة والمَتَانة[١] على الإطلاق ونفى الضعف على الإطلاق.

ونفى الثاني بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وبعد هذه الإحاطة، لا سبيل إليه للجهل من أي جانب ومتى انتفى الجهل والعجز، انتفى الضعف وبقيت القدرة والقوة على حد لا يتصور فوقه حد، فثبت أن الله تعالى فعَّال لما يريد، لا يعجزه شيء في السماوات والأرض، لا مانع لفعله ولا راد لقضائه.

قوله (ولا إله غيره):

لقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وصالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وشعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

(١) أي: الصلابة، والقوة.

قَدِيْمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيْدُ وَلَا يَكُوْنُ إِلَا مَا يُرِيْدُ ....

قوله (قديم بلا ابتداء):

لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] أطلقه القرآن، والأولية المطلقة التي لا حد لها في الابتداء هي الأزلية، ويطلق عليها اسم القديم، لكن جاء في الشرع باسم الأول وهو أحسن من القديم، لأنه يُشعر[١] بأن ما بعده آيِلٌ إليه وتابعٌ له، بخلاف القديم، وله الأسماء الحسنى.

قوله (دائم بلا انتهاء):

بقوله تعالى: ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] أطلقه القرآن، والآخرية المطلقة التي لا حد لها في الانتهاء هي الأبدية، ويطلق عليها اسم الدائم لدوام بقائه، فهو قديم لم يزل ودائم لا يزال.

قوله (لا يفنى ولا يبيد):

لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، ولقوله جل ذكره: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ولأن الوجود عين ذاته فهو واجب الوجود ممتنع العدم، فلا يمكن أن ينفك عنه الوجود ويقرب منه العدم، فيجب له البقاء أبدًا ولا يمكن له الفناء آنًا.

قوله (ولا يكون إلا ما يريد):

لقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ

---

(١) في (أ): «لأنه لا يشعر...» والصحيح ما أثبته من: (ب) و(ج).

لَا تَبْلُغُهُ ٱلْأَوْهَامُ وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَفْهَامُ ....

إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] أي: يكون ما يريد، لا ما يريدون. ولقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب: ١٧].

قوله (لا تبلغه الأوهام):

أي: لا تدركه القوة المتخيلة. والمقصود أن المدركات الطبيعية من الوهم والخيال وغيرهما لا تدركه، لأنها لا تتجاوز عن الأجسام والمحسوسات المادية حتى لا تصل إلى الأجسام اللطيفة النورانية من العلويات أيضًا، لأن النبي ﷺ قال في نعماء الجنة: «**ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر**»[1]، مع أن الجنة من عالَم الأجسام من العلويات.

فهذه الخطرات والتخيلات لمَّا لم تصل إلى الأجسام النورية من أوائل الغيب، فكيف تصل إلى اللطيف الخبير، والنور المطلق المتعال عن الأجسام والأرواح، وهو خالقهما وخالق طبائعهما؟ فهذا الحديث دليلٌ واضحٌ على عدم بلوغ الأوهام إلى إدراك حقائق الغيب، فضلًا عن إدراك ذات الرب تبارك وتعالى الذي هو الغيب المطلق، وما أحسن ما قاله فيه الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل ما خطر ببالك فإن الله تعالى بخلاف ذلك»[2].

قوله (ولا تدركه الأفهام):

لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]. قال في «الصحاح»:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣٢٤٤، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها: ٢٨٢٤، من حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ذكرت هذه القائدة في «الرسالة القشيرية»: ١/ ٢٧، وفي «المعقة الاعتقاد»: صـ: ١٢

وَلَا يُشْبِهُهُ ٱلْأَنَامُ ....

توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته(١). فإذا نفى الله سبحانه إحاطة علم الخلق بالنسبة إلى ذاته الكريمة، انتفت إحاطة الفهم أيضًا، لأن الفهم علمٌ، فما ظنك بالوهم؟

ولأنه لا يمكن في نظر العقل أن يحيطَ المخلوقُ بخالقه، سواءُ كان بالبصر أو بالعلم والفهم، لأن الإحاطة الكلية بجميع الأشياء وبجميع ظواهرها وبواطنها، وشقوقها وجوانبها، وخواصها وعوارضها، وآثارها وأفعالها، وثمراتها وعواقبها من خصوصيات الألوهية؛ لا مدخل فيها عقلًا للعباد، لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النساء: ١٢٦]، ولقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البروج: ٢٠].

فالحاصل أن القوة العاقلة أيضًا لا تستطيع أن تدركه فضلًا عن القوة الوهمية أو الخيالية.

قوله (ولا يشبهه الأنام):

لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، هذا النفي عامٌ في الذات وفي الصفات وفي الأفعال، وفي جميع الشؤون كما مرَّ.

فذاته ليس كذواتِنا، وصفاته ليست كصفاتِنا، وهكذا الأفعال والشؤون وجميع المتشابهات، فهو يعلمُ لا كعلمِنا، ويقدرُ لا كقدرتِنا، ويرَى لا كرؤيتِنا، ويسمعُ لا كسمعِنا، وهكذا يعرجُ لا كعروجِنا، وينزلُ لا كنزولِنا، ويضحكُ لا كضحكِنا، ويستوِي على العرش لا كاستوائِنا على عروشنا، لأنه ليس كمثلِنا فليس له مثل ولا مثال، ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم!

---

(١) في: «الصحاح اللغة وصحاح العربية»: ٥/ ٢٠٠٥، و: ٥/ ٢١٣١

حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ خَالِقٌ ....

قوله (حي لا يموت):

لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قوله (قيوم لا ينام):

لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لما كانت السِّنة والنوم من أشباه الموت، بل من أخواته بنص الحديث[١] وهو نقصان الحياة، ولا يبقى مع هذا النقصان كمال الحياة الذي هو مدار القيُّوميَّة، فنفى الله عن نفسه السِّنة والنوم، وهذا النفي بعد قوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ دليلٌ على كمال حياته وكمال قيّوميّته.

قوله (خالق):

لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالخالق هو الله وحده لا غير؛ لأن التخليق من خصوصيات الألوهية، ولا يمكن أن يخلقَ المخلوقُ شيئًا، لأن الخلق: إعطاء الوجود، وهو لا يمكن إلا ممن كان له وجود لذاته!

والمخلوق ليس له وجود لذاته فمن أين يعطيه غيره؟ لقوله تعالى بعد بيان خلق السموات والأرض وغيرها: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، ولقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن

---

(١) أخرجه الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»، في «المعجم الأوسط»: ٩١٩.

بِلَا حَاجَةٍ رَازِقٌ بِلا مَؤُونَةٍ ....

شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم: ٤٠].

قوله (بلا حاجة):

لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فنفي الاستطعام نفي الأغراض. أما العبادة التي هي غاية التخليق في القرآن، فهي لمصلحة المعبود لا لمصلحة العباد.

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، ولما كان الله جل ذكره غنيًّا مطلقًا والخلق محتاجًا إليه وجودًا وعدمًا، فيمتنع أن يحتاجَ الغنيُّ المطلق إلى المحتاج المطلق في حاجته وغرضه، وإلا لزم اجتماع الضدين وهو محال.

قوله (رازق بلا مؤونة):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، أشار بقوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ إلى أن الترزيق عليه يسير لا مشقة فيه ولا ثقل، لأن المشقة والثقل ينشآن عن الضعف وهو منزه عنه لقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٤]، أشار بقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى كمال قوته وقدرته، فلا مجال للضعف إليه بعد هذه القوة، فإذا لم يكن له ضعف فلا تعب ولا مشقة في الترزيق.

مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ ....

قوله (مميت بلا مخافة):

لقوله تعالى في قوم صالح عليه السلام إذ أهلكهم وأماتهم: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝﴾ [الشمس: ١٤ – ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [الحديد: ٢].

فإن كمال القدرة على كل شيء دليلٌ على عدم المخافة من كل شيء إحياءً وإماتةً، ولأن الخوف ينشأ عن العجز وهو منفي بكمال القدرة المحيطة، على أنه كان مقام الخوف إذا كان الله لم يملك الموت والحياة وكان يملكها غيره، فيخاف منه في سلب الحياة بأنه يضره أو يخالفه، فإذًا لم يكونا في يد غيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝﴾ [الفرقان: ٣]، بل هما في يده وقبضته وحده لأنه خالقهما لقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، هو وحده فاعلهما أيضًا لا غير، لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝﴾ [ق: ٤٣]، فمن يخاف منه في سلب الحياة؟ وما وجه المخافة له تعالى وتقدس؟ فاحتمال الخوف عنه باطل، بل حمق!

فردَّه المصنف بقوله (مميت بلا مخافة) فآمنًا وأيقنًا أنه يميت بلا مخافة ويحي بلا طمع.

قوله (باعث بلا مشقة):

أما البعث فهو الحياة بعد الممات يوم القيامة[١] لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝﴾ [الحج: ٧]، ولقوله تعالى:

---

(١) كما في: «لسان العرب»: ٢/ ١١٦.

....

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٣٠﴾ [الأنعام: ٢٩ - ٣٠].

وأما عدم المشقة في البعث لقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن: ٧]، أي: لا مشقة عليه في البعث والإنباء بالأعمال، ولقوله تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [لقمان: ٢٨]، أي: إفناء جميع الكوائن عنده كإفناء نفس واحدة (صغيرة حقيرة).

ووجه عدم المشقة في البعث عدم احتياجه إلى شيء، وكمال قدرته على كل شيء، لكون وجوده ذاتيًا كاملًا وصفاتًا على قدر الوجود.

فلا بد أن لا يحتاج كل واحد منهما إلى شيء في تأثيرهما، وتصرفهما يبقيان على الكمال. فلزم من ذلك أن يكون الإحياء على الله يسيرًا بكماله وكمال قدرته لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾ [الحج: ٦]، وإذا انتفى الضعف والعجز بقدرته المحيطة انتفت المشقة، لأن الضعف يورثها والقدرة تأبى عنها.

وأيضًا فإن البعث هو الإعادة كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والإعادة أهون من الإيجاد عقلًا وطبعًا، فمن هو قادر على الإيجاد بلا تعب ولا مشقة لعدم الاحتياج إلى شيء والقدرة على كل شيء، يكون قادرًا على الإعادة بالأولى بلا مشقة، لأنه أهون من الإيجاد لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيْمًا قَبْلَ خَلْقِهِ لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا ....

قوله (ما زال بصفاته قديما):

لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] إلى آخر السورة، وبيانه أن معنى كلمة الله في القرآن: الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، المسماة بـ: **الأسماء الحسنى**.

فلما حملها على اسم الجلالة وأثبتها لذاته الكريمة ثبت من ذلك أن معنى كلمة الله في اصطلاح القرآن هو مجموع الذات والصفات، لا الذات الخالية عن الصفات ولا الصفات المنفكة عن الذات، فلاحَ منه أن الصفات ذاتية له؛ لا حادثة فيه تعالى وتقدس، فلا يمكن أن تنفك عن الذات في أي حين وشأن.

فإذا كانت ذاته تعالى قديمًا وهو مجمع عليه عند جميع الأمم والأقوام، فصفاته تعالى أيضًا تكون قديمة قائمة بذاتها لأنها ذاتية له غير منفكة عنه، فثبت أنه قديمٌ بذاته قديمٌ بصفاته كما هو أبديٌّ بذاته، أبديٌّ بصفاته بدلالة هذه الآية الكريمة.

قوله (قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليًّا كذلك لا يزال عليه أبديًّا):

أي: أن الله سبحانه تعالى كان موصوفًا بهذه الصفات الكمالية قبل خلق الخلق، لم يزدد فيه شيء من هذه الصفات بعد الخلق أو بسبب الخلق.

وأيضًا لا ينقص شيء من هذه الصفات بعد فناء الخلق أو بسبب فنائه، فهو

....

قديمٌ بالذات قديمٌ بالصفات، ودائمٌ بالذات دائمٌ بالصفات قبل الخلق وبعد الخلق، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

وتقريره أنه لمَّا كان خالق كل شيء هو الله وحده كما هي دعوى القرآن، والخالق يتقدم على المخلوق طبعًا وإلا لم يوجد شيء من الأشياء إذا لم يكن خالقها قبلها، وإن وُجدتْ بلا خالق لزم أنها ليست بحادثة بل مستغنية عن الموجد وهو محال وخلاف المفروض.

فثبت أنه لا بد من تقدم الخالق على المخلوق. وإذا تقدم تقدم بجميع كمالاته وصفاته؛ لأنها ذاتية له لا يمكن أن تنفك عنه، فثبت أنه تعالى كما هو مقدم على المخلوق بذاته مقدم عليه بصفاته الذاتية أيضًا، وإلا لزم انفكاك الذات من الصفات والخلو عنها وهو محال! أو يلزم حدوث الصفات فيه حينًا بعد حينٍ وهو أشدُّ محالًا!

فهو خالقٌ قبل الخلق وخالقٌ بعد الخلق، إلا أنه خالق قبل الخلق بمعنى أنه يقدر على خلقها بقوته وعلمه ومشيئته وإرادته، وخالق حين الخلق بمعنى أنه فعل ما أراد، وخالق بعد الخلق لأن الخلق صفته الذاتية لا يمكن أن تنفك عنه.

وهكذا جميع صفاته الكاملة تتعلق بجميع أشياء الممكنة سواءٌ كانت معدومة أو موجودة في الخارج، إلا أنها تتعلق بالمعدومات بمعنى القدرة على إيجادها وإنشائها وإحيائها وإماتتها، وبالموجودات تتعلق بمعنى الصنع والجعل.

فهو خالقٌ بارئٌ ربٌّ حفيظٌ عليمٌ محيٍ مميتٌ قبل خلق الأشياء، بمعنى أنه

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ ٱلْـخَلْقَ ٱسْتَفَادَ ٱسْمَ ٱلْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ ٱلْبَرِيَّةَ ٱسْتَفَادَ ٱسْمَ ٱلْبَارِي لَهُ مَعْنَى ٱلرُّبُوْبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوْبٌ وَمَعْنَى ٱلْـخَالِقِيَّةِ وَلَا مَـخْلُوْقٌ وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي ٱلْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَ ٱسْتَحَقَّ هَذَا ٱلِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ ....

يعلمها ويقدر على إنشائها وحفظها وتربيتها وإحيائها وإماتتها، وبعد الخلق أيضًا بمعنى أنه يفعل ما يشاء، ويحفظ كيف يشاء، ويربي حيث يشاء، ويحي من يشاء، ويميت حين يشاء.

كما أن الكاتب في حال الكتابة كاتب بالفعل ولا يخرج عن كونه كاتبًا في حال عدم مباشرة الكتابة لأنه كاتب بالقوة بمعنى أن صفة الكتابة قائمة بنفسها، يعمل بها حيث يشاء وهو قادر عليها.

قوله (ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق....):

لأن القرآن نسب هذه الصفات إلى ذاته سبحانه وتعالى بصيغة الماضي المطلق، وأيضًا حملها على اسم الجلالة الذي هو علم الذات المستجمع لجميع صفات الكمال حيث قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦]، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣]، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]، و ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤]، و ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝١٣١﴾ [النساء: ١٣١]، لتكون إشارة إلى أن هذه الصفات من الماضي إلى الحال ذاتية له محمولة على عَلَمِ ذاته قديمة، ومع قَدامة ذاته موجودة فيه بأسمائه المعلومة قبل خلق الخلق، لا يتوقف وجودها وتسميتها على إيجاد الخلق وإبرازه بالأفعال.

كَذَٰلِكَ ٱسْتَحَقَّ ٱسْمَ ٱلْـخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ ....

فلو كانتْ هذه الأسماء مستفادة من الخلق حين تعلقتْ به هذه الصفات بأفعاله لَمَا أطلق القرآنُ أسماءَ هذه الصفات على ذاته تعالى قبل تخليقه العالَم بصيغة الماضي، ولمْ تحمل هذه الأسامي على اسم الجلالة، الذي هو عَلَم الذات الواجب الوجود أزلًا وأبدًا، والمستجمع بجميع صفات الكمال أزلًا وأبدًا.

فعُلِم منه أن أسماءَ هذا الصفات أيضًا قديمة دائمة لا يتوقف حملها على اسم الجلالة على إظهار الصفات بالأفعال، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤] حملتْ هذه الصفات مع الصفات الأخرى التي في هذا الركوع[١] إلى آخر السورة على اسم الجلالة غير مقيدة بزمان دون زمان ماضيًا كان أو حالًا أو مستقبلًا.

فمعناه أنه خالقٌ بارئٌ مصورٌ قبل خلق الخلق في الأزل أيضًا وبعد خلق الخلق في الأبد أيضًا، وإلا لم تحمل هذه الصفات على الذات على الإطلاق بلا قيد زمان ومكان.

---

(١) المراد بالركوع هنا هو رمز حرف (ع) التي توضع في هوامش المصاحف في بلاد الهند، وهي علامة تبين استحباب الركوع للإمام في هذا الموضع، والمراد أنه تمت القصة أو المقطع؛ والذي يأتي بعده مستأنف، فيصلح للإمام أن يركع في هذا الموضع. ويقول الشيخ مساعد الطيار: «إني أنصح الأئمة بأخذ هذه الركوعات الموجودة في هذا المصحف؛ لأن الذي وضعها تتبع المعاني، وقد وُفِّق فيها إلى حدٍّ كبير، وهي أحسن في تتبع المعاني من الأثمان والأرباع والأحزاب والأجزاء الموجودة في المصحف المصري ومن تبعه من المصاحف الأخرى المطبوعة في الشام والعراق والمملكة».

خَلَقَ ٱلْخَلْقَ بِعِلْمِهِ وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا ....

فثبت أنه تعالى موصوف بهذه الصفات أزلًا وأبدًا كما أن الكاتب يطلق عليه اسم الكاتب حين الكتابة كذلك يطلق عليه هذا الاسم قبل الكتابة أيضًا، فلا يستفاد له اسم الكاتب بفعل الكتابة بل هو كاتب بقوه الكتابة والقدرة عليها في كل حينٍ سواءٌ كتب أو لم يكتب، ومزيد التفصيل في «التتمة».

قوله (خلق الخلق بعلمه):

لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، وفي نظر العقل والاستدلال أن كل ما أُوتي الخَلق من العلم والكمال فهو من خالقه، لأنه أوجدها وأودع فيها هُداه لقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠]، ومن الممتنع أن يكون مبدع الكمال عاريًا عنه، بل هو أحق به وأقدم، فلا بد أن يعلم الخالق جميع ما في مخلوقه قبل خلقه، وإلا فأي شيء أودع فيه إن كان جاهلًا عنه؟ معاذ الله!

قوله (وقدرلهم أقدارا):

لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١].

قوله (وضرب لهم آجالا):

لقوله تعالى: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الروم: ٨]

لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ خَلَقَهُمْ وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُوْنَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ ....

وأجل الشيء هو مدة عمره المقرَّرة والمقدَّرة، وثبت لقوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أجلٌ لجميع ما بين السموات والأرض بالعموم، وانقضاء الأجل هو الموت.

فجميع الكوائن من السماء إلى الأرض وما بينهما تفنى وتبيد بتمام أجله المسمى، والقرآنُ ذَكر آجالَ عدة أشياء من أجزاء العالم بخصوصها، أيضًا من الجنِّ والبشرِ والملكِ والفلكِ وغيرها من المحسوسات والمعنويات لا يسعها هذا المقام فذكرناها في «التتمة».

قوله (لم يخف عليه شيء قبل أن خلقهم):

كما مرَّ في قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (خلق الخلق بعلمه) لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

قوله (وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم):

يستفاد من الآية شيئان:

الأول: أن خالق أفعال الخلق هو الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

والثاني: أن خالق الأشياء يعلمها لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

فثبت بمجموع الآيتين أنه تعالى كان خبيرًا بأعمال العباد قبل أن يخلقهم، ولأنه هو المودع في مخلوقه ما ظهر منه، فكيف يمكن أن يودع مودع في شيءٍ وديعةً وهو لا يعلم ما أودع فيه؟ وإلا فأي شيء أودع فيه إذا كان لا يعلمه؟

وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِيْ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لَا مَشِيْئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ....

قوله (وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠]، والقرآن مملوء بأوامره ونواهيه، وأوامر الرسل أوامره، ونواهيهم نواهيه.

أشار المصنف بقوله (وأمرهم بطاعته) إلى أن الإنسان مكلف بالشرائع؛ بعقله وفهمه واختياره، ليس هو جمادًا لا يعقل لا شريعة له ولا منهاج، لأنه ما خُلق عبثًا ولا يُترك سُدى، بل خُلق لطاعة خالقه وعبادة ربه، ولا بد للعبادة من طُرقها المرضية عند الله، ولا تتم الطرق إلا بالأمر والنهي، فأمر بطاعته ونهى عن معصيته.

قوله (وكل شيء يجري بقدرته):

لقوله تعالى في الريح مثلًا: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾ [ص: ٣٦]، ولقوله تعالى في الشمس: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس: ٣٨]، ولقوله تعلى في الفلك: ﴿وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الحج: ٦٥]، وأمثلتها كثيرة في القرآن وتفصيل حقيقته وسره في «التتمة».

قوله (لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم):

لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠]،

يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا ....

وما أحسن ما قيل فيه[١]:

فـمَا شِئتَ كَان وإنْ لـمْ أَشأْ   وما شِئتُ إن لـمْ تَشأْ لم تَكنْ

والفرق بين المشيئة بالشيء والرضا به في «التتمة».

قوله (يهدي من يشاء):

لقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩]، ولقوله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فهذه النصوص دالةٌ على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكيف يكون في ملكه ما لا يشاء؟

فالهداية والضلالة، واللطف والخذلان، والعصمة والابتلاء كلها من مشيئة الله، والاحتجاج بجواز الكفر والفسق بكونهما من مشيئة الله والزعم بأنه من رضاه؛ فباطل ومغالطة! بيانها في «التتمة» بالتفصيل.

قوله (فضلا):

الفضل إعطاء ما لا يستحق العبد بنفسه، وإيثار النعمة عليه بما لا يستوجبه

---

(١) بيتٌ منسوب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ذكرها البيهقي في: «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» صـ: ١٦٢.

وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيْئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ ....

بأصل شأنه، فالفضل والعطاء والإحسان بحسنٍ وزيادة، والصيانة عما لا يصان العبد منه من المضرات.

قوله (ويبتلي عدلا):

والعدل: البدل المساوي من غير ظلم، وعدم المنع لشيء من إظهار خواصه وآثاره الكائنة في طبعه، وتَرتُّب الثمرات عليها من غير زيادة ونقصان.

فالعدل: الجزاء بالمثل بغير التعدي، والمنع بما عند الله من الخير لفقدان استعداد العبد أو سلبه عن العبد إذا أفنى استعداده، فالنعمة فضلٌ والمصيبة عدلٌ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠].

فإصابة المصيبات باكتساب العبد إشارة إلى العدل، والعفو عما ارتكبه مما لا يليق به إشارة إلى الفضل.

ولقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ [النساء: ٧٩]، فإصابة الحسنة والأجر المترتب عليها عدلٌ من الله بسبب الكسب من العبد، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وتفصيل ما في الفضل والعدل وكيفية ظهورهما من الله جل ذكره في «التتمة».

قوله (لا راد لقضائه):

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ

وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ وُهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْاضْدَادِ ....

بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧]، ولقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١].

قوله (ولا معقب لحكمه):

لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ [الرعد: ٤١].

قوله (ولا غالب لأمره):

لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف: ٢١].

قوله (وهو متعال عن الأضداد):

الضد: المقابل المعارض، سواء كان مثيلًا أو لا.

فلا يمكن لأحدٍ أن يعارضه في شيء، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ [الإخلاص: ١].

وَالْأَنْدَادِ آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

قوله (والأنداد):

الند: المثل المقابل، لا يمكن أن يقابله شيء لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤].

قوله (آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلا من عنده):

الإيمان: المعرفة الحقة اليقينية بإذعان جازم، وتسليم صادق.

والإيقان: الاستقرار في القلب، مِن: يقن الماء في الحوض إذا اسْتقرَّ، يعني: نعتقد بها كلها اعتقادًا جازمًا ونعترف بصميم قلوبنا أن لا ضد له ولا ند له.

قوله (وأن محمدا ﷺ):

ذكره الله تعالى في كتابه المبين، باسميه الكريمين العلمين له: **محمد وأحمد،** فقال في الأول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢]، وقال في الثاني عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وهو ﷺ أول نقطة الفيض الإلهي في العالم عِلمًا وخلقًا، وجمالًا ورتبةً، وشرفًا وكمالًا، وفردٌ ليس كمثله فرد. بدأ به الكمالات في الخلق لقوله ﷺ:

....

«أول ما خلق الله نوري»[(١)] وختمها به لقوله ﷺ: «وختم بي النبيون»[(٢)].

فهو أوَّلُهم خلقًا وآخرُهم بعثًا، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ كُلما ذكره الذاكرون وكُلما غفل عن ذكره الغافلون.

---

(١) وهو جزء من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه المنسوب إلى الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى ٢١١هـ خطأً، لأن الرواية ليست موجودة في «مصنَّفه»، ولا في «تفسيره»، ولا في «الأمالي في آثار الصحابة»، فلم تثبت الرواية سندًا. وذكر هذه الرواية كثيرٌ من العلماء، منهم: المحدث الإمام العلامة أحمد بن محمد القسطلاني، المتوفى ٩٢٣هـ في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»: ١/ ٧١، والمحدث الكبير إمام الشافعية، شهاب الدين ابن حجر الهيتمي، المتوفى ٩٧٣هـ في «الفتاوى الحديثية»: صـ٢٨٩، والعلامة الملا علي القاري، المتوفى ١٠١٤هـ في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: ١/ ٣٥٧، والإمام المسنِد إسماعيل العجلوني، المتوفى ١١٦٢هـ في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس»: ١/ ٣٠٢، حتى نُقل عن محدث العصر الإمام الكبير الشيخ مولانا محمد أنور شاه الكشميري في «العرف الشذي شرح سنن الترمذي»: ٣/ ٣٩٦ أنه قال: «إن حديث النور أرجح من حديث «أول ما خلق الله: القلم»» الذي أخرجه أبو داود: ٤٧٠٠ والترمذي: ٢١٥٥. وهذا لِما قاله حكيم الأمة الشيخ مولانا أشرف علي التهانوي في «نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب ﷺ»: صـ٥: «أن المراد بنور محمد ﷺ هو روحه ونبوته ﷺ»، وقد ثبت هذا من الروايات المختلفة كحديث سيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنه: «**إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم** عليه السلام **لمنجدل في طينته**» أخرجه أحمد في «المسند»: ١٧١٥٠، والحاكم في «المستدرك»: ٤١٧٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. قلت: سبب وروده هنا من الشيخ ليس بعجيب، وذلك لأن «المصنَّف» لعبد الرزاق كان مفقودًا لمدة طويلة إلى أن وفق الله الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المتوفى ١٤١٢هـ لتحقيقه وإخراجه وذلك في نهاية سنة ١٣٩٠هـ لذلك كان من الصعب التحقق من صحة هذه الرواية، والحاصل أن الرواية كما قال العلماء لا تثبت ولكن التأويل حسنٌ، والله تعالى أعلم وعلمه أتم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة: ٥٢٣، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

عَبْدُهُ ٱلْمُصْطَفَى وَنَبِيُّهُ ٱلْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ ٱلْمُرْتَضَى ....

قوله (وعبده المصطفى):

قدَّم من كمالاته العبدية لأنها أفضل المقامات وأساس جميع الكمالات، فكلّما ازداد العبد تحققًا في العبدية؛ ازداد كماله وعلتْ درجته.

وكان ﷺ على الذروة العليا عن هذا الكمال، ولذا ذكره الله في أشرف المقامات باسم العبد بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، ولقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وبقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠]، وبقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، وبقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، وبذلك استحق نبيُّنا ﷺ التقديم على جميع البشر في جميع المقامات، واستحق الأفضلية المطلقة على سائر الخلق والسيادة العامة على ولد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدنيا والآخرة، وصار سيدًا للأنبياء والمرسلين.

قوله (ونبيه المجتبى):

لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولقوله تعالى خطابًا للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قوله (ورسوله المرتضى):

لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ

خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ....

إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ولقوله تعالى خطابًا له: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، والاصطفاء والاجتباء والارتضاء متقاربة معنًى.

والمقصودُ هنا بيانُ انتخابِه ﷺ مِن الله للنبوة والرسالة، لأن النبوة والرسالة موهبة من الله بانتخابه لا اكتسابية من العبد، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

قوله (خاتم الأنبياء):

لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وبلغتْ روايات الحديث في ختم النبوة حد التواتر[١]، فختْم النبوة من ضروريات الدين وأساس تكميله المنصوص عليه في القرآن بقوله

---

(١) قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ في «الجامع لأحكام القرآن» ١١/٢٩: «وقد روي من طريق التواتر ـ من غير أن يحتمل تأويلًا ـ بإجماع الأمة قوله ﷺ: «لا نبي بعدي»». وقال العلامة أنور شاه الكشميري في «إكفار الملحدين في ضروريات الدين» صـ٢٥: «وأحاديث ختم النبوة بلغت أزيد من مائة وخمسين، منها نحو ثلاثين من الصحاح الستة». وجمع تلميذه الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني في كتابه «ختمِ نبوت كامل» باللغة الأردية، ٢١٠ حديثًا تتعلق بختم النبوة، والكتاب نافع ورائع جدًا. ومن أفضل ما كتب في هذا الموضوع وأجمعها لبيان معنى ختم النبوة وإثباتها والرد على مخالفيها وشرح الأحاديث المتعلقة بها هو كتاب الإمام المجدد قاسم العلوم والخيرات العلامة مولانا محمد قاسم النانوتوي المسمى بـ «تحذير الناس من إنكار أثر ابن عباس» باللغة الأردية وهو كتاب لم يصنف مثله، ومع الأسف لم يفهمه بعض المعاصرين لصعوبة عبارته والكتاب يحتاج إلى عالم ذي فهم عميق. فلعل أحد الفضلاء يقوم بترجمة هذين كتابين إلى اللغة العربية لينتفع بها العالم الإسلامي.

....

عز اسمه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، يكفر من ينكرها أو يؤوِّلها، فإن التأويل في ضروريات الدين لا يعتبر!

واعلم أن جميع كمالات البشر مندرجة في النبوة، وجميع كمالات النبوة في ختم النبوة، فمن يكون خاتمًا يكون جامعًا لجميع كمالات الأولين والآخرين بل منشأ لها لجميع البشر وهو محمد ﷺ بنص القرآن.

وادعى بالخاتمة وحده في جماعة الأنبياء والمرسلين بقوله في الحديث الطويل: **«فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**(١) وبقوله ﷺ: **«ختم بي النبيون»**(٢) وهو ﷺ بخاتميته كان في جميع الكمالات المقصودة على منتهى حدودها علمًا وعملًا وخلقًا ورتبةً.

أما علمه: فهو جامع لجميع علوم الأولين والآخرين لقوله ﷺ: **«أوتيت الكتاب ومثله معه»**(٣)، ولكونه مصدِّقًا لما معهم من شرائع الأنبياء والمرسلين، لقوله تعالى خطابًا للأنبياء: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٨١]، والتصديق لما معهم لا يمكن إلا بالعلم بما معهم.

وأما علمه وأسوته: فجامع لجميع حسنات السابقين واللاحقين، ولذا جعلها الله نجاة لكل من يرجو الله واليوم الآخر بعد بعثته لجميع الأقوام والأمم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ: ٣٥٣٥، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين: ٥٩٦١ من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة: ٥٢٣، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤٦٠٤ من حديث سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه. ونقل أبو بكر الفريابي، المتوفى ٣٠١هـ في «فضائل القرآن» أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «في القرآن علم الأولين والآخرين».

وَإِمَامُ ٱلْأَتْقِيَاءِ ....

لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأما خلقه: فجامع لجميع مراتب الأخلاق، وهو الخُلق العظيم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وأما مقامه ورتبته: فأخذ الله من جميع الأنبياء ميثاقهم بالإيمان به ونصرته لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، والمكلَّف بالإيمان يكون من أمة من يكلف له بالإيمان فصار الأنبياء أمة له ﷺ، وصار هذا النبي المختار ﷺ نبيًّا لهم، كما قال السيوطي في «الخصائص»[١] فصار سيدًا للأنبياء والمرسلين بمقام الخاتمية.

قوله (وإمام الأتقياء):

لأنه إمام الأنبياء، أَمَّ جميعهم في ليلة أُسري به، ومن كان إمامًا للأنبياء يكون إمامًا للأتقياء بالأولى، لأنه ليس أحد أتقى من الأنبياء! والتقوى من آثار النبوة لا بالعكس، ولقوله ﷺ: «**أما والله! إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**»[٢]، وأتقى الأتقياء على الإطلاق يكون إمام الأتقياء على الإطلاق.

---

(١) في «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب» صـ: ١٥، وقال به الإمام الجليل، الشيخ العلامة تقي الدين السبكي المتوفي ٧٥٦هـ في «التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه» صـ: ٨٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الصيام، باب: بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته: ٢٥٨٨ من حديث سيدنا عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

وَسَيِّدُ ٱلْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ....

قوله (وسيد المرسلين):

لقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي**»[١]، فسيادته ﷺ على جميع أولاد آدم عليه السلام منهم الأنبياء، فإنهم من ولَدِ آدم، تثبت من قوله «**سيد ولد آدم**»، وعلى آدم بقوله «**آدم فمن سواه إلا تحت لوائي**»، والتقييد بيوم القيامة باعتبار ظهور آثار سيادته في ذلك اليوم كل الظهور عيانًا على مجموع الأولين والآخرين في وقت واحد، لا أن سيادته مقيدة بيومٍ دون يومٍ أو وقتٍ دون وقتٍ.

قوله (وحبيب رب العالمين):

لقوله ﷺ في تذاكر الصحابة في الأنبياء: «**قد سمعت كلامكم وعجَبَكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر**»[٢].

وأيضًا أنواع المحبوبين وأسباب حب الله لهم قد بيَّنها القرآن بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) أخرجه الترمذي في: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ: ٣٦١٥ من حديث سيدنا أبي سعيد رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الترمذي في: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ: ٣٦١٦ من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث غريب.

وَكُلُّ دَعْوَةِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوَى ....

﴿ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [الصف: ٤].

ولما كانت هذه الأوصاف من الإحسان والتوبة، والتطهر والتقوى، والتوكل والإقساط، والصبر والقتال في سبيل الله، وأمثالها من كمالات المحبوبية على آخر حدودها مندرجة في ختم النبوة، فلاح منه أن خاتم الأنبياء محمدًا ﷺ أحب الخلائق إلى الله وأكرمهم على الله لجامعية جميع هذه الكمالات المقتضية للمحبوبية عند الله، فهو حبيب رب العالمين، بل سيد المحبوبين عنده.

وأيضًا انتقلتْ هذه الكمالات المقتضية لحب الله في الأمة من النبي ﷺ، فلا يمكن أن يكونَ النبيُّ عاريًا عنها بل يكون هو الأصل فيها، والأصل يكون أقوى من الفرع. فلا بد أن تكون آثارُها في الأصل أقوى من آثارها في الفروع، ورأسُ آثار الكمال المحبوبية عند الله. فتكون محبوبية الأصل أقوى من محبوبية الفروع، ولذا صار حبيبَ رب العالمين وأحب المحبوبين على الإطلاق، فإنه أصلٌ في جميع هذه الكمالات.

قوله (كل دعوة نبوة بعد نبوته فغيّ وهوى):

لأنه لا نبي بعده لقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ولقوله ﷺ في حديث طويل: «**فتم بي البنْيانُ، وخُتم بي الرُّسل**»[1]، وفي رواية «**فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»: ٣٠٣٧، والإمام ولي الدين الخطيب التبريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى ٧٤١هـ في «مشكاة المصابيح»: ٥٧٤٥، والسيوطي في «الجامع الكبير»: ١٩٩٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ: ٣٥٣٥، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين: ٥٩٦١ من حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَهُوَ ٱلْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ ٱلْجِنِّ ....

والأحاديث الواردة فيه قد بلغت حد التواتر، فمن ادعى النبوة بعد ختم النبوة فهو كاذب دجال ونبينا ﷺ أخبرنا: «**أنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(١).

وأيضًا من قام بدعوة نبوة سابقة بعد ختم النبوة فهو مفتر خادع خارج عن الملة، لأنه أنكر وكذَّب آية خاتم النبيين، ومكذِّب كلمة واحدة من القرآن خارج عن الإسلام ولا يعتبر التأويل في ضروريات الدين! ولأن مقتضى ختم النبوة فسخ الشرائع السابقة إلا ما أبقى منها نص الكتاب والسنة، ولذا قال ﷺ: «**لو أن موسى كان حيًا اليوم، ما وسعه إلا أن يتبعني**»(٢)، فمن دعا إلى نبوة سابقة، دعا إلى الشرائع المنسوخة التي لا يجوز العمل بها، فدعوته إلى عدم الجواز لا إلى الجواز، وأي غواية أشد منها؟!

قوله (وهو المبعوث إلى عامة الجن):

لقوله تعالى عن الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١﴾ [الأحقاف: ٣١]، ولقوله تعالى في الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها: ٤٢٥٢، والترمذي في أبواب: الفتن، باب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون: ٢٢١٩، من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه، وأخرج البخاري بهذا المعنى في كتاب: الفتن، باب: خروج النار: ٧١٢١، ومسلم في كتاب: الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل: ٧٣٤٢ من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أبو بكر بن شيبة، المتوفى ٢٣٥هـ في «المصنف»: ٢٦٩٤٩، و أخرجه أحمد في «المسند»: ١٤٦٣١ من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه.

وَكَافَّةِ ٱلْوَرَى بِالْحَقِّ وَٱلْهُدَى وَأَنَّ ٱلْقُرْآنَ كَلَامُ ٱللهِ تَعَالَى ....

قوله (وكافة الورى):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ولقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، ولقوله ﷺ: «**فضلتُ على الأنبياء بست**»[(١)] ومنها: «**أرسلتُ إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**».

قوله (وأن القرآن كلام الله):

يريد الشيخ أن الكلامَ صفةٌ من صفاتِ الله تعالى، وهو متكلمٌ يتكلم، والقرآن كلام الله تكلم به، فهو: كلامه بألفاظه، لا ما ألقاه بالمعنى فقط.

أما نفس التكلّم من الله فلقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وأما التكلّم بالقرآن فلقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢﴾ [البقرة: ٢٥٢]، والتلاوة نوعٌ من التكلّم سواءٌ كانت جلية أو خفية، فثبت أن الله تكلم بالقرآن وآياته لا ألقاه معنًى، ولقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٨].

والقراءة تتعلق بالمقروء ولا يكون إلا كلامًا، فالقرآن كلام مقروء من الله، إلا أننا لا نعلم كيفية التكلم، فإنه يتكلم لا كتكلمِنا كما هو يسمع لا كسمعِنا، فإنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة: ١١٦٧ من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا ....

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. بل لا مجال لتصور الكيفية في ذاته تعالى وتقدس فإنه منزَّهٌ من الكيف والكم اللذين هما من خواص الأجسام، وهذا خلاصة الآيتين:

الآية الأولى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١] ثبت منه أن الله يتكلم بالوحي فهو كلام.

والآية الثانية: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] ثبت منه أن القرآن وحي.

فثبت بجموع الآيتين أن القرآن كلام الله تعالى قد يتكلم به وأما ما اعترض عليه الفلاسفة فهو وجوابه في «التتمة»(١).

قوله (منه بدا بلا كيفية قولا):

أي: بدا(٢) هذا الكلام ـ يعنى القرآن ـ من ذاته تعالى لا من غيره، كما يقول

---

(١) للمزيد المفيد في الموضوع يراجع كتاب «مسألة خلق القرآن» لمحقق العصر، العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. وقد اقتصر فيه على ذكر منشئها، أي: مسألة القول بالخلق، وبدء تاريخها، ومن توسع في بيان أثرها من الناحية السياسية، أو تكلم فيها بإسهاب من الناحية الاعتقادية، أو تعرض لها باستيفاء من الناحية التاريخية، وقد توسع في بيان أثرها في صفوف الرواة والمحدثين وعلماء الجرح والتعديل.

(٢) قال الفارابي في «الصحاح» ٦/ ٢٢٧٨: «بَدَا: بدا الأمر بُدُوًّا، أي: ظهر». وقال الشيخ سعيد فودة: وكثيرًا ما يلتبس قولهم: منه بدا، بقولهم: منه بدأ. ويوجد فرق بينهما، فـ: بدا ـ بلا همز ـ تعني: مطلق الظهور لأمر، وظهور أمر يحتمل أنه كان موجود، ولكنه ظهر للغير بعد أن كان خافيًا عليه. =

وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَحْيًا ....

المعتزلة إن الله خلق الكلام في محل سواه فبدا ذلك الكلام من ذلك المحل[(١)]، وهو باطل يكذبه القرآن!

فإنه نَسب هذا الكلام المبين إلى ذاته بأنه منه بدا ومن تنزيله نزل، لا من غيره لقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥]، أي: بدا هذا القرآن منا ومن إنزالنا، لا من محل آخر من النبي ﷺ مثلًا. فإنه نذير وبشير بهذا الكلام لا واضع له، فهو محل النزول لا محل الوضع فضلًا عن الخلق، ولقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، ولقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١]، ولم يقل تنزيل من محل فلان أو من شخص فلان.

وأيضًا بدا بلا كيفية لأن الكيف والكم من خواص الأجسام، والله جل ذكره بصفاته العليا منزَّه عن هذا الحوادث، فهو تكلمَ بهذا القرآن لا كتكلُّمنا بالفمِّ واللسانِ.

وأيضًا القرآن بدا قولًا لا تخيلًا في القلب.

قوله (وأنزله على نبيه وحيا):

لقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ولقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، والروح: القرآن،

= وأما بدأ الشيء، فمعناه: إن وجوده كان بعد كونه غير موجود. وللمزيد انظر: «الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية» ١/ ٥٦٨.

(١) انظر «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسدآبادي المعتزلي: صـ ٥٢٨

وَصَدَّقَهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ ٱللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ ٱلْبَرِيَّةِ ....

كما قال به جمهور المفسرين[١] فإن به حَيِيَ[٢] الأقوامُ والأممُ، فثبت أنه نزل وحيًا من الله، لا أنه نشأ من العقل والحواس والتخيلات ـ والعياذ بالله!

قوله (وصدقه المؤمنون):

لأن هذه العقيدة قد تسلسلتْ من أول يوم النبوة إلى زماننا هذا، بسندٍ متَّصل عن الله جل مجده إلى الأمة المرحومة، بواسطة النبي المختار ﷺ، وانعقد عليه الإجماع في كل قرنٍ إلى القرونِ الأخيرةِ، وأيقنوا أن القرآن كلام الله تعالى بلفظهِ وبمعناهِ وكلامهِ قد تكلمَ اللهُ به، ما ألقاه معنًى فقط، فضلًا عن إلقائه بإدراكٍ عقلي أو بالتخيل.

قوله (وليس بمخلوق):

لأن الله تعالى قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] ولم يقل إن الله خلق كلامه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال عز اسمه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولم يقل: وخلق كلامَه ربُّه، فكلامه صفةٌ صادرةٌ منه لا مخلوق منه.

---

(١) انظر «جامع البيان في تأويل القرآن» للإمام المفسر المحدث محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠هـ: ٢١/ ٣٦٤، و«بحر العلوم» للإمام أبي الليث السمرقندي، المتوفى ٣٧٣هـ: ٣/ ٢٥٠، و«تفسير ابن كثير» للإمام المفسر المؤرخ ابن كثير الدمشقي، المتوفى ٧٧١هـ: ٧/ ١٦١، و«الجامع لأحكام القرآن»، للإمام القرطبي: ١٥/ ٢٩٩، وغيرهم كثير.

(٢) أي: نشأ وصار ذا حياة انظر «القاموس المحيط»: صـ١٢٧٧، و«معجم اللغة العربية المعاصرة»: ٥٩٧/١

....

وأيضًا يقال في العرف: إن فلانًا يتكلمُ، ولا يقال: إنه يخلق كلامه. وهذا بديهيٌ واضحٌ لا يحتاج إلى إمعان النظر إذا كانت الفطرة سليمة.

ولذا قال إمامنا الأعظم أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ في «الفقه الأكبر»: «القرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوبٌ، وفي القلوب محفوظٌ، وعلى الألسن مقروءٌ، وعلى النبي ﷺ منزَّلٌ، ولفظنا بالقرآن مخلوقٌ، والقرآن غير مخلوق»(١).

وأحسن ما قيل في هذا الباب، قول الشيخ الإمام عبد العزيز المكي(٢) في كتاب »الحيدة«(٣) حين ناظر وخاطب بشر المريسي رئيس المعتزلة، القائل بأن القرآن مخلوق، وكان هذا في مجلس المأمون حيث قال الشيخ عبد العزيز لبشر: «يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها؛ إما أن تقول: إن الله خلق كلامه في نفسه، فهذا محال لأن الله لا يكون مكانًا للحوادث، ولا يكون شيء مخلوقًا في ذاته ونفسه، تعالى وتقدس، أو تقول: إن الله خلق كلامه في غيره، فهو كلام غيره لا كلام الله، أو تقول: إن الله خلق كلامه قائمًا بنفسه وذاته مستقلًا من غير ذات ولا شخص وهو قائم بنفسه على حدة عن ذات وشخص، وهو أيضًا محال فإن الكلام لا يكون إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم».

فلا يعقل كلام قائم بنفسه على حدة عن ذات المتكلم، كالإنسان والحيوان

---

(١) انظر «الفقه الأكبر»: صـ٢٤

(٢) هو الشيخ، الفقيه، المناظر، الإمام عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي من تلميذ الإمام الشافعي صاحب التصانيف العديدة، توفي في سنة ٢٤٠هـ.

(٣) في «الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن»: صـ٨٣

فَمَنْ سِمَعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ ٱلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ وَقَدْ ذَمَّهُ ٱللهُ تَعَالَى وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ عَذَابَهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ فَلَمَّا أَوْعَدَ ٱللهُ تَعَالَى بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ ٱلْبَشَرِ وَلَا يُشْبِهُهُ قَوْلَ ٱلْبَشَرِ ....

يتكلم بذاته من غير متكلم يتكلمه، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون الكلام والقرآن مخلوقًا ثبت أنه صفة الله، وصفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة!

قوله (فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر):

لأن الله سمَّاه كلامَ اللهِ، لا كلام البشَر حيث قال عز اسمه: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦]، فمن قال إنه كلام البشر فهو معارِض لهذه الآية ومجادِل لها، فلا شك في كفره!

قوله (وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه):

دليلٌ آخر على كفرِ من أنكرَ كونه كلام الله، وعلى أن القرآن كلام الله لا كلام البشر، لأن الله أوعد بالنار كل من قال: إنه كلام البشر، فثبت أن من قال: إنه كلام البشر، فهو كافر ناري مجادل بالقرآن!

قوله (ولا يشبهه قول البشر):

أي: كلامه لا يشبه كلام البشر كجميع صفاته لا تشبه صفات البشر، فهو يعلمُ لا كعلمِنا، ويقدرُ لا كقدرتِنا، ويرَى ويسمعُ لا كرؤيتِنا وسمعِنا فكذا يتكلمُ لا كتكلمِنا.

وَمَنْ وَصَفَ ٱللَّهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِيَ ٱلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا فَقَدِ ٱعْتَبَرَ وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ ٱلْكُفَّارِ ٱنْزَجَرَ ....

قوله (ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر):

لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، كما مرَّ تفصيله.

فبهذه الآية الكريمة تجري عدم المماثلة في جميعِ صفاتِه تعالى بنفيِ التشبيهِ بأنَّ معاني هذه الصفات ليس كمعاني صفات البشر، فتشبيه ذاته وصفاته بخلقه كفر! لأنه إنكار لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فإن الله يقول بنفي التشبيه وهذا المنكر يدعي إثباتَ التشبيه، وهذا صريح المعارضة وهو كفرٌ ظاهرٌ!

وأيضًا إنكار الصفات كفرٌ لأن الله يقول مثبتًا للصفات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، وكذا يقول في مواضع أُخر: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢]، وغير ذلك من الأسماء الحسنى. والمنكِر يدعي نافيًا لصفاته أنَّه ليس بسميعٍ ولا بصيرٍ ولا حكيمٍ ولا خبيرٍ ولا عليّ ولا كبيرٍ وهذه المعارضة أشد من المعارضة السابقة، فأي كفر أشد منه؟!

قوله (وعن مثل قول الكفار انزجر):

أي: مثل قولهم في نفي كلامه عز وجل: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥]، ومثل قول اليهود في نفي المتكلم حيث قالوا: لا نؤمن بها حتى نسمع كلام الله بآذاننا، وإذا أسمعوا قالوا: لا نعلم من يتكلم؟ أهو الله أم غيره؟ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

وَعَلِمَ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ....

وكان منشأ هذه الأقوال الزائغة: نزغة التشبيه، بأنهم زعموا أن معاني صفاته كمعاني صفاتنا، أي: كما أننا نسمع كلام المخلوق بآذاننا، كذا يمكن أن نسمع كلامه تعالى بهذه الآذان في هذه الدار. وكما أننا نرى أمثالنا، كيف لا نرى ربنا بهذه الأعين في الدنيا؟ فرد الله عليهم جميع هذه الأقيسة الفاسدة التي تقاس بها معاني الألوهية على معاني البشرية، وزجرهم على قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥] بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦].

فنبَّه المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه ينبغي للمؤمن أن ينزجر بهذا الزجر الإلهي ويفهم أن لا يقاس كلامه على كلام البشر، ولا تكلمه على تكلم البشر، ولا يشبه كلامه وتكلمه فإن الله بصفاته ليس كالبشر لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

قوله (والرؤية حق):

أي: يمكن لنا أن نرى الله تعالى بالباصرة في الدنيا، ولا استحالة فيها عقلًا وشرعًا؛

أما الأول: فلأنه موجود، وكل ما هو موجود فهو متعلق بالرؤية.

وما قاله المعتزلة: أن الرؤية مشروطة بكون المرئي في مكانٍ وجهةٍ ومقابلةٍ من الرائي، وثبوت مسافة بحيث لا يكون في غاية القرب، ولا في غاية البعد؛ وكل ذلك محال في حق الله، فغير مسلَّم لأنها عندنا أسباب عادية، أي: يخلق الله الرؤية بعدها، ولكنها ليس بموقوفة عليها، بل هو قادر على أن يخلقها بغيرها أيضًا كما كان النبي ﷺ يرى خلفه كما يرى أمامه بلا مقابلة المرئي.

....

وأما الثاني: فلأن موسى عليه السلام سأل الرؤية بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلو لم يكن النظر إليه ممكنًا لكان طلبها جهلًا بما يجوز في ذات الله تعالى وما لا يجوز، أو طلبًا للمحال والأنبياء منزهون عن ذلك.

وهذه الرؤية واقعة في الآخرة لأهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**»[١].

[هذا ردٌّ على مذهب التعطيل ونفي الصفات، بإثبات صفة الرؤية له سبحانه وتعالى.

فإنه تعالى راءٍ يرى جميع خلقه وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم كل حينٍ، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق: ١٤]، ولقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥﴾ [طه: ٣٥]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وكما هو راءٍ كذلك هو مرئي أيضًا، ينظر الخلائق إلى وجهه الكريم في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى زاجرًا للكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر: ٥٥٤، ومسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليها: ١٤٣٤ من حديث سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ....

فلما حجب الكفار عن رؤيته في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، بل يثبت إمكان الرؤية بمحض دعاء موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] في الدنيا أيضًا لأنه لا يُظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، إلا أنه ليس لعين في الدنيا أن تنظر إليه لضعفها عن الرؤية، لا أنه لا يمكن الرؤية. ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يقل لن أُرى.

فبهذه الدلائل الواضحة، واضحٌ أن الله تعالى مرئي ممكن الرؤية، ولكن يقع هذا في الآخرة، إذ كان بصرك اليوم حديد. ولا يقع في الدنيا لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، كمثل موسى عليه السلام نبي الله ما تحملت قواه رؤيته مع هذه الجلالة والكرامة، كيف؟ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله ولأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلمَ موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذا الدار مع هذه الصلابة والفخامة، فالبشر أضعف!][1].

قوله (بغير إحاطة ولا كيفية):

أي: نرى الله تعالى ولكن لا يمكن أن نحيط به كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

---

(١) هذه الفقرة التي بين قوسين من: (هذا ردٌّ على مذهب التعطيل ونفي الصفات...) ليست موجودة في (أ)، ولكنها موجودة في (ج) فألحقتُها من هناك، والفقرة التي في (أ) ليست موجودة في (ب) و(ج)، ولم يتبين لي سبب هذا السقط والزيادة.

....

والإدراك: هو الرؤية مع الإحاطة، والرؤية ليست بمستلزمة لها كما قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢]، والاحاطة موقوفة على الحدود والأطراف والله منزه عن ذلك، وهكذا عن الكيف والكيفية لأنها من خواص الأجسام.

[هذا ردٌّ على مذهب التشبيه بنفي الإحاطة والكيفية.

يعني كما أن الإحاطة والكيفية يمكنان في رؤية المخلوق، لا يمكنان في رؤية الخالق، لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝﴾ [الأنعام: ١٠٣] لأن الإدراك هو الإحاطة وهو شيءٌ زائدٌ على الرؤية، لا يلزم للرؤية.

فنفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، وهذا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝﴾ [طه: ١١٠]، فهذا نفي إحاطة العلم به لا نفي العلم، فكذا نفي إحاطة الأبصار لا يستلزم نفي الإبصار.

فالمعنى أنه يُعلم ولا يُحاط عِلمًا، ويُرى ولا يُحاط بالرؤية بالإدراك، فردَّ المصنِّف على المعطلين بقوله: (**والرؤية حق لأهل الجنة**) وردَّ على المشبهين بقوله: (**بغير إحاطة ولا كيفية**)، لأنه لا مجال للكيفِ والكمِّ في ذاته وصفاته فإنها من خواص الجسم، وهو منزَّهٌ متعالٍ عن هذه القيود والحدود، فإن صفاته مثل ذاته، فكما لا حدَّ لها في الابتداء ولا في الانتهاء، كذا لا حدَّ لها في نفسها من حيث الكمال، لأنه ليس فيها شائبة النقص والزوال وهي وسعت كل شيء حسب استعدادات الظروف والأحوال، وهذا في ذات المخلوق وصفاته محال][(١)].

(١) أيضًا هذه الفقرة التي بين قوسين من: (هذا ردٌّ على مذهب التشبيه...) ليست موجودة في (أ)، ولكنها موجودة في (ب) و(ج).

وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَى وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيْحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مَتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَا مَنْ سَلَّمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَرَدَّ عِلْمَ مَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ ....

قوله (وتفسيره على ما أراد الله تعالى):

أي: مرادُ كلامِهِ تعالى يكونُ حسب ما أراد به، لا ما نتأول به من آرائنا ونتخيل بتخيلاتنا ونتوهم بأوهامنا، فلا مدخل للرأيِ والقياسِ في مثل هذه المسائل بتعيين مفاهيمها ومصاديقها بالرأي المجرد، ولا دخل فيها للتجويز بل يجب فيها التفويض والتسليم إلى ما صرَّح به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفَهِمَه السلف الصالحون وأجمعوا عليه، فصار مسلكًا مسلوكًا من السلف الصالحين إلى الخلف العادلين، يندفع عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

قوله (إلا من سلم لله عزوجل ولرسوله ﷺ):

اقتباس من قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]

قوله (ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه):

لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الحج: ٣].

وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلِاسْتِسْلَامِ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُجِزَ عَنْهُ عِلْمُهُ وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ ٱلتَّوْحِيدِ وَصَافِي ٱلْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ ٱلْإِيمَانِ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلتَّصْدِيقِ وَٱلتَّكْذِيبِ وَٱلْإِقْرَارِ وَٱلْإِنْكَارِ ....

قوله (ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلام هو الاستلام والتسليم والتفويض لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١]، أي: فوِّض أمرك إلينا، وكنْ أنت في يد أمر الله في جميع أمور الحياة والممات، كالميت في يد الغسال ثم بيَّن تفصيله بقوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فأمَره اللهُ بالتفويض وصرَّح بأنه هو الإسلام.

قوله (ولم يقنع بالتسليم):

أي: اعتمادًا على عقله ومجرد رأيه أو فهمه الطبيعي. ومن البديهي أنه كيف يُعلم أصول دين الله من غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؟ وكيف يُفسَّر كتاب الله بغير ما فسَّره به رسولُ الله ﷺ وأصحابُه رضوان الله عليهم أجمعين؟ الذين نزل القرآن بلغتهم وفهموه بلسان النبوة في حضور النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»**[1] وفي رواية: **«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»**[2].

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: ٨٠٣١، وفي «فضائل القرآن»: ١١٠، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: تكرير الحديث: ٣٦٥٢، والترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٩٥٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مُوَسْوِسًا تَائِهًا شَاكًّا زَائِغًا لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا وَلَا يَصِحُّ ٱلْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ (أَيْ الجَنَّةُ) لِمَنِ ٱعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ (مِنْ رَأْيِهِ) إِذَا كَانَ تَأْوِيلُ ٱلرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى ٱلرُّبُوبِيَّةِ لَا يَصِحُّ ....

ووجهه أن مبنى الدين النقل من الله لا العقل من الدماغ! وإلا لم يبعثْ الرسل، ولم ينزلْ الكتب السماوية، ولم يفسر بوحي من الله، ولم يخبر بورثته ﷺ أنهم يكونون بعده معلمي الكتاب والسنة بالتوارث بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فمن يتكلم في الدين بما يظن ويفهم أنه دين ولم يتلقَّ من كتاب الله ولا بما أراده الله منه على لسان نبيه ﷺ وما سلك سبيلهم، فإنما يتكلم برأيه وهو آثم وإن أصاب اتفاقًا[(١)]، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ ولكن إنْ أصاب يضاعف أجره[(٢)].

قوله (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم):

أي: الإيمان يتعلق باتباع النقلِ وتسليمِه لا بتأويل العقلِ وإيهامِه، فإنه زيغٌ

(١) كما في حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»، أخرجه الترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٩٥٢ وقال هذا حديث غريب.

(٢) ودليل ذلك في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ٧٣٥٢، ومسلم في كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ٤٤٨٧.

وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلِاسْتِسْلَامِ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُجِزَ عَنْهُ عِلْمُهُ وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ ٱلتَّوْحِيدِ وَصَافِي ٱلْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ ٱلْإِيمَانِ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلتَّصْدِيقِ وَٱلتَّكْذِيبِ وَٱلْإِقْرَارِ وَٱلْإِنْكَارِ ....

قوله (ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلام هو الاستلام والتسليم والتفويض لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١]، أي: فوِّض أمرك إلينا، وكنْ أنت في يد أمر الله في جميع أمور الحياة والممات، كالميت في يد الغسال ثم بيَّن تفصيله بقوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فأمَره اللهُ بالتفويض وصرَّح بأنه هو الإسلام.

قوله (ولم يقنع بالتسليم):

أي: اعتمادًا على عقله ومجرد رأيه أو فهْمه الطبيعي. ومن البديهي أنه كيف يُعلم أصول دين الله من غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؟ وكيف يُفسَّر كتاب الله بغير ما فسَّره به رسولُ الله ﷺ وأصحابُه رضوان الله عليهم أجمعين؟ الذين نزل القرآن بلغتهم وفهموه بلسان النبوة في حضور النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»**[1] وفي رواية: **«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»**[2].

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: ٨٠٣١، وفي «فضائل القرآن»: ١١٠، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: تكرير الحديث: ٣٦٥٢، والترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٩٥٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مُوَسْوِسًا تَائِهًا شَاكًّا زَائِغًا لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا وَلَا يَصِحُّ ٱلْإِيْمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ (أَيْ الجَنَّةُ) لِمَنِ ٱعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ (مِنْ رَأْيِهِ) إِذَا كَانَ تَأْوِيلُ ٱلرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيْلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى ٱلرُّبُوبِيَّةِ لَا يَصِحُّ ....

ووجهه أن مبنى الدين النقل من الله لا العقل من الدماغ! وإلا لم يبعثْ الرسل، ولم ينزلْ الكتب السماوية، ولم يفسر بوحي من الله، ولم يخبر بورثته ﷺ أنهم يكونون بعده معلمي الكتاب والسنة بالتوارث بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فمن يتكلم في الدين بما يظن ويفهم أنه دين ولم يتلقَّ من كتاب الله ولا بما أراده الله منه على لسان نبيه ﷺ وما سلك سبيلهم، فإنما يتكلم برأيه وهو آثم وإن أصاب اتفاقًا[(١)]، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ ولكن إنْ أصاب يضاعف أجره[(٢)].

قوله (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم):

أي: الإيمان يتعلق باتباع النقلِ وتسليمِه لا بتأويل العقلِ وإيهامِه، فإنه زيغٌ

(١) كما في حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»، أخرجه الترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٩٥٢ وقال هذا حديث غريب.

(٢) ودليل ذلك في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ٧٣٥٢، ومسلم في كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ٤٤٨٧.

فَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ إِلَّا بِتَرْكِ ٱلتَّأْوِيلِ وَلُزُومِ ٱلتَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ ٱلْمُرْسَلِينَ وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ ٱلنَّفْيَ وَٱلتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ ٱلتَّنْزِيهِ ....

لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

ردَّ اللهُ على تأويل المتشابهات، وحرَّض على التسليم والإيمان بها بلا تأويل، فكيف بمن يتأول في المحكمات أيضًا بمعيار عقله وفهمه الطبيعي الذي لم يرب بتربية المعلمين، ولم يتزك باتباع المصلحين، ولم ينصبغ بصبغة الله بصحبة الكاملين، ولم يهتدِ بهدي عباد الله الصالحين، وحُرِّم من تمرين المتقين؟

فإن مثل هذه التأويلات قبل طَيِّ[1] هذه المراحل، تأويل الوهمِ والظنِّ، وإيمانٌ بالعقلِ لا بالنقلِ، وإيجادٌ بما تخيل به الأوهام لا اجتهاد موصل إلى المرام، وهو تأويل فاسد.

أما التأويل الصحيح فهو إخبار بمراد المتكلِّم، لا إنشاء.

ولا سيما إذا كان للألفاظ معنى ظاهر بالوضع والقرائن الواضحة تؤكده، وقبول السلف والخلف إجماعًا يؤيده، فالتأويل فيها تحريفٌ لا تأويلٌ، ومزيد التفصيل في «التتمة».

قوله (والتشبيه زل):

لأن الاعتدال بين الخروج والاعتزال، ولا يكون فيه تشبيه ولا تعطيل في

---

(١) أي: داخل، وضمن. فالمراد هنا: قبل أن يدخل في هذه المراحل المذكورة، أي: مرحلة التربية من المعلمين، ومرحلة اتباع الصالحين، ومرحلة صحبة الكامليم، إلخ.

فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ ٱلْوَحْدَانِيَّةِ مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ ٱلْفَرْدَانِيَّةِ لَيْسَ بِمَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْبَرِيَّةِ ....

أي صفة من صفات الحق سبحانه، لا سيما في الرؤية كما ثبت آنفًا. فإن التشبيه والتعطيل ينشآن من تعمقات العقول الجزئية، وقياس الغائب على الشاهد، وهذا هو منشأ الإفراط والتفريط.

فبعضهم اخترعوا وشبهوا الله بخلقه في صفاته، وبعضهم اخترعوا وعطلوا عن صفاته أصلًا، فالمعطِّل يعبدُ عدمًا، والمشبِّه يعبدُ صنمًا، والموحِّد يعبدُ صمدًا!

قوله (فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، أي: في ذاته وصفاته.

قوله (منعوت بنعوت الفردانية):

لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ [الإخلاص: ٢ – ٣].

قوله (ليس بمعناه أحد من البرية):

لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص: ٤]. فقول المصنف: (موصوف بصفات الوحدانية، ومنعوت بنعوت الفردانية) إثبات متضمن لنفي التعطيل، وقوله: (ليس بمعناه أحد من البرية) نفي التشبيه!

فدين الله عدل ووسط؛ بين الإثبات والنفي، وبين الإفراط والتفريط، لا إثبات محض ولا نفي مطلق.

كمسألة الذات في كلمة التوحيد؛ ليس فيها إنكار الذات ولا فيها إثبات

....

الذوات، بل فيها إثبات التوحيد بعد إنكار التعدد. فهكذا مسألة الصفات؛ لها ثبوت ونفي، فالثبوت أنها ثابتة موجودة فيه أزلًا وأبدًا، والنفي أنها ليست تشابه الخلق من أي جهةٍ ونعتٍ، لأن التعدد والتكثر والتشابه من شأن الخلق، والوحدة والتوحد والأحدية من شأن الخالق.

فلا يمكن أن يكون الخلق مثل الخالق، بأن لا يمكن مثله ولا مثال له، ولا ضدًّ له ولا ندَّ له، كما لا يمكن أن يكون للخالق مثل ومثال، وضد وند.

وهذا هو الاعتدال وأمر بين الأمرين؛ أحد جانبيه الخروج، والآخر الاعتزال، وكان أمرهما فرطًا.

وطريقة القرآن الجمع بين النفي والإثبات في الصفات، كمثل الذات وهو التوسط والعدل، فإن شئت الإثبات في الصفات فاقرأ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤]، وإن شئت النفي فاقرأ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: (**بصفات الوحدانية**)، أي: لا مثل له يشابهه، وقوله: (**بنعوت الفردانية**)، أي: لا نظير له يساويه.

والوصف والنعت مترادفان[1]، وقيل: متقاربان، فالوصف للذات والنعت للفعل. وكذلك الوحدانية والفردانية، وقيل بالفرق بينهما: بأن الوحدانية للذات والفردانية للصفات.

---

(١) انظر «معجم الفروق اللغوية» للشيخ اللغوي الحسن ابن مهران العسكري، المتوفى ٣٩٥هـ: ١/ ٥٤٥.

تَعَالَى عَنِ ٱلْـحُدُودِ ....

قوله (تعالى عن الحدود):

لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦]، ولقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ۝١٣٠﴾ [النساء: ١٣٠]، وبيانه: أن كلَّ ما سواه فهو محدود في حدٍّ ذاته وصفاتِه وأفعالِه وبجميعِ ما يصدر منه، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]. فثبت أن كل شيء محدود بمقداره في خِلقتِه وبدنِه وروحِه وبجميع ما تشتمل عليه نفسه، وهذه المقادير لها حدود لا يمكن أن تتجاوز عنها في حال وشأن!

ومعلوم أن محدِّد هذه الحدود والمقدِّر لهذه المقادير ليس إلا الله سبحانه وتعالى، لأنه خالقها وجاعلها لقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ ولقوله: ﴿نُنَزِّلُهُۥٓ﴾، فهذه الحدود والمحدودات كلها في إحاطة الله؛ والله محيط بها، فكيف يمكن أن يكونَ المحيطُ بكل شيء محاطًا بهذه الأشياء المخلوقة له؟ وإلا لزم اجتماع الضدين!

فالمعنى أن ذاته غير محدودة بحد وأن صفاته ليس لها حد، وإلا يتساوى الخلق والخالق، وهذا محال لاجتماع الضدين! بأن يكون الشيء الواحد خالقًا ومخلوقًا ومحدودًا وغير محدودٍ.

فثبت بهاتين الآيتين الكريمتين أنه سبحانه متعال عن الحدود وبحسب الذات والصفات أزلًا وأبدًا لا حد لابتدائه ولا لانتهائه، ولا لوسعته ولا لإحاطته، يحيط الموجودات كلها بفعله ويحيط المعدومات كلها بقوته وعلمه وقدرته على إيجادها.

وَٱلْغَايَاتِ وَٱلْأَرْكَانِ وَٱلْأَعْضَاءِ ....

قوله (والغايات):

لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران: ١٠٩]، ولقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

تدل هذه الآيات الكريمة على أن كل شيء ينتهي ويرجع ويصير إليه، ولا ينتهي ولا يرجع ولا يصير هو سبحانه وتعالى إلى شيء. فثبت منه أن لكل شيء منتهى ينتهي إليه، وهذا المنتهى هو الله سبحانه، وليس لله منتهى ينتهي إليه! فثبت أنه متعال عن الغايات وحدود الانتهاء، كذلك لا حدَّ له ولا انتهاء، فهو غير محدودٍ وغير مُنتهٍ، وتفصيله في «التتمة».

قوله (والأركان):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٢]، وبيانه أن الأركانَ والأعضاءَ تكون من أجزاء الماهية وأن اللهَ تعالى أحدٌ لا يتجزأ، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وأيضًا يكون في الأعضاء معنى التفريق والتبعيض، لأن كل عضو غير العضو الآخر متميزٌ عنه وإلا لا يبقى عضوًا خاصًا، وهو تعالى لأحديته بريء عن التبعيض والتفريق.

وأيضًا يكون في الجوارح معنى الاكتساب، وهو متعال عن الكسب والاكتساب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وَٱلْأَدَوَاتِ ....

فثبت أنه ليس له أركان ولا أعضاء، نعم إنه تعالى وضع الأسبابَ، وخلق الأشياءَ من الأشياء، وجعل شيئًا سببًا لشيء آخر، ولكن هذه الأسباب أيضًا مخلوقة له تحتاج إليه سبحانه، لا أنه يحتاج إليها، وبها أظهر أفعاله في ضمن الأسباب، فهو بالحكمة لا بالعجز.

والأسباب أيضًا مخلوقة له تحتاج إليه، إلا أن أسماء الأعضاء والأركان وإن أُطلقت عليه سبحانه في الكتابِ والسنةِ، مثل: اليد والوجه، والقدم والأصابع، والأنامل والعين، والساق والخاصرة، وغير ذلك لكن ليس معناها كمعاني الأعضاء البشرية! بل معناها كما يليق بشأنه، فكما أن ذاته ليس كذواتنا، وصفاته ليس كصفاتنا، وأفعاله ليس كأفعالنا، هكذا مسميات جميع هذه الأسماء ليس بمسمياتنا.

فالطريق الأسلم أن تحمل هذه الأسماء على معانيها الحقيقية، ويقال كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستواء: «أن معناها معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[(١)]، لأنه لا يدرك كنهها ولا يحاط بها علمًا و﴿لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قوله (والأدوات):

لأن فيها معنى الانتفاع، وهو منزه عن النفع والضرر! لا ينتفع ولا يتضرر، لأنه

(١) نقله الإمام المحدث عثمان بن سعيد الدارمي، المتوفى ٢٨٠هـ في «الرد على الجهمية»: صـ: ٦٦، والشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، المتوفى ٤٤٩هـ في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: صـ١٨١، والمحدث الكبير، الحافظ الناقد شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ، في «تذكرة الحفاظ»: ١/ ١٥٥، ونقله عنه بألفاظ مختلفة، منها ما أخرجه البيهقي سندًا ومتنًا في «الأسماء والصفات»: صـ٥١٤: عن مالك قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا.

وَلَا تَـحْوِيهِ ٱلْـجِهَاتُ ٱلسِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ ....

هو مالك النفع والضرر وخالقهما، وهما تابعان لإرادته ومشيئته، يحتاجان إليه في وجودهما لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۢ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفتح: ١١].

فهل يتصور أو يمكن أن ينتفع خالق النفع من النفع المخلوق له، أو يتضرر خالق الضرر عن الضرر المخلوق له؟ وإلا لزم اجتماع الضدين بأن يكون غنيًّا عن النفع والضرر ومحتاجًا إلى النفع والضرر.

ولأن الاسم من أسمائه الحسنى النافع لا المنتفع، لأن النافعية فاعلية، والانتفاع قابلية، ينفعل من الغير وهو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. لا أنه قابل ومنفعل لما يريد به غيره في فعله، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦]، ولأن فيها معنى الخلو بأنه خال عن الكمال بنفسه وإيصاله إلى شيء من قوة ذاته، فيحتاج إلى غيره من الأدوات والآلات بالاكتساب منها وهو ينافي قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ولأن فيها معنى الاستكمال بالغير وهو ينافي الصمدية مع أنه صمد لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ٢]، ومعناه أنه غني عن الكل والكل يحتاج إليه.

وبهذه الوجوه المعبرة بعبارات النصوص من الكتاب، ثبت أنه جل ذكره تعالى عن الأدوات والآلات في أفعاله، إلا أنه خلقها ويخلقها ويستعملها تحت حكمته من غير احتياجٍ وعجزٍ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قوله (ولا تحويه الجهات الست):

لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج: ٢٠]، وما وراء الشيء من

....

كل جانبٍ هو طرفه الخارج منه، وبه يعتبر الجهة بالنسبة إلى غيره من جوانبه الستة.

وإذا كان الله يحيط من ورائهم، فمعناه أنه محيط بكل جهاته الستة، وجميع جوانبه الخارجة منه. لأن الجهة من وراء كل شيء تحيط الشيء من جميع الأطراف، ومن كان محيطًا بكل شيء، ومن وراء كل شيء، لا يمكن أن يحاط بالشيء، أو من وراء الشيء، وإلا لزم اجتماع الضدين، بأنه محيط ومحاط وهو محال!

فثبت أنه منزه ومتعال عن احتواء الجهات الست له، بل ثبت عنه أيضًا أنه حاوٍ على الجهات، ومحدِّدها ومعيار لتعيينها لكونه محيطًا بها. لأنه إن أُخذ جهة الفوق مثلًا فالله فوق كل شيء، لأن صفته الظاهر ليس فوقه شيء، وإن أُخذ التحت فهو الباطن ليس دونه شيء، ولو هبط شيء من العرش إلى تحت الثرى لهبط على الله، كما هو منصوص في الحديث(١)، فهو الفوق المطلق والدون المطلق!

وإذا ثبت أن جميع الفوقيات تحت فوقيته وجميع التحتيات فوق(٢) تحتيته، فكذا يثبت جهة اليمين منه فلا يعتبر يمين إلا به، وكلتا يديه يمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة: ٢٧]، و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ [الواقعة: ٤١].

وهو قدام جميع الكائنات وأمامها يقودها لأنه هو الأول، وهو خلف جميع

---

(١) أشار المؤلف إلى الحديث الطويل الذي أخرجه الترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: من سورة الحديد: ٣٢٩٨ من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمدٍ بيده، لو أنكم دلَّيتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبط على الله». وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) في الأصل: «وجميع التحتيات تحت تحتيته» ولعل الصواب ما صححته، ويدل على ذلك ما قاله المؤلف في قوله: «وإذا أخذ التحت فهو الباطن ليس دونه شيء».

وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ قَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ ....

الكائنات ووارثها لقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ ﴾ [القصص: ٥٨]. وهو يتجلى في المحشر، بعد التمييز بين المطيع والمجرم، والمخلص والمنافق، يقود الناس إلى الصراط، فجميع الخلائق خلفه يمشون إلى الصراط[١].

وبالجملة ثبت أنه محدد الفوق والتحت، واليمين والشمال، والقدام والخلف، ومعيار لجميع الأينيات والجهات، لقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]، اعتبار الجهات هو ذاته لا غير، فهذا دليل واضح على أنه لا تحويه الجهات الست بل هو يحوي عليها ويحيط بها، وهذا هو مدعى المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله (والمعراج حق):

لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، هذه الحصة الأولى من الإسراء من مكة إلى بيت المَقْدِس، والحصة الثانية من الإسراء من البيت المقدس إلى السماوات، ثم إلى السِّدْرَة ثم إلى الجبَّار سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ٦ - ١٠].

قوله (قد أسري بالنبي ﷺ):

إشارة إلى المعراج الجسماني لقوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فإن العبد،

---

(١) كما ورد في الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام ابن أبي الدنيا، المتوفى ٢٨١هـ في «صفة الجنة»: صـ٢٩، والإمام المحدث الطبراني في «المعجم الكبير»: ٩٧٦٣، والإمام المحدث نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ١٨٣٥٢ عن سيدنا ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «والرب ـ عز وجل ـ أمامهم، حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف، فيقول: مروا».

فِي ٱلْيَقَظَةِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ إِلَى حَيْثُ مَا شَاءَ ٱللهُ مِنَ ٱلْعُلَى وَأَكْرَمَهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا شَاءَ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞﴾ وَٱلْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ ٱللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ ....

أي: ذاته الشريفة، مجموع الجسم والروح، لا الروح فقط! وإلا قيل أسرى بروحه أو ذهب بروحه.

قوله (في اليقظة إلى السماء):

لأنه معجزة وهي لا تستقيم إلا في اليقظة، لأن العروج إن كان منامياً أو روحياً لا يستبعد، ويمكن لغير النبي ﷺ أيضًا، فلا يبقى فيه معنى الإعجاز.

قوله (والحوض الذي أكرمه الله تعالى به):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۞﴾ [الكوثر: ١]، وقال رسول الله ﷺ: **«أتدرون ما الكوثر؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: **«فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم»**[(١)]، وعن رسول الله ﷺ: **«إني فرطكم على الحوض، من مرَّ علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا»**[(٢)]، والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، وقد استقصى طرقها الحافظ الكبير ابن كثير في تاريخه الكبير المسمى بـ«البداية والنهاية» من شاء فليراجع[(٣)].

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: ٨٦٤ من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: في الحوض: ٦٥٨٣، من حديث سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) في «البداية والنهاية»: ١٩/ ٤٢٣

وَٱلشَّفَاعَةُ ٱلَّتِي ٱدَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي ٱلْأَخْبَارِ ....

قوله (والشفاعة التي ادخرها لهم حق):

لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ولقول تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨]، بدأ الشفاعة بالنفي لئلا يتكل الناسُ على شفاعة أوليائِهم وآبائِهم الصالحين.

والشفاعة أنواع، كما تدل عليه الأحاديث الواردة فيها؛ الشفاعة الكبرى وهي لجميع الخلائق للحساب(١)، والشفاعة لأهل الكبائر(٢)، والشفاعة لعصاة المؤمنين بعد دخولهم في النار(٣)، والشفاعة لارتقاء مدارجهم بعد النجاة(٤)، وغير ذلك.

---

(١) كما في حديث سيدنا أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة»، أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة: ٦٣٠٤، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته: ٤٨٧.

(٢) كما في حديث سيدنا أنس بن مالك ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في الشفاعة: ٤٧٣٩، والترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في الشفاعة: ٢٤٣٥، وأخرجه ابن ماجه في أبواب: الزهد، باب: ذكر الشفاعة: ٤٣١٠ من حديث جابر ﵁. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) كما في حديث سيدنا أبي سعيد الخدري ﵁ الطويل عن رسول الله ﷺ قال: «فو الذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه» أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾: ٧٤٣٩، ومسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية: ٤٥١.

(٤) كما في حديث سيدتنا أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته =

وَٱلْمِيْثَاقُ ٱلَّذِيْ أَخَذَهُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ ....

وكذا الشافعون عدة أنواع؛ الأنبياء[١]، والملائكة[٢]، والعلماء[٣]، والشهداء[٤]، والصلحاء[٥]، والحفاظ[٦]، وغيرهم من المؤمنين كما ورد في الأحاديث متصلًا.

قوله (والميثاق الذي أخذه الله من آدم وذريته حق):

لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

= في المهديين» أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر: ٢١٣٠.

(١) يدل على ذلك أحاديث كثيرة، منها الحديث الطويل عن سيدنا أبي سعيد الخضري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «فيشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون»، أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: ٧٤٣٩، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية: ٤٥١.

(٢) كما مر في الحديث السابق لسيدنا أبي سعيد الخدري ﵁.

(٣) كما في حديث سيدنا عثمان بن عفان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»، أخرجه ابن ماجه في أبواب: الزهد، باب: ذكر الشفاعة: ٤٣١٣

(٤) كما في حديث سيدنا أبي الدرداء ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته» أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في الشهيد يشفع: ٢٥٢٢

(٥) ورد ذلك في أحاديث كثيرة، كشفاعة سيدنا عثمان بن عفان ﵁ كما رواه الحسن البصري مرسلاً عن رسول الله ﷺ قال: «يشفع عثمان بن عفان ﵁ يوم القيامة بمثل ربيعة ومضر» أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في الشفاعة: ٢٤٣٩.

(٦) كما في حديث سيدنا علي ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن واستظهره، فأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله به الجنة وشفَّعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار». أخرجه الترمذي في أبواب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل قارئ القرآن: ٢٩٠٥، وابن ماجه في أبواب: السنة، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه: ٢١٦. استظهره، أي: بالغ في حفظه.

وَقَدْ عَلِمَ ٱللهُ فِيْمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ وَيَدْخُلُ ٱلنَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَلَا يَزْدَادُ فِي ذَلِكَ ٱلْعَدَدِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ أَفْعَالُـهُمْ فِيْمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خَلَقَهُ وَٱلْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ ....

قوله (وقد علم الله فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل النار):

لقوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧]، وهو إظهار لعلمه السابق، ولقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾ [الجن: ٢٨]، وهذه الأعداد أيضًا داخلة في هذه الإحاطة.

قوله (وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه):

لأن الأعمال مخلوقة منه تعالى لقوله جل ذكره: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، وكل ما خلَقه يعْلَمه قبل خلقِه، لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، فأفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه.

قوله (وكل ميسر لما خلقه):

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

قوله (والأعمال بالخواتيم):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن

....

نَّصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ٩١]، ولقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٨]، لم يكتفِ الحقُّ سبحانه بقوله: ﴿إن الذين كفروا وماتوا فأولئك لهم عذاب أليم﴾، بل أضاف فيه كلمة: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ وهو محل الاستشهاد، أي: أنهم لم يموتوا فقط بل ماتوا على الكفر!

فالمقصود هنا ليس بيان موت الكفار فقط، بل المقصود بيان حالتهم الأخيرة التي ماتوا عليها وهو الكفر، وعليه الوعيد الذي بيَّنه الله سبحانه بقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ولا يتأتى ذلك إلا بكلمة: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ لأنه لو اكتفى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، كان يحتمل أنه لو مات الرجل الذي كان كافرًا في نظرنا، ولكن هو مؤمن عند الله بالتوبة وقبول الإيمان قبل الموت، فكان هذا بيان موت رجل كان يُعرف بالكفر، لا حالته التي يترتب عليه الجزاء الذي أوعدهم الله بقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولا ينطبق الجزاء على حالتهم مطلقًا سواء ماتوا مؤمنين أو كافرين، فأضاف كلمة: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

فثبت منه أن العبرة بالحالة الأخيرة التي وقع فيها الموت، فإن الموت مكمل لا قاطع، ولا تتبدل الحالة الأخيرة التي قرن بها الموت إلى الأبد، فعُلم منه أن حكم عاقبة الشيء تابع لحالته الأخيرة التي استقرت فيه واختتم العمل بها، وهذا معنى ما قاله النبي ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل**

وَٱلسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ ٱللهِ وَٱلشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ ....

النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[١] وزاد البخاري: «وإنما الأعمال بالخواتيم»[٢].

فمثل هذه الأحاديث شرح لهذه الآية الكريمة المشتملة على أصول العبرة بالخواتيم، بل هي قاعدة كلِّية لجميع أعمال الإنسان أن عبرتَها بالخواتيم في الدنيا والآخرة.

قوله (والسعيد من سعد بقضاء الله):

لأن السعادة هي الهداية، والشقاوة هي الضلالة؛ وكلاهما بقضاء الله ومشيئته لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٧].

أو يقال: إن الهداية والضلالة من آثار السعادة والشقاوة الكائنتين في الإنسان، كما يشير إليه كلمة «في بطن أمه»[٣]، وإذا كانت الآثار من قضاء الله ومشيئته فالمؤثر أولى أن يكون من قضائه ومشيئته لأنه هو خالقهما.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يقول فلان شهيد: ٢٨٩٨، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة: ٣٠٦ من حديث سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه في كتاب: القدر، باب: العمل بالخواتيم: ٦٦٠٧، من حديث سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) التي وردت في حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل وكّل بالرحم ملكا، يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل، فيكتب في بطن أمه» أخرجه البخاري في كتاب: الحيض، باب: قول الله عز وجل: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]: ٣١٨، ومسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته: ٦٧٣٠

وَأَصْلُ ٱلْقَدَرِ سِرُّ ٱللهِ فِي خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَٱلتَّعَمُّقُ وَٱلنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيْعَةُ ٱلْـخِذْلَانِ وَسُلَّمُ ٱلْـحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ ٱلطُّغْيَانِ فَالْـحَذَرُ كُلَّ ٱلْـحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ ٱلْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾............

قوله (وأصل القدر سر الله في خلقه):

أما نفس مسألة القدر، فهي عقيدة قطعية من عقائد الدين كما سبق دلائله من النقل والعقل، والفرق بين المشيئة والرضا في »التتمة«.

فنفس المسألة وحكمها عقلية لا تعجز العقول والأفهام، إلا أن أصل التقدير وأساسه سر من أسرار الله؛ وراء العقول والأفهام، وفعل من أفعاله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، و﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢] فكل شيء بقضاء الله وقدره. وأن الله خالق العباد وأفعالهم، وهو يريد الكفر من الكافر، ويخلقه ويشاؤه ولا يرضى به، فيشاؤه تكوينًا لحكمته ولا يرضاه دينًا لأمره.

وأساس مسألة القدر مسألة أخرى، وهي ربط الحادث بالقديم. وهي مسألة أدق من لطافة العقل، وغاية النظر، والدقة والغموض لا يعلم حقيقتها إلا الله، ولا يسعها عقول الخلائق وأفهامهم! فضلَّ من خاض فيه[1]، وهُدي من انقاد به بتسليمه والرضا به، وقنع بما بيَّنه اللهُ ورسولُه ﷺ، وهو نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقَض تكذيبُه توحيدَه ـ أعاذنا الله منه!

(١) خاض فيه، أي: دخل، ومشى فيه، وتوغل فيه.

فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ ٱلْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ ٱلْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فَهَذِهِ جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ تَعَالَى وَهِيَ دَرَجَةُ ٱلرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ لِأَنَّ ٱلْعِلْمَ عِلْمَانِ؛ عِلْمٌ فِي ٱلْخَلْقِ مَوْجُودٌ، ....

قوله (علم في الخلق موجود):

وهو علم ما جاء به الرسل عليهم السلام جملةً وتفصيلًا، ونفيًا وإثباتًا. وهو علم الشريعة؛ وهي درجة الراسخين في العلم، لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧].

هذا هو العلم الموجود مع متعلقاته من العبر والأمثال، والقصص وغيرها، وهو ما في الكتاب والسنة جملةً وتفصيلًا وتفريعًا فيها، وما سواه فهو العلم المفقود من غير نسيان، فطواه الله على غره، ولا سبيل إليه بالظن والتخمين.

ولقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣﴾ [مريم: ٤٣] وهو علم الشرائع.

ولقول النبي ﷺ حين كان الناس يجهمون على رجل، وقالوا: «رجل علَّامة»، قال: «بماذا؟» قالوا: «بالشعر والأنساب»، فقال ﷺ: **«علم لا ينفع وجهل لا يضر»**[(١)]،

---

(١) أخرجه الإمام الفقيه حافظ المغرب أبو عمر يوسف ابن عبد البر النمري المالكي المتوفى ٤٦٣هـ في «جامع بيان العلم وفضله»: ٩٥٢، وأبو شجاع الديلمي، المتوفى ٥٠٩هـ في «الفردوس بمأثور الخطاب»: ٦٩٦٨، وبرهان الدين ابن حمزة الحسيني، المتوفى ١١٢٠هـ في «البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث»: ١٦٤١، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُوْدِ كُفْرٌ وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ وَلَا يَصِحُّ الْإِيْمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ ....

«العلم آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»(١).

قوله (وعلم في الخلق مفقود):

وهو مثلًا: سرُّ القدر الذي أخفاه الله عن أنامِه، ونهاهم عن مرامِه.

وعلمُ حقيقة الروح مثلًا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

وعلمُ وقت القيامة مثلًا لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٤].

وعلمُ أصول الغيب لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وعلمُ كيفية القدرة على الإيجاد والإعدام، أو علمُ حقيقتهما لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ كان من الكافرين! ومن ادعى هذه

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الفرائض، باب: ما جاء في تعليم الفرائض: ٢٨٨٥ وابن ماجه في أبواب: السنة، باب: اجتناب الرأي والقياس: ٥٤، وأخرجه ابن عبد البر عقب الحديث السابق من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَٱلْقَلَمِ وَبِجَمِيعِ مَا قَدْ رُقِمَ فَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْـخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فِيْهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى مَا لَمْ يَكْتُبْهُ ٱللَّهُ فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ جَفَّ ٱلْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ....

العلوم الغيبية الخاصة بمقام الألوهية بظنه وتخمينه كان من المُلحدين والمُبتدعين ـ أعاذنا الله منه! ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته.

قوله (ونؤمن باللوح):

لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، ولقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: ٧٥].

قوله (والقلم):

لقوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم: ١]، وهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤]، والأقلام عديدة عدَّها العلماءُ في كتبِهم فراجع «التفسير العزيزي»[١] لهذه الآية.

---

(١) وهو «تفسير فتح العزيز»، اشتهر باسم «التفسير العزيزي»، وهو من أوائل كتب التفسير باللغة الفارسية، ألفه الإمام المحدث، الشاه عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، المتوفى ١٢٣٩هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمَا أَخْطَأَ ٱلْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَعَلَى ٱلْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدَّرَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا ....

قوله (وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه):

وهذا مضمون الحديث بنصه قريب من لفظه[١]، وهو مسألة القدر قد تقدم تفصيلها بقدر ما يحتاج إليها.

قوله (سبق علمه في كل كائن من خلقه):

لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦﴾ [هود: ٦]، وهو كتاب قد سبق خلقهم.

ولقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠].

ولقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ [هود: ٥]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) هو حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»، أخرجه الترمذي في أبواب: القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره: ٢١٤٤ وقال: هذا حديث غريب.

لَيْسَ لَهُ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ وَلَا مُزِيلٌ ....

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

فهو عليمٌ بما كان وبما هو كائن إلى الأبد، قبل خلقهم وبعد خلقهم، وهو مكتوبٌ عنده في أم الكتاب.

وقد ضلَّ في هذا الموضع خلائق من المشركِين والصابِئين، والفلاسفة وأشباههم، ممن أنكر علمه تعالى بالجزئيات قبل وقوعها، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر وتكذيبه يستلزم التكذيب بعلمه المحيط!

فهذه الآيات رد صريح عليهم فإنه كان يعلم، وكتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، وفعله وكفه. وهذا أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة المشخصة، لا الكليات المحضة فتكذيب بالقدر تكذيب بالعلم، وتكذيب بالعلم تكذيب بالخلق، ومن أنكر قدره وعلمه وخلقه فهو ليس بمؤمن!

قوله (ليس له ناقض):

لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢]، أي: ليس له ناقضٌ لحكمِه، لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧]، سواءٌ كان الفضل بالأمر التكويني أو التشريعي، ليس له ناقضٌ ولا مزيلٌ.

قوله (ولا معقب):

لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].

وَلَا مُغَيِّرُ وَلَا مُحَوِّلُ وَلَا زَائِدُ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ وَلَا يَكُونُ مُكَوَّنُ إِلَّا بِتَكْوِينِهِ، ....

قوله (ولا مغير):

لقوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ٣٤].

قوله (ولا زائد):

لقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١]، وليس خالقٌ للخلقِ سواه، فليس زائدٌ في الخلقِ سواه، ولا آمرٌ للخلقِ سواه، فلا زائدٌ في الأمرِ سواه!

قوله (ولا ناقص من خلقه):

لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: ٤١]، فهو المنقص من خلقه في الحوادث لا غير، لأن المحدث هو وحده لا غير، ولأن النقص أهون من الزيادة. فمن هو قادر على الزيادة قادر على النقص بالأولى، ولا يقدر غيره لأنه لا خالق غيره.

قوله (ولا يكون مكون إلا بتكوينه):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

التكوين هو التخليق؛ فلا يكون شيءٌ مخلوقًا إلا بخلقه، ولا يكون مكونًا إلا بتكوينه، وهكذا جميع الصفات؛ فلا يكون مرحومًا إلا برحمته، ولا يكون مقدسًا إلا

وَٱلتَّـكْوِينُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَسَنًا جَمِيْلًا وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ ٱلْإِيْمَانِ وَأُصُولِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلِاعْتِـرَافِ بِتَوْحِيدِ ٱللهِ تَعَالَى وَرَبُوبِيَّـتِهِ ....

بتقديسه، ولا يكون عالمًا إلا بتعليمه، ولا يكون مملوكًا إلا بتمليكه، ولا يكون مرزوقًا إلا بترزيقه، ولا يضل إلا بضلاله، ولا يهتدي إلا بهدايته، وغير ذلك من الصفات.

وثمرته بعنوان آخر هو التوحيد الصفاتي؛ بأن لا مكوِّن إلا هو، ولا خالق إلا هو، ولا رحمان إلا هو، ولا مكوِّر إلا هو، ولا رازق إلا هو، ولا هادي إلا هو، ولا مضلَّ إلا هو، ولا مدبر إلا هو، ولا معلم إلا هو، ولا حاكم إلا هو، وغير ذلك من الصفات؛ كتوحيده في الذات بأن لا إله إلا هو!

فهذا الاعتقاد هو أصل المعرفة وعقد الإيمان وأساسه، وأصل أصوله تسليم القدر والانقياد للقدر في باب الذات والصفات. لأن رابطة الحادث بالقديم، كما هو بذاته القديم كذا هي بصفاته القديمة أيضًا، وهذا كله بإرادته ومشيئته، وعلمه وقدرته، ثم الخلق والربوبية، والحفظ والوقاية وغيرها، فإنه لو لم يُرِد لم يخلق منه، لكنه أراد فخلق، وأنه لو لم يربِّ؛ لم يرب شيئًا، ولكن ربّه فصار مربوبًا، ولو لم يحفظ لم يحفظ، ولكن حفظه فصار محفوظًا وهكذا.

قوله (والتكوين لا يكون إلا حسنا جميلا):

لقوله تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨].

قوله (وذلك من عقد الإيمان):

لأن الإيمان لا يتقوم إلا بالمعرفة، وأساس المعرفة الاعتراف بتوحيد الله تعالى، والتوحيد لا يتم إلا بأمرين:

كَمَا قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾، وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ فِي ٱلْقَدَرِ خَصِيمًا وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيْهِ قَلْبًا سَقِيْمًا ....

الأول: التوحيد بالخلق؛ بأنه لا خالق إلا الله، ولا مكوِّن إلا الله. ثم التوحيد في الربوبية؛ بأنه لا رب إلا الله، ولا نافع ولا ضار إلا الله، ولا قيوم إلا الله.

والثاني: التوحيد في الأمر؛ بأنه لا شارع إلا الله، ولا حاكم إلا الله، وأن الحكم إلا لله؛ أمَر أن لا تعبدوا إلا إياه، وخلقه كله حسن جميل، وأمره كله حسن عدل!

وكل واحد من هذين التوحيدين لا يتم إلا بالاعتراف بالتقدير بأنه لا مقدر إلا الله، ولا يحدث في الخلق ولا ينزل من الأمر إلا بتقدير سابق مُبْرَم، فهو خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأمَر بشيء مما أمر، فقدره حياته وأجله تكوينًا، وشرع شرائعه ونسخها أمرًا ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٨ - ٣٩].

ولذا عدَّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ التكوين وتوحيده، والتشريع وتوحيده، من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بالتوحيد في خلقه وأمره، ولذا أتى بالآيتين آية: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢] في الخلق، وآية: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨] في الأمر.

قوله (وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما):

لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: كان ميتًا بالكفر

لَقَدِ ٱلْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ ٱلْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيْهِ أَفَّاكًا أَثِيْمًا وَٱلْعَرْشُ وَٱلْكُرْسِيُّ حَقٌّ كَمَا بَيَّنَ ٱللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ....

فأحييناه بالإيمان، فالقلب السليم هو القلب الحي، إذا عرض عليه الباطل أو القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها.

بخلاف القلب الميت بالكفر والضلال، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، والمعروف والمنكر، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه، ومرض القلب نوعان:

نوع علمي: وهو مرض الشبهات، ونوع عملي: وهو مرض الشهوات. وأردؤهما مرض الشبهات، وأردأ الشبهات ما كانت من أمر القدر والإيمان.

قوله (والعرش):

لقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٤ – ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦]، فثبت من هذه الآيات الكريمة وجود العرش بصفاتٍ مختلفة.

وما قال فيه الفلاسفة ورده في «التتمة».

قوله (والكرسي):

لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والكرسي كالمرقاة للعرض؛ يصعد به على العرش

وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ ٱلْعَرْشِ وَمَا دُوْنَهُ مُحِيْطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ ....

الرفيع درجة بعد درجة، كما فسَّره السلف، رواه الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»[١].

قوله (وهو مستغن عن العرش):

لأنه تعالى ربه ومالكه لقوله تعالى: ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩]، ورب الشيء لا يكون محتاجًا إليه بل يكون مستغنيًا عنه كل الاستغناء، لا سيما إذا كان خالقه أيضًا، وإلا لزم اجتماع الضدين؛ بأن يكون الرب غنيًّا عن المربوب ويكون محتاجًا إليه، وهذا باطل! إلا أنه خلقه لإظهار صفة ملوكيته لأن من لوازم الملكية العرش الملكي، تجري منه الأحكام والتدبيرات، وتفصيله في «التتمة».

قوله (وما دونه محيط بكل شيء):

لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦] كما مرَّ، وأيضًا العرش كالقبة على الكائنات كأنه محيط بجميع ما تحته، والله تعالى محيط بالعرش وبجميع ما فوقه وما تحته، وليس المراد بالإحاطة أنه كالفلك وأن المخلوقات داخلة فيه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما المراد بالإحاطة إحاطة عظمته وسعة علمه، وقدرته وحفظه، وتصرفه وتدبيره.

فإن العوالم بقضها وقضيضها تحت صفاته العليا مظهرًا لكمالاته وهي كلها بالنسبة إلى عظمته لا تساوي حبة خردل بالنسبة إلى جميع الكوائن.

---

(١) في: «البداية والنهاية»: ١/ ٢٣.

وَقَدْ عَجَزَ عَنِ ٱلْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ وَنَقُولُ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى ٱتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلًا وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيْمًا إِيْمَانًا وَتَصْدِيْقًا وَتَسْلِيْمًا وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّبِيِّيْنَ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُنَزَّلَةِ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ....

قوله (وقد عجزعن الاحاطة خلقه):

لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، ومن لا يحيط به علمًا لا يحيط به قدرة، ولا فعلًا ولا تصرفًا، وأيضًا إن المحاط لا يمكن أن يحيط بمحيطه وإلا لزم اجتماع الضدين.

قوله (ونقول: أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا):

لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، قاله الشيخ ردًا على المعتزلة والفلاسفة الذين زعموا أن المحبة والخلة ـ وهي كمال المحبة ـ لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والحادث توجب المحبة، وهذا زعمٌ فاسدٌ وخيالٌ باطلٌ يكذبه الحس والعقل، والتفصيل في «التتمة».

قوله (وكلم موسى تكليما):

لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، وسيجيئ تفصيلُه في مسألة كون القرآن كلام الله.

قوله (ونؤمن بالملائكة):

لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ ....

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ولقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومن أنكرها فهو على حكم القرآن كافرٌ ضالٌ بعيدٌ عن الحق والإيمان! لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

وأيضًا من فرق بين الله ورسوله، وآمن ببعض وكفر ببعض فهو أيضًا كافرٌ خارجٌ عن الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فأركان الإيمان سبعٌ: ١) الإيمانُ باللهِ، ٢) وبالملائكة، ٣) وبالنبيين، ٤) وبالكتب المنزلة، ٥) وباليوم الآخر، ٦) وبالقدر، ٧) وبالجنة والنار.

بعض منها في هذه العبارة من المتن وبعض قد سبق بيانه، والفلاسفة ينكرون كلها تقريبًا أو يحرفون معانيها فلا يؤمنون بها، وتفصيلها في كتب الفن.

قوله (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين):

لقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي

وَلَا نَخُوضُ فِي ٱللَّهِ ....

هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨]، ولقوله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

فتسمية هذه الأمة بأمة مسلمة كان قبل وجودها في السابق وبعد وجودها، فهو أيضًا مصرح في القرآن بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ولقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وأوضحه كل الوضاحة نبينا ﷺ بقوله الصادق المصدوق: **«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»**(١).

قوله (ولا نخوض في الله):

لأن الخوض في ذات الله وفي آيات الله، وهو الجدل المراء، وإظهار الآراء بغير علم لا يجوز، لقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد: ١٣].

ولقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ [غافر: ٣٤ – ٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة: ٣٩١، من حديث سيدنا أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ وَلَا نُجَادِلُ فِي ٱلْقُرْآنِ وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ....

فلا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه تعالى وتقدس؛ لذلك ترى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء الذين يخوضون ويلعبون في ذات الله بأوهامهم وخيالاتهم الفاسدة وأباطيلهم المبعدة عن ذوق الدين.

قوله (ولا نماري في دين الله):

أي: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم التماسًا لامترائهم ومَيْلهم، لأنه في معنى التحاكم إلى الطاغوت، وأننا أُمرنا أن نكفر بالطاغوت لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠].

وأيضًا هو تلبيس الحق بالباطل المنهي عنه لقوله تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢﴾ [البقرة: ٤٢]، وجدال خادع لقوله تعالى في المشركين: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٨ - ٥٩].

قوله (ولا نجادل في القرآن):

أي: لا نقول في القرآن ما قال أهل الزيغ؛ لا في معانيه، ولا في لفظه، ولا في قراءته. فإن أهل الزيغ جعلوه مشغلة لأهوائهم وأفكارهم المخترعة، يحرفون الكلم عن مواضعه ليقع الاختلاف في أهل الحق وتنتشر كلمتهم وهو قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ۝٥٦﴾ [الكهف: ٥٦]، ولا ينفع لهم النصح بل آخر أمرهم السيف!

فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ ٱلْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ....

وأيضًا لا نجادل في ألفاظه وفي قراءته بضرب قراءة على قراءة، وإثبات التخالف والتعارض في القراءات، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «سمعت رجلًا قرأ آية، سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «**كلاكما محسن ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا وهلكوا**»»(١).

ولما لم يجزْ لنا أن نجادل أهل الكتاب ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فكيف نجادل أهل القبلة فضلًا أن يكون الجدال في القرآن!

فلا يجوز لنا أن نناظر أهل القبلة في القرآن ممن لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن، وليس لنا أن نقول إذا أخطأ أحد إنه كافر قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم بها النبي ﷺ بكفر من تركها، والله تعالى رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان(٢).

قوله (فعلمه سيد المرسلين محمدا ﷺ):

تصريح بتعليم جبرائيل عليه السلام إياه ﷺ فهو إبطال لما قاله القرامطة وغيرهم من الزائغين أنه وقع القرآن في قلبه ﷺ بطريق التصور والتخيل، وتصوره في نفسه إلهامًا، وهذا إنكار الوحي من الله وهو كفر ـ أعاذنا الله منه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار: ٣٤٧٦، من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أشار المؤلف إلى حديث سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى قد تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه**»، أخرجه ابن ماجه في أبواب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي: ٢٠٤٣.

وَكَلَامُ ٱللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْمَخْلُوقِينَ وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ ....

قوله (وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين):

لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تنزّل وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]، ثم تنزّل وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]، ثم تنزّل عنه أيضًا وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣ - ٣٤].

وخلاصته أن غير المعجزة لا يساوي المعجزة؛ فلا يساويه شيء من كلام المخلوقين، هذا في القرآن خاصة.

وأما الكلام المطلق فأيضًا كلام الله بأي شأن ينزل لا يساويه كلام المخلوقين، لأن الكلام ترجمان العلم وعلمه سبحانه محيط ذاتي، وعلم المخلوق محاط لا يمكن أن يخرج من حدود علم الله فهو محدود ومع ذلك عطاء من الله ومن تخليقه، فكلام المخلوق أيضًا مخلوق منه محدود في الحدود، فكيف يساوي المحيط غير المخلوق بما هو محاط به مخلوق منه؟ وإلا لزم اجتماع الضدين.

قوله (ولا نخالف جماعة المسلمين):

قد مرَّ عليه الكلام تفصيلًا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، أشار المصنف

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ ....

بقوله: (ولا نخالف جماعة المسلمين) إلى أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن السلف كلهم متفقون على أن كلام الله غير مخلوق.

وفي زمن المأمون قد ابتُلي أهل الحق وأئمة العلم والدين بمصائب كثيرة وآفات شديدة بإنكار خلق القرآن، وتحملوا الشدائد والمتاعب ما لا يتصور، ولكن استقاموا وتصلبوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[1].

قوله (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة):

لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل عن الذين آمنوا، مع أنه ارتكب القتل بغير الحق وجعله أخًا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

فثبت أن بعد القتل ـ وهو أكبر الكبائر ـ يبقى الإنسان مؤمنا وأخًا لأهل الإيمان بالإخوة الدينية الإسلامية، وأيضًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، فتذكر التقرير السابق هنا أيضًا، فإن الله تعالى لم يكفر القاتل بفعل القتل بل عده من المؤمنين ومن إخوان

---

(١) على رأسهم إمام أهل السنة، المجتهد الفقيه، حافظ الحديث، الإمام الكبير أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى ٢٤١هـ. فمن يريد معرفة مثال من أمثلة الشدائد والمصائب التي تحملها سلفنا الصالح فليراجع «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان»: ١٤/ ١٧٤، و«البداية والنهاية»: ١٤/ ٣٩٣.

بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ ٱلْإِيْمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ ....

المؤمنين بالأخوة الدينية، وهو ردٌّ على الخوارج الذين يكفِّرون بكل ذنب وهم يخالفون القرآن.

قوله (ما لم يستحله):

لأن الاستحلال إنكار الشريعة؛ وهو فساد العقيدة، وهذا كفر! والذنب عمل محض مع صحة الاعتقاد فهو فسق لا كفر!

قوله (ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله):

رد على المرجئة فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: لا يبقى بعد الذنب إيمان أصلًا فيكفرون المسلم بكل ذنب!

والحق أن الذنب يضر المؤمن مع بقاء الإيمان فيه، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان[1]، وأي ضرر أشد من دخول النار؟ ومع هذا يبقى مؤمنًا في النار أيضًا، ويضر المؤمن ذنبه أيضًا بدخول النار.

---

(١) كما ورد في حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»، أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال: ٢٢ واللفظ له، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار: ٤٥٧.

وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ ....

وآيات الشفاعة دالة على أن الذنوب تضرهم مع أنهم يكونوا مؤمنين؛ لأن الشفاعة ليست للكفار ولا تنفع طاعة مع الكفر أيضًا، كمثل أبي طالب يدخل النار خلودًا بكفره وعدم إيمانه ولكن يكون عذابه أخف من جميع أهل النار لحماية النبي ﷺ ونصرته له كل عمره(١).

قوله (نرجو للمحسنين أن يعفو عنهم):

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج: ٦٠].

والعفو والمغفرة لأهل الذنب من المؤمنين والمحسنين لا لأهل الشرك والكفر والنفاق، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾ [التوبة: ٦٨].

قوله (ولا نأمن عليهم):

لعدم علمنا بأحوال الباطن لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

---

(١) كما ورد في حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه»**، أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أهون أهل النار عذابا: ٥١٥.

وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ....

والمكر هو التدبير الخفي لا نعلمه، فكيف نأمن إلى أن تقبل منهم حسناتهم وإحسانهم؟

ولقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] كما سبق، علّق مغفرتهم بالمشيئة، ولا علم لنا بمشيئته تعالى، فكيف لنا أن نأمن ونطمئن إلى أن نعلم بمغفرتهم؟

بل لا نأمن على التائب الذي تاب إلى الله وندم بالإخلاص بعد الذنب لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢]، ولا نعلم قبول توبته، فكيف نأمن عليه في دار الدنيا؟ إلا أن نحسن الظن بالله وبإخلاص التائبين إلى الله، ونرجو رحمته.

قوله (ولا نشهد لهم بالجنة):

أي: لشخص معين بالجزم والقطع بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، لعدم علمنا به لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولقول النبي ﷺ في قول عائشة رضي الله عنها في جنازة صبي من الأنصار: طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال ﷺ: **«أو غير ذلك، يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، وهم في أصلاب آبائهم»**[1]، أي: ليس لنا أن نحكم على شخص معين بالجنة بالقطع، وكذا الحكم بالنار.

(١) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين: ٦٧٦٨، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وهكذا الحكم على عدم المغفرة لشخص معين، لحديث النبي ﷺ: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيَيْن، فكان أحدهما يُذنب والآخر مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزال المجتهدُ يرى الآخرَ على الذنب، فيقول: أقْصِر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقْصر، فقال: خلِّني وربي، أَبُعثتَ علَيَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك - أو قال: لا يُدخلك الجنة - فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنتَ بي عالمًا؟ أو كنتَ على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمُذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»(١).

فلا يجوز لنا أن نحكم على شخص معين بالنجاة أو الهلاك، أو بالجنة أو النار، ولأن الشخص المعين المسيء يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، فكيف نحكم عليه لعدم المغفرة مع هذا الاحتمال؟

ولأن لسقوط عذاب النار عن العبد عشرة أسباب، بالاستقراء:

١) التوبة، ٢) والاستغفار، ٣) والحسنات، ٤) والمصائب الدنيوية، ٥) وأهوال القبر، ٦) وأهوال الحشر، ٧) ودعاء المؤمنين لإخوانهم، ٨) وشفاعة الشافعين، ٩) وعفو أرحم الراحمين، [١٠) وما يُعمل للميت من أعمال البر](٢).

وليس في علم أحد منا وقوعها أو قبولها، فامتنع القطع لأحد معين من الأمة بنجاته أو هلاكه.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: النهي عن البغي: ٤٩٠١، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكر المؤلف أنها عشرة أسباب ولكن سقط منه سببًا واحدًا. فأثبتُّ الساقط من كلام شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨هـ في كتابه «أسباب رفع العقوبة»: صـ١، وابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» ٢: ١٠٣.

وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا نُقَنِّطُهُمْ وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ سَبِيلَانِ عَنْ غَيرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَسَبِيلِ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ ....

قوله (ونستغفر لمسيئهم):

كما علمنا الله الاستغفار للأموات بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

قوله (ونخاف عليهم):

لاحتمال عدم المغفرة أو عدم قبول التوبة، فإنه أمر مبطن لا نعلمه، فليس لنا إلا أن نرجو رحمته ونخشى عذابه ولا نحكم بالقطع.

قوله (ولا نقنطهم):

لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

قوله (والأمن والإياس سبيلان):

أي: الأمن من مكر الله، والرجاء المحض ليس من الملة إذا لم يكن معه الخوف، كما أن الخوف المحض واليأس ليس من الملة إذا لم يكن معه الرجاء.

فالإيمان بين الخوف والرجاء، فالرجاء المطلوب يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان آمنًا، والخوف المطلوب يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا!

وَلَا نُخْرِجُ ٱلْعَبْدَ مِنَ ٱلْإِيْمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ ....

فنفي الأمن هو نفي الرجاء المطلق لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩]، ونفي الإياس هو نفي الخوف المطلق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

فالمؤمن من يجمع بينهما؛ لا يكون آمنًا محضًا ولا آيسًا محضًا، فالله سبحانه جمع بينهما للمؤمن في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ولقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. وقد مدح الله سبحانه وتعالى الجامعين بين الخوف والرجاء في قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الزمر: ٩].

وحقيقة المقام أن الله كما هو ذو الجلال، فهكذا هو ذو الإكرام أيضًا لقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨]، ولقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. فمقتضى الرحمة؛ الرجاء، ومقتضى العذاب؛ الخوف.

ولما كان الإيمان واجبًا قطعيًا بهاتين الصفتين فثمرته أن يكون الإيمان لا محالة بين الخوف والرجاء، لا خوفًا محضًا ولا رجاءً محضًا.

قوله (ولا نخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه):

إشارة إلى رد ما زعم الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروج العبد من الإيمان بارتكاب الكبيرة.

وَٱلْإِيْمَانُ: هُوَ ٱلْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَٱلتَّصْدِيْقُ بِالْـجَنَانِ ....

فالأولون يدخلونه في الكفر بعد ما أخرجوه من الإيمان، والآخرون يخرجونه عن الإيمان ولا يحكمون بدخوله في الكفر بل يدعون منزلة بين المنزلتين، وأهل الحق لا يسلمون هذه المنزلة بينهما، فإن القلب إما أن يكون مستيقنًا أو جاحدًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] لا فاصل بينهما.

فالمؤمن هو المستيقن لأن الله تعالى وصف أئمة الهداية وهم من كامل الإيمان: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]، والكافر هو الجاحد لأن الله تعالى وصف الجاحدين بالكفر بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [العنكبوت: ٤٧].

والشك ومبطن الكفر، مع إظهار الإيمان، من الكافرين لأن الريب والشك وإبطان الكفر مع إظهار الإيمان - أي: النفاق - كلها من الكفر لكونها ضد اليقين، وليس بين الكفر والإيمان منزلة بفحوى قول الله عز وجل: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

فمذهب أهل السنة أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب عمله إذا لم يستحله ولم يجحده، وقد مرَّ تفصيله.

قوله (والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق):

لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦]، وأيضًا الإقرار شهادة.

وَأَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَى فِي ٱلْقُرْآنِ وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلشَّرْعِ وَٱلْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ ....

والشهادة من مباني الإسلام لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»(١)، فالإقرار باللسان أيضًا من الإيمان في الجملة، وهو مأمور به لإظهار الإيمان لا لحدوثه في القلب، فمحل الإيمان: القلب لا اللسان! فاللسان ترجمان الإيمان في دار الدنيا لا محل أصل الإيمان، وتفصيله في «التتمة».

قوله (وأن جميع ما أنزل الله تعالى في القرآن):

هذا ظاهر لأن القرآن وحيٌ قطعيٌّ من الله تعالى فهو حقٌّ قطعيٌّ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

فلا ريب فيه لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢]، فلا يجوز إنكاره لقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠].

قوله (وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ):

لأنه وحي من الله وإن كان غير متلو، فما صح عن رسول الله ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله في كتابه العزيز، وجميع ذلك حق واجب الإتباع.

فالشيخ أشار إلى حجية الحديث، وردَّ على من أنكر حجيته مثل الجهمية

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: قول النبي بني الإسلام على خمس: ٨، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: قول النبي بني الإسلام على خمس: ١١.

....

والمعطلة، والمعتزلة والرافضة، وشرذمة قليلة من شاطري هذا الزمان. فسد هؤلاء الظلمة على قلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه، وصفاته وأفعاله، من جهة الرسول ﷺ. وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية، إزاء كلام الرسول وبيان القرآن، وهي حقيقة: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

ومن العجب أنهم قدَّموا هذه المقدمات ـ التي سموها في زعمهم اليقينيات ـ على نصوص الوحي، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة أيضًا، كما هو مُبْرهَن في موضعه، فما فازوا بالنقل ولا بالعقل: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

فطريقة أهل السنة أن يعدلوا عن النص الصحيح عن النبي ﷺ، ولا يعارضوه بالعقل والوهم والخيال، لأن النص عن النبي ﷺ حجة شرعية للأحكام وبيان شرعي للقرآن، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [محمد: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وأحكام الحديث من الشرع الابتدائي كثير، لما قال

وَٱلْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ ....

النبي ﷺ «أوتيت القرآن ومثله معه»(١) فلا يسعها هذا المقام(٢).

قوله (والإيمان واحد):

الإيمان واحد في جميع المؤمنين، وهم سواء من حيث كونهم مؤمنين، إلا أن المؤمنين متعددون وهم متفاوتون فيه بحسب تفاوت درجات الإيمان.

ودرجات الإيمان بالتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى من غير الأولى، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة:٤٦٠٤، وأحمد في «المسند»: ١٧١٧٤ واللفظ له، من حديث سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

(٢) فإن هذا الموضوع مهم جدًا حيث كثر في هذا الزمان أصحاب الآراء والأفكار الخطيرة الشنيعة فبدؤوا بإنكار حجية الحديث الشريف ويستدلون على ذلك بعقلهم الناقص. فقد ألَّف الشيخ رحمه الله ثلاثة كتبٍ في الدفاع عن السنة وحجية الحديث؛ اثنان منها بالأردو وكتاب بالعربي: ١ ـ «حجيت حديث» أي: حجية الحديث، ٢ ـ «حديث رسول كا قرآني معيار» أي: المعيار القرآني لأحاديث الرسول ﷺ، ٣ ـ «صلة الحديث بالقرآن الكريم» وهو بالجملة ترجمة للكتاب الثاني، فنظرًا لأهمية هذا الموضوع قد ألحقته بنهاية هذا الكتاب. وقد صنّف غيره من العلماء كتبًا كثيرة في هذا الموضوع، منها: «حجيت حديث» بالأردو و«مقدمات الحديث» بالعربي للعلامة المحدث مولانا إدريس الكاندهلوي رحمه الله، المتوفى ١٣٩٤هـ و«حجيت حديث» بالأردو و«نصرة الحديث» بالعربي للشيخ المحقق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله، المتوفى ١٤١٢هـ و«مكانة السنة النبوية وحجيتها» و«بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة» للشيخ خليل إبراهيم ملا خاطر، وهذه كتب من أنفع وأشمل كتب مما وقفت عليه في إثبات الحجية والدفاع عن السنة. جزاهم الله عنا خير الجزاء.

وَٱلتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ بِالتَّقْوَى وَمُخَالَفَةِ ٱلْهَوَى وَمُلَازَمَةِ ٱلْأَوْلَى وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ ٱلرَّحْمَنِ وَأَكْرَمُهُمْ أَطْوَعُهُمْ بِالتُّقَى وَٱلْمَعْرِفَةِ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ ....

يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وهذا كما أن الإيمان واحد والمؤمن به متعدد، وكما أن الوجود واحد والموجودات متكثرة، وكما أن نور الشمس واحد والمنورات كثيرة، كذا الإيمان واحد، والمؤمنون متعددون ومتفاضلون بينهم بالمعيار المذكور في المتن، والمبرهن في الحاشية.

قوله (أولياء الرحمن):

لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦].

ثبت أيضًا منه موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى وليًّا له فقد بارزه بالمحاربة(١).

---

(١) كما في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: التواضع: ٦٥٠٢، من حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب».

....

فالولاية التي ثبتت من قوله (أولياء الرحمن)، أيضًا نظير الإيمان كمالًا ونقصانًا. فمراد الشيخ أن أهل الولاية في أصلها سواء مثل أهل الإيمان، فتكون كاملة وناقصة كالإيمان. فالكاملة تكون للمتقين والناقصة لجميع عوام المؤمنين، فكما أن لها درجات كذا للمؤمنين درجات ومراتب بمعيار الورع والتقوى.

فالمؤمنون المتقون الذين أطوعُهم لله تعالى وأتبعُهم للقرآن، هم أكرمُهم على الله في الدنيا والآخرة لولايتهم الكاملة لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت»**[١]، وقوله ﷺ: **«والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»**[٢].

وعوام المؤمنين الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فهم ناقصون من حسب الولاية والإيمان، وبعضهم الذين يلبسون إيمانهم بظلمٍ وشركٍ وكفرٍ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون. لأن الطاعات كلها من شعب الإيمان[٣] والمعاصي كلها من شعب الكفر؛ إلا أن رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: ٢٣٤٨٩، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جزء من حديث، أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: سورة الحجرات: ٣٢٧٠، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) وللعلامة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي كتاب نفيس، المسمى بـ: «تحفة الإخوان بشرح حديث شعب الإيمان»، جمع وعدّ فيه شعب الإيمان وشرحها مستدلًا بالآية القرآنية أو الحديث النبوية. سيصدر قريبًا إن شاء الله.

وَالْإِيْمَانُ: هُوَ الْإِيْمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ....

فيمكن أن لا يكون الإنسان كافرًا ولكن يعمل عمل الكفر، وكذلك يكون الإنسان كافرًا ويعمل بعض أعمال الإيمان، فاسم الكافر يطلق عليه بعد الجحود واسم المؤمن يطلق عليه بعد التصديق والانقياد.

قوله (والإيمان هو الإيمان بالله):

لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قوله (واليوم الآخر):

لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٤].

قوله (والبعث بعد الموت):

قد مرَّ تفصيله ومأخذه فيما سبق(١).

قوله (والقدر):

لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ۝٧٨﴾ [النساء: ٧٨].

---

(١) تحت قوله: (باعث بلا مشقة).

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَنُصَدِّقُ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءَ وَبِهِ وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ ....

قوله (ونحن مؤمنون بذلك):

لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وحاصله أن لا نفرق بين أحد من رسله في الإيمان، بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم كلهم ونصدقهم كلهم على السوية.

فإن من يؤمن ببعض، ويكفر ببعض، ويريد أي يتخذ ذلك سبيلا فهو كافر حقًّا! لأن كل الأنبياء عليهم السلام جاؤوا بتصديق بعضهم بعضًا، فإن كفر أحدًا ببعضٍ كفر بجميعهم، وإن كان يظن أنه مؤمن وهو من: ﴿ٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٥].

قوله (أهل الكبائر):

الكبيرة: ما يترتب عليها حد أو يوعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب. وهي كالقتل والزنا، والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور وأمثال ذلك. فالوعيد الخاص عليها في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، مثل القصاص والجلد والقطع وغيرها.

مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي ٱلنَّارِ لَا يَخْلُدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ ....

والصغيرة ما ليس عليه حد أو وعيد إلا التأديب المفوض إلى الإمام لقوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء: ٣١]، وبديهي أن من أوعد بغضب الله ولعنته وناره بارتكاب الكبائر لا يستحق الوعد الكريم.

فثبت أن الكبيرة لا تكفر، وقيل: كل معصية أصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة(١).

قوله (من أمة محمد ﷺ):

يُفهم من هذا التخصيص أن أهل الكبائر من أمم غير أمة محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع كلهم مخالف لهذا الحكم، أي: بأنهم يخلدون في النار بالكبائر، وفيه نظر.

فإن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»(٢)، ولم يخص أمته بذلك؛ بل ذكر الإيمان مطلقًا بلا تخصيص أمة دون أمة.

قوله (في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون):

لقوله تعالى كما في المتن: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. هذا رد على الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج يقولون بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان لا بدخولهم في الكفر، بل عندهم منزلة بين منزلتين كما تقدم.

---

(١) ذكره في «شرح العقائد النسفية»، صـ: ٢٥٤، و«الأشباه والنظائر» لابن نجيم، صـ: ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال: ٢٢، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار: ٤٥٧، من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَارِفِينَ وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي ٱلنَّارِ بِقَدْرِ جِنَايَتِهِمْ بِعَدْلِهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ ٱلشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّاعَةِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ ....

قوله (وإن لم يكونوا تائبين):

لأنهم إذا كانوا تائبين فلا خلاف أن التوبة تمحو الذنوب، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ [النساء: ١٧]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]، ولقوله ﷺ: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**(١).

قوله (عارفين):

أي: مؤمنين، لأن المعرفة المحضة وإن كانت كاملة لا تكفي للنجاة بغير الإيمان، فإن إبليس كان عارفًا بربه وبربوبيته حيث قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾ [الحجر: ٣٦]، وبعزته وجلاله وبمحافظته لعباد المخلصين حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣]، ولكن لم يؤمن فلم ينج، وكذلك فرعون.

(١) أخرجه ابن ماجه في أبواب: الزهد، باب: ذكر التوبة: ٤٢٥٠، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ مَوْلَى لِأَهْلِ مَعْرِفَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي ٱلدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ ٱلَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ ٱللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ ٱلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَسِّكْنَا بِٱلْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ ....

قوله (الله جل جلاله مولى لأهل معرفته):

لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ١١﴾ [محمد: ١١].

قوله (اللهم يا ولي السلام):

هذا من دعاء النبي ﷺ، ختم الكلام على هذا الدعاء[1] بمناسبة المقام وهي ظاهرة.

قوله (حتى نلقاك به):

أي: توفنا مسلمين كما في دعاء يوسف الصديق عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١]، وكما في دعاء سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمني الموت فلا دليل له فيه، فإن هذا الدعاء إنما هو للموت على الإسلام لا بمطلق الموت.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: ٦٦١، والبيهقي في «الدعوات الكبير»: ٢٥٤ واللفظ له، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَنَرَى ٱلصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ ....

قوله (ونرى الصلاة):

لقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، إن أريدَ بالركوعَ: الصلاةُ، فلا تخصيص فيه لبر وفاجر، ولقوله ﷺ: **«من أصل الدين، الصلاة خلف كل بر وفاجر»**(١).

ولأن الصحابة صلوا خلف الأئمة الفجار، وما كانوا يعيدون صلاتهم كما في «صحيح البخاري» أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما صلى خلف الحجاج و هو كان فاسقًا ظالمًا(٢)، وأيضًا أنس بن مالك رضي الله عنه خلفه، وصلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره خلف الوليد بن عقبة ابن أبي مُعيط رضي الله عنه(٣)،

---

(١) أخرجه الدارقطني في «السنن»: ١٧٦٥، من حديث سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) لم أقف على هذه الرواية في «صحيح البخاري» بعد بحثٍ طويلٍ وقد نسبه إليه الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير»: ٦٠١، وذكر في «فتح الباري»: ٢/ ١٤: «أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصلي مع الحجاج». وأخرج البيهقي في «السنن الكبير»: ٥٣٠٢ عن ابن هانئ أنه قال: «رأيت ابن عمر رضي الله عنهما إذا حضرت الصلاة مع الحجاج صلى معه، وإذا حضر ابن الزبير رضي الله عنه صلى معه».

(٣) وهو الصحابي الجليل، الشجاع الجواد، سيدنا الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط رضي الله عنه، أخو سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه، أسلم يوم الفتح، ومات في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه. أورد المؤلف اسمه هنا لأنه قد اتهم بالفسق في قضية، ذلك أن النبي ﷺ بعثه إلى بني المُصطَلِق ليأتي بزكاتهم، فلما بلغهم مجيئه خرجوا يتلقونه ـ أو ليبلغوا زكاتهم أنفسهم ـ وعليهم السلاح. فلما بلغ الوليدَ الخبرُ بتلك الحالة التي خرجوا فيها، ظن أنهم إنما خرجوا يريدون قتله إذ كانت بينه وبينهم شحناء، فخاف وعاد إلى النبي ﷺ وأخبره بإرادتهم. فبعث النبي ﷺ سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه لينظر في أمرهم، فوجدهم متمسكين بالإسلام ويقيمون الصلاة، فأتاهم خالد بن الوليد رضي الله عنه واستلم زكاتهم. فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦]. فظن بعض المفسرين أن المراد بالفاسق هو الوليد رضي الله عنه ـ معاذ الله ثم معاذ الله ـ وهذا خطأ لا يليق بمقام الصحابي. فنرد على ذلك بعدة أجوبة:=

....

= أولًا: مع وجود الروايات المختلفة لم يصح منها شيءٌ، فإن منها ما هو ضعيف وما هو مرسل، فلم تقبل هذه الروايات مع ضعفها في مثل هذا الكلام على الصحابي الجليل، كما قاله الإمام المفسر محمد الطاهر بن عاشور، المتوفى ١٣٩٣هـ في «تفسير التحرير والتنوير»: ١٠/ ٢٢٨، وفضيلة الشيخ البحاثة مولانا محمد إقبال المظاهري في «فتح الرحمن بسيرة سيدنا عثمان بن عفان»: صـ٥٤٣. وقال الشيخ عبد الرحمن دمشقية في بحثه: وكلها روايات مرسلة، وهذه المرسلات لا تصلح لإثبات تهمة الفسق على الصحابي فإننا لا نقبلها في أحكام الطهارة ولا الصلاة، فكيف نقبلها في جرح خير هذه الأمة؟ فلم يثبت ـ بحمد الله ـ من هذه الروايات شيء ألبتة. وقال الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية»: ١١/ ٦٠٤: ذكر ذلك ـ أي: القصة ـ غير واحد من المفسرين، والله أعلم بصحة ذلك.

ثانيًا: إطلاق لفظ الفاسق على الوليد ﵁ شيء بعيد، لأن في أكثر المواضع ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم يراد به من خرج عن ربقة الإيمان كما في [المنافقون: ٦]، و[الكهف: ٥٠]، و[السجدة: ٢٠]. والفاسق هو: الكذّاب كما قال عبد الرحمن بن زيد العدوي، المتوفى ١٩٧هـ ومقاتل بن سليمان البلخي، المتوفى ١٥٠هـ أو: هو من فعلَ فعلًا ما يحرمه الشرع من الكبائر كما قال ابن عاشور. فلا يطلق هذا اللفظ عليه أبدًا.

ثالثًا: لقد ورد في رواية سيدتنا أم سلمة ﵂ التي أخرجها الطبري في «تفسيره»: «أن الشيطان حدثه أنهم ـ أي: بني المصطلق ـ يريدون قتله». وفي رواية سيدنا ابن عباس ﵄: «وإنه لما حُدِّثَ الوليد أنهم خرجوا يتلقونه». ففُهم من هاتين الروايتين أنه كان هناك من أخبره بشيء أدَّاه إلى العودة إلى النبي ﷺ، أقرّ بذلك الحافظ ابن القيم في «مدارج السالكين»: ١/ ٣٦٨، بقوله: «فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع من الطريق إلى النبي ﷺ».

رابعًا: نزل القرآن بقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾. فإن كان المراد بـ(الفاسق): الوليد ﵁ ـ العياذ بالله، والمراد بـ(النبإ): الخبر الذي جاء به الوليدُ إلى النبي ﷺ، فيُفهم أن مرادَ الله بقوله (أيها الذين آمنوا)، هو: النبي ﷺ، وهذا فهم خطأ. لأن الله لم يخاطب نبيه ﷺ بقوله: (يا أيها الذين أمنوا)، بل خاطبه بقوله: (يا أيها النبي) في ١٣ موضع كقوله في [الأنفال: ٦٤]، و[التوبة: ٧٣]، و[التحريم: ١]، أو قال: (يا أيها الرسول) كقوله في [المائدة: ٤١]، أو نحوه. هذا وإن كان الأحكام تشمل الأمة مع النبي ﷺ. فالصحيح ـ والله أعلم وعلمه أتم ـ أن المراد بـ(الفاسق): هو الرجل المجهول الذي أخبر الوليد ﵁ بأن القوم خرجوا ليقتلوه، والمراد بـ(النبإ): =

....

= الخبر بأن بني المصطلق خرجوا لقتله، والمراد بقوله (أيها الذين آمنوا) هو الوليد ﵁، وغاية ما يقال أنه توهم فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقًا.

خامسًا: ولو كان الوليد فاسقًا ـ نعوذ بالله ـ لما تركه النبي ﷺ بعد ما وقعت في القصة بقوله: «التبيُّن من الله، والعجلة من الشيطان»، بل يقوم ﷺ بتعنيفه وتوبيخه وتأديبه، لأنه اتهم قومًا بقتل مسلمٍ، وما روي أنه ﷺ فعل ذلك!

سادسًا: استعمله أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ سيدنا أبو بكر الصديق ﵁ في أكثر من مرة. فكان أول عمله في خلافته أنه كان صاحب السر بين أبي بكر وقائده سيدنا خالد بن الوليد ﵄ في وقعة المذار سنة ١٢هـ (انظر: «تاريخ الطبري»: ٣/ ٣٥١، و«البداية والنهاية»: ٩/ ٥١٧، من هنا سأكتفي بعزو الواقعات إلى «تاريخ الطبري» فيما بعد مع وجودها في كتب التاريخ الأخرى)، وكان الوليد ﵁ يأتي أبا بكر ﵁ بصدقات قُضاعة («تاريخ الطبري»: ٣/ ٣٩٠)، وبعثه أبو بكر ﵁ قائدًا إلى الأردن لما عزم على فتح الشام حينما بعث سيدنا عمرو بن العاص ﵁ إلى فِلسطين وسيدنا أبا عبيدة بن الجراح ﵁ إلى حِمص، وهذا في سنة ١٣هـ («تاريخ الطبري»: ٣/ ٣٩٠). فهذه نبذة مختصرة سجلت في التاريخ أنه استُعمل لنصرة الإسلام والمسلمين، ناهيك عن تعينه أميرًا في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ على بني تغلب وعرب الجزيرة في سنة ١٧هـ («تاريخ الطبري»: ٤/ ٥٥)، أو في خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﵁ حينما ولَّاه إمارة الكوفة سنة ٢٥هـ فكان أحب الناس فيهم، وأرفقهم بهم، وكان من خير ولاتها عدلًا ورفقًا وإحسانًا، ولم يكن على داره باب فيدخل عليه من يشاء متى يشاء وهو ينظر في أمرهم («تاريخ الطبري»: ٤/ ٢٧١). فهل يُتصور من أمثال هؤلاء الكبار أن يعينوا شخصًا أميرًا أو وليًا على أمور المسلمين مع أنه سمي فاسقا بنص القرآن؟ كَلَّا! بل يظهر أن له مكانة عظيمة ورتبة عالية في قلوب كبار أصحاب رسول الله ﷺ. علما بأنه مشهور عند الفقهاء أن الصلاة خلف الفاسق مكروهة، بل يرى البعض أنها لا تصح، فكيف بتعيينه إمامًا وأميرًا للمسلمين؟

سابعًا: قول بعض المفسرين (نزلت فيه الآية) لا يلزم من قولهم (فيه) أنه: هو الفاسق! بل ما يظهر لي أن المراد بـ(نزلت فيه) أي: في قصة حدثت معه. وقال الإمام الحجة، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى ٦٠٤هـ في كتابه العظيم، الذي لا مثيل له، «مفاتيح الغيب»: ١٤/ ١٠٣: «غاية =

وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنهُمْ وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا ....

ولقوله ﷺ في «صحيح البخاري»: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم**»[1].

قوله (وعلى من مات منهم):

لقوله تعالى في المنافقين وهم الكافرون: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤]، علَّل النهي عن الصلاة بكفرهم، والنهي عن الشيء يقتضي الإذن بضده، فثبت أن الصلاة على المؤمنين مأمور بها، سواء كانوا متقين أو فاجرين.

قوله (ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا):

أي: شخصًا معينًا كما سبق، إلا من شهد له بالجنة نبينا ﷺ كما في العشرة

= ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الآية، وأما إن قالوا بأنها نزلت لذلك مقتصرًا عليه (أي: الوليد بن عقبة رضي الله عنه) ومتعديًا إلى غيره؛ فلا!»

أخيرًا: أريد أن أشير إلى مسألة مهمة، وهي أن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الصحابة ليسوا بمعصومين، هم بشر من البشر، منهم من يصيب ويخطئ، ولكن الله غفر لهم، كما قال فيهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٦]، ومن اعتقد عصمتهم فهو من الغلو فيهم. ولكن يُعلم أن عدم عصمتهم لا يقدح ولا يؤثر في عدالتهم، فنعتقد أنهم كلهم عدول. كما قال ابن عبد البر في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: ١/ ١٩: «قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين ـ وهم أهل السنة والجماعة ـ على أنهم كلهم عدول».

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الآذان، باب: إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه: ٦٩٤، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى ....

المبشرين بالجنة[(١)] أو من غيرهم[(٢)]، وفي المسألة أقوال، لا يسعها المقام.

قوله (ولا نشهد عليهم بكفر):

لأنا قد أمرنا بالحكم على الظاهر، وهذا الأمر مبطن لا نعلمه فكيف نحكم به؟ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وليس لنا أن نحكم عليهم بالظن، لقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾ [الحجرات: ١٢]، ولا بالتحقير لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

---

(١) وهم: سيدنا أبو بكر ـ عبد الله بن أبي قحافة (١٣هـ)، وسيدنا عمر بن الخطاب (٢٣هـ)،، وسيدنا عثمان بن عفان (٣٥هـ)، وسيدنا علي بن أبي طالب (٤٠هـ)، وسيدنا طلحة بن عبيد الله (٣٦هـ)، وسيدنا الزبير بن العوام (٣٦هـ)، وسيدنا سعد بن أبي وقاص (٥٥هـ)، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف (٣٢هـ)، وسيدنا أبو عبيدة بن الجراح (١٨هـ)، وسيدنا سعيد بن زيد (٥١هـ) ﷺ، ذُكرت أسماؤهم في حديث سيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ الذي أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عوف الزهري: ٤٠٨٠، وأبو داود في كتاب: السنة، باب: في الخلفاء: ٤٦٤٨، وابن ماجه في أبواب: السنة، باب: فضائل العشرة ﷺ: ١٣٣، من حديث سيدنا سعيد بن زيد ﷺ ولكن لم يذكر أبا عبيدة بن الجراح ﷺ من العشرة في ما أخرجه ابن ماجه.

(٢) كتبشيره لآل ياسر، وبلال ابن رباح، والحسن والحسين، وأمهما فاطمة، وأمها أم المؤمنين خديجة، وغيرهم كثير ﷺ. وجمعهم د. محمد بن علي الغامدي في كتاب «من بُشّر بالجنة من غير العشرة»، وأنس تدمري في «المبشرون بالجنة المذكورون على لسان النبي ﷺ».

وَلَا نَـرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلسَّيْفُ وَلَا نَـرَى ٱلْـخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّـتِـنَا ....

قوله (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ):

لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

الخلود هنا المكث الطويل، وإن كان على حقيقته فالمعنى القتل استحلالًا، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: **«لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**[1].

قوله (ولا نرى الخروج على أئمتنا):

لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، تأمل كيف قال جل ذكره: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: ﴿وَأَطِيعُوا۟ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، لأن أولى الأمر لا يفرد بالطاعة بل يطاع فيما هو طاعة الله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأنه لا يأمر بغير طاعة الله فإنه معصوم، وأما أولي الأمر؛ فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة الله ورسوله، ولذا قال النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾: ٦٨٧٨، ومسلم في كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص، باب: ما يباح به دم مسلم: ٤٣٧٥، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا وَلَا نَدْعُوا عَلَيْهِمْ وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ ....

«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(١).

قوله (وإن جاروا):

لأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد والفتن أضعاف ما يحصل من جورهم، والفتنة أشد من القتل(٢)، بل في الصبر على جورهم تكفيرُ السيئاتِ ومضاعفةُ الأجورِ، ولأن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، فالجزاء من جنس العمل لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قوله (ولا ندعو عليهم):

لأنه خروج في الباطن، ولا نرى الخروج على أئمتنا ما لم يأمروا بمعصية الله، وفي بعض الروايات من الكتب السابقة «**أنا الله، لا إله إلا أنا، مالك الملوك وملك الملوك، قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخطة والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشتغلوا بالذكر والتضرع إليَّ أكفِكُم ملوككم**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الفتن، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: ٧١٤٤، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية: ١٨٣٩، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: ٨٩٦٢، من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه.

وَنَـرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيْضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَتِه وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَٱلْمُعَافَاةِ وَنَتَّبِعُ ٱلسُّنَّةَ وَٱلْـجَمَاعَةَ ....

قوله (ونرى طاعتهم من طاعة الله):

لأن الله تعالى أوجب طاعتهم تحت قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] بقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، كما مرَّ تفصيله آنفا، فإطاعتهم إطاعة الله ورسوله ما لم يأمروا بمعصية، فإذا أمروا بمعصية خرجوا من طاعة الله والرسول، فلا طاعة لهم إذا خرجوا أنفسهم من طاعة الله، فلما لم يطيعوا فكيف يطاعون؟ ولقوله ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(١)، بشرط أن الأمير لا يأمر بمعصية الله ورسوله.

قوله (وندعو لهم بالصلاح والمعافاة):

لأن الدين النصح لكل مسلم، لله، ولرسوله ولعامتهم كما قاله ﷺ(٢).

قوله (ونتبع السنة والجماعة):

السنة: طريقة النبي ﷺ، وهي الأسوة الحسنة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به: ٢٩٥٧، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية: ٤٧٤٧، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة: ١٩٦، من حديث سيدنا تميم الداري رضي الله عنه، ومن اللطائف أن البخاري رحمه الله لم يخرج هذا الحديث ولكنه بوب بابًا في كتاب الإيمان بألفاظ الحديث المذكور آنفًا، ولا يخفى على أهل فنٍّ سبب فعل ذلك من البخاري رحمه الله.

....

والجماعة: هم المطيعون له والمتفقهون في دينه، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، ولقول النبي ﷺ: «**إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»[١].

فبقوله ﷺ: «**ما أنا عليه**» إشارة إلى السنة، وبقوله ﷺ: «**وأصحابي**» إشارة إلى الجماعة، ولعل أهل السنة والجماعة لقبوا ملتهم بـ«أهل السنة والجماعة» من هاتين الكلمتين في الحديث.

فبين النبي ﷺ ببليغ قوله هذا، أن عامة المختلفين هالكون من هذين الجانبين، أو من أحدهما، إما بالتجاوز عن الطريقة أو إما بالانحراف عن المنيبين، إلا أهل السنة والجماعة فإنهم قيدوا أنفسهم باتباع السنة تحت ذوق السلف الصالحين وأتباع طريقتهم.

وفيه قول ابن مسعود رضي الله عنهما: «من كان مستنًّا فليستن بمن قاد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: الإيمان، باب: افتراق هذه الأمة: ٢٨٣٢، من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وأبو داود في كتاب السنة، باب: شرح السنة: ٤٥٩٧، من حديث سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وابن ماجه في أبواب: الفتن، باب: افتراق الأمم: ٣٩٩٣، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

وَنَجْتَنِبُ ٱلشُّذُوذَ وَٱلْخِلَافَ وَٱلْفُرْقَةَ وَنُحِبُّ أَهْلَ ٱلْعَدْلِ وَٱلْأَمَانَةِ ....

آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»(١). فنحن نرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا!

قوله (ونجتنب الشذوذ):

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ولقول تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قوله (ونحب أهل العدل والأمانة):

لأن محبة أهل العدل من سنن الله، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: ٤٢].

والأمانة أيضًا من محبوباته تعالى وتقدس، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج: ٣٢ - ٣٥].

ومن البداهة أن الإدخال في دار كرامته بالعز والإكرام لا يكون إلا بالمحبة والألفة، لا بالبغض والعداوة، وقال ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه،

(١) أخرجه التبريزي في «مشكاة المصابيح»: ١٩٣، والذهبي في «المنتقى من منهاج الاعتدال»: صـ٨٢، عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنهما. وأخرجه الإمام أبو نعيم الأصفهاني، المتوفى ٤٣٠هـ في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ١/ ٣٠٥، عن سيدنا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

وَنُبْغِضُ أَهْلَ ٱلْـجَوْرِ وَٱلْـخِيَانَةِ ....

قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟»[1].

والظاهر أن الوصل من ثمرات المحبة كما يكون الفصل من ثمرات العداوة، فمحبة أهل العدل والأمانة من سننه وأخلاقه تعالى، ونحن مأمورون بالتخلق بأخلاق الله والتسنن بسنن الله والسلوك على صراط الله.

فيلزم علينا أن نحب أهل العدل والأمانة بهاتين الآيتين الكريمتين وإرشاد الحديث النبوي ﷺ، وأيضًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فيجب علينا باقتضاء محبة الله أن نحبهم، لأن المحبَّ يحبُّ ما يحبُّ محبوبُه، ويوالي من يواليه ويرضى لرضائه، فمن أحبَّ العادلينَ والمؤتمنينَ فبحبِّه أحبَّهم.

فمحبة الله ورسله وأنبيائه والعادلين والمؤتمنين حق لازم علينا، وإن رغم أنف الفلاسفة والمعتزلة المنكرين بمقام المحبة!

قوله (ونبغض أهل الجور):

والمحبة التامة كما تستلزم موافقة المحبوب في محبوباته، كذا تستلزم العداوة بمكروهاته ومبغوضاته، فمن أحبه وأحب أولياءه لمحبته فلا بد أن يبغض أعداءه لعداوته وبغضه، وإلا؛ لا تبقى المحبة تامة!

ومن هذا المقام ينشأ الجهاد في سبيل الله مع أعدائه، وهم أهل الجور والخيانة والبغي والعدوان، فبغضهم أيضًا من حقوق المحبة والإيمان لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من وصل وصله الله: ٥٩٨٧، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها: ٦٥١٨، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَنَقُولُ ٱللَّهُ أَعْلَمُ فِيمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ ....

يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، ولقوله ﷺ: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»**(١).

قوله (ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه):

تقدم في كلام الشيخ أنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ولرسوله ﷺ، وردُّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، فمن تكلَّم في أمر الله بغير علم، سواءٌ كان برأيه المجرد أو بفهمه الطبيعي فإنما يتبع هواه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]،

ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٣ - ٤]، ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

فعلى العباد أن يقولوا فيما لا يعلمون: الله أعلم! ويكلوه إلى عالمه، ولقوله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**(٢)، وهذا الأصل كلي لأساس العقائد وتقاة من الزيغ لمن يتذكر ويتدبر﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٦٩﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: الدليل على زيارة الإيمان ونقصانه: ٤٦٨١، من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: الصبر والشكر: ٢٦٨٧، والنسائي في كتاب: الأشربة، باب: على ترك الشبهات: ٥٧١١، من حديث سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

وَنَـرَى ٱلْمَسْحَ عَلَى ٱلْـخُفَّيْنِ فِي ٱلسَّفَرِ وَٱلْـحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي ٱلْأَثَرِ ....

قوله (ونرى المسح على الخفين):

لما تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين[١]، ولما كانت الرافضة تخالف هذه السنة المتواترة أشد الخلاف، وادعوا أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين، إنكارًا للمسح على الخفين، وجعلوه موضوعًا مستقلًا مقابل أهل السنة، وتعاملِ أهل الحق ـ كأنه شريعة مستقلة ـ ، اختارت المسألة صورة العقيدة، ولزم الإقرار به مثل العقائد المتواترة.

فالذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوءَ قولًا وفعلًا، والذين تعلَّموا الوضوءَ منه ولم يتعلموا الوضوءَ إلا منه، وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويقر لهم، ونقلوه إلى من بعدهم أكثر عددًا من الذين نقلوا منه لفظ هذه الآية، ولم يكن هذا العمل ـ أي: مسح الرجلين ـ معهودًا عندهم في الجاهلية، ومن رآه يتوضأ ويغسل قدميه لا يُحصي عددهم إلا الله، ونقلوا عنه غسل الرجلين في ما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه ﷺ وهو في كتب «الصحاح» وغيرها: «**ويل للأعقاب، وبطون الأقدام من النار**»[٢]،

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري»: ١/ ٣٠٦، ونُقل عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «حدثني سبعون من أصحاب رسول الله أنه كان يمسح على الخفين»، وجمع أسماءهم الإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة»: ص: ٥٢، ونقل عن الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «فيه ـ أي: المسح على الخفين ـ أربعون حديثا عن أصحاب رسول الله ما رفعوا إلى النبي وما وقفوا»، ذكره الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى ٦٢٠هـ في: «المغني»: ١/ ٣٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من رفع صوته بالعلم: ٦٠، من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم في كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما: ٢٥، من حديث =

وَٱلْـحَجُّ وَٱلْـجِهَادُ ....

فثبوت التواتر في نقل الوضوء المشتمل على غسل الرجلين كتواتر لفظ هذه الآية، ولفظ الآية لا تخالف ما تواتر معناه ومصداقه من السنة.

فقول الرافضة مردود بالكتاب والسنة وتواتر العمل، فلذلك وضع الشيخ هذه المسألة الجزئية في موضع العقائد الأساسية إلا أن ذكْر المسح على الرجلين في بعض الروايات تنبيه على قلة صب الماء على الرجلين، خلاف ما يعتاد الناس الإسراف في غسل الرجلين، والمسألة معروفة والكلام عليها في كتب الفروع.

قوله (والحج):

هاتان العبادتان اجتماعيتان، لهما مزايا وخصوصيات لا توجد في غيرهما. فإنهما عبادتان سفريتان تتعلقان بالنقل والحركة، والمشي والسعي. لاسيما الجهاد في سبيل الله، فإنه مدار شوكة الإسلام، ولذا خصهما بالذكر بالاستقلال، ولتفصيلاتهما موضع آخر لا يسعها هذا المقام، أما الحج فلقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

قوله (والجهاد):

وأما الجهاد فلقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣]، وغاية الجهاد دفع الفتنة وإعلاء كلمة الله، لقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

= أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والترمذي في أبواب: الطهارة، باب: ما جاء ويل للأعقاب من النار: ٤١، وقال: وفقه هذا الحديث أنه لا يجوز المسح على القدمين إذا لم يكن عليهما خفان أو جوربان.

فَرْضَانِ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنَ أَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا ....

قوله (فرضان ماضيان):

لقول النبي ﷺ: «**الجهاد ماض؛ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال**»(١)، وهو أمر بصورة الخبر، أو خبر بعدم انقطاعه إلى يوم القيامة، فهو تحريض على هذا العمل.

قوله (مع أولي الأمر من أئمة المسلمين):

وهذا من شروط الجهاد، أشار الشيخ إلى الرد على الرافضة حيث قالوا لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد ﷺ، وينادي مناد من السماء أن اتبعوه، وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل.

قوله (برهم وفاجرهم):

الروافض شرطوا في الإمام أن يكون معصومًا بغير دليل، بل على خلاف الدليل، لأن النبي ﷺ وزع الأئمة على بر وفاجر، وأكد طاعتهم بلا تخصيص البر والفجور.

ففي «الصحيح» للإمام مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتُصلون عليهم ويُصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: **لا، ما أقاموا فيكم**

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور: ٢٥٣٢، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِيْنَ ....

الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليَكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعته»[1]، فلم يقل النبي ﷺ أن الإمام يجب أن يكون معصومًا!

فالرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة، لأنهم جعلوا الإمام المعصوم إمامًا معدومًا، لم ينفعهم في الدين والدنيا، فإنهم يدعون أنه الإمام المنتظر الذي دخل السرداب[2] في زعمهم، بسامرَّاء[3]، ويقيمون هناك دابة ليركبها إذا خرج، وعينوا في الأوقات المقررة عندهم رجلًا ينادي: يا مولانا اخرج! يا مولانا اخرج! ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم العقلاء.

أما عصمة الإمام فلا حاجة إليها في نظم الأمور، لأن الحج والجهاد يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس فيها، ويقاوم العدو، ويدافع الفتن والمهالك، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر أيضًا.

قوله (ونؤمن بالكرام الكاتبين):

لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، ولقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم: ١٨٥٥/٦٦.

(٢) السرداب: هو بناء تحت الأرض، يلجأ إليه من حر الصيف. انظر «المعجم الوسيط»: ١/ ٤٢٦.

(٣) سَامَرَّاءُ: هي من أمهات المدن العراقية التاريخية، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة وتبعد نحو ١٢٠كم شمال عاصمة بغداد. كان اسمها القديم: سُرَّ مَنْ رَأَى. انظر «لسان العرب»: ١٤/ ٣٠٣.

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ ٱلْعَالَمِينَ ....

قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨]، ولقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ولقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١]، وفيه أحاديث كثيرة تبين وتفصل ما في القرآن الحكيم(١).

قوله (ونؤمن بملك الموت):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، ولقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢].

قوله (وبسؤال المنكر ونكير):

لقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦]، ولقول النبي ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من

---

(١) كما في حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: هل تدرون مما أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا قال: فيُختم على فِيه، فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا فَعَنكُنَّ كنت أُناضِلُ». أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق: ٢٩٦٩.

وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَنَعِيْمِهِ لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَبِسُؤَالِ الْمُنْكَرِ وَنَكِيْرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَنَبِيِّهِ وَدِيْنِهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ ٱلْأَخْبَارُ عَنْ رَسُوْلِ ٱللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ....

حفر النار»[١]، وقد تواترت الأخبار في ثبوت عذاب القبر ونعيمه[٢]، فيجب الاعتقاد والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته إذْ ليس للعقل وقوف عليها، ولكن لا يستحيله العقل بل يؤيده كما في كتب الفن.

قوله (للميت في قبره):

وفيه حديث طويل عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه: **«فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي**

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ:٢٤٦٠، من حديث سيدنا أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) قال الإمام المحدث الفقيه بدر الدين العيني، المتوفى ٨٥٥هـ في: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»: ٣/ ١١٧: «ورد في عذاب القبر أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم». ثم عد ٩ من الصحابة رضي الله عنهم، وقال محمد بن جعفر الكتاني، المتوفى ١٣٤٥هـ في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»: صـ١٢٥: وقد روى عذاب القبر وفتنته جماعة من الصحابة، انتهى. ثم عد ٣٢ من الصحابة رضي الله عنهم ممن روى هذا الحديث.

وَٱلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْـجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ ....

يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي»(١).

وهكذا يسأل الكافر في قبره وأحواله ضد هذه الأحوال، والمسألة طويلة الذيل، لا يسعها هذا المقام، فارجع إلى كتب الفن.

قوله (والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار):

قد سبق تفصيله آنفًا في عذاب القبر(٢).

قوله (ونؤمن بالبعث):

وهو الإحياء بعد الموت يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠٠ - ١٠١]، ولقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]، حقيقة البعث هل هو بالأجساد أم بالأرواح؟ فيجيء تفصيله في كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: المسألة في القبر وعذاب القبر: ٤٧٥٣، وأحمد: ١٨٥٣٤، واللفظ له.

(٢) تحت قوله: (ونؤمن بملك الموت).

وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلْعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ وَقِرَاءَةِ ٱلْكُتُبِ ....

قوله (وجزاء الأعمال يوم القيامة):

لقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، والدِّين هنا الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور: ٢٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]، ولقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦١﴾ [الزمر: ٦٠ - ٦١]، ولقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ [النمل: ٨٧]، أمثالها في القرآن كثيرة.

قوله (والعرض والحساب):

وهو الحساب اليسير، يقال له في الشرع: العرض، لقوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨] والحساب اليسير: «**إنما ذاك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب**»[1]، فالمناقشة حساب عسير، والعرض حساب يسير.

قوله (وقراءة الكتاب):

وطارت الصحف في الأيدي منشَّرة، فمن أوتي كتابه بيمينه فيحاسب حسابًا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: من نوقش العذاب عذب: ٤٩٣٩، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إثبات الحساب: ٢٨٧٦، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وَٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ ....

يسيرًا ويدخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله نوقش فيدخل النار ـ العياذ بالله ـ، وأصله في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ – ١٤].

قوله (والثواب والعقاب):

هذه هي المجازاة، وهي بالثواب أو العقاب. فالثواب: الأجر، والعقاب: الوزر.

أما الأجر: فلقوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وأما الوزر: فلقوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: ١٠٠ – ١٠١].

فأول المجازاة: إراءة الأعمال لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٤٠]، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

وثانيها: الإكرام والتذليل على رؤوس الأشهاد يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦٠ – ٦١]، ولقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وثالثهما: الجزاء الأوفى لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: ٤١].

وَٱلصِّرَاطِ ....

ورابعها: صورة الوفاء لهم بالأضعاف في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وخامسها: الفوز أو الخسران، أما الفوز: فلقوله تعالى: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٩]، وأما الخسران: فلقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: ٧٨].

وآخرها: الخلود في الجنة أو النار لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨].

قوله (والصراط):

وهو جِسرٌ على جهنم، إذا انتهى الناسُ بعد مفارقتهم مكانَ الموقف إلى الظُلمَةِ التي دون الصراط، ظهر نور الإيمان لكل مؤمن بين يديه يمشي في ضوئه على الصراط، وهو كحد السيف أدق من الشعر، ويكون هو الصورة المثالية للشريعة، فمن استقام عليها في الدنيا؛ يستقيم على الصراط بقدر استقامته في الدنيا، ومن زل عنها في الدنيا؛ فتزل قدمه عنه بقدر زلته في الدنيا.

وتحته كلاليب من الحديد تخدش أقدام الناس حين المرور على الصراط، وتكون هي صورًا مثالية للفتن المزلة عن الصراط المستقيم في الدنيا، فمن استقام

وَالْمِيْزَانِ ....

على الشريعة مجتنبًا عن الفتن؛ يمشي على الصراط محفوظًا من خدوشها، ومن لم يستقم على الشريعة في الدنيا ووقع في الفتن؛ يُبتلى على الصراط بالخدوش، وتكون سرعة السير وبطؤها على الصراط على مقدار المشي على الصراط المستقيم في الدنيا، ومأخذه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١]، وهو المرور على الصراط، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢]، وهو من عواقب المرور على الصراط.

قوله (والميزان):

لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]، وميزان الأعمال حسيٌّ، له كفتان حسيتان مشاهدتان توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، كما في الحديث(١)، ويُفهم من القرآنِ أن الموازين متعددة، وموجب الحديث أنه واحد، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالموازين في القرآن الموزونات فتطابق الروايةُ الآية.

---

(١) كما في حديث سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»، أخرجه الترمذي في أبواب: الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: ٢٦٣٩، وابن ماجه في أبواب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة: ٤٣٠٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وَالْبَعْثُ هُوَ حَشْرُ الْأَجْسَادِ وَإِحْيَاءُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ....

قوله (والبعث هو حشر الأجساد):

أي: يكون الحشر بالمعاد الجسماني، وتُبعث الأجساد وتُحيى بعد موتها يوم القيامة، وأن الله يبعث من في القبور لا المعاد الروحاني، فإن الأرواح لا تدفن في القبور؛ فلا معنى لإحيائها وبعثها عن القبور، لقوله تعالى في الكفار: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

والوجوه العمي والبكم والصم كلها من خواص الأجسام والصور، لا الأرواح! ولقوله تعالى رافعًا لاستبعادهم في حشر الأجساد: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١]، كان استبعادهم لحشر الأجساد لا لحشر الأرواح.

ولذا ذكروا العظام والرفات، فأجاب سبحانه وتعالى أن من خلق هذه العظام والرفات أول مرة هو يخلقها مرة ثانية، فكان في السؤال الاستبعاد لحشر الأجساد والخلق الجديد قياسًا على النشأة الأولى.

فكان مقتضى السؤال الجواب بإثبات حشر الأجساد في النشأة الثانية، وإلا لم يطابق الجواب السؤالَ، لا لإثبات حشر الأرواح، فإنه لم يكن مستبعدا عندهم وما سألوا عنه، ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ

....

لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٥ – ٧]، هذا التفريع على خلق الأجساد أول مرة من النطفة إلى الاستقرار في الرحم، وإخراجه طفلًا إلى غير ذلك من أحوال الأجسام بخلقها مرة ثانية بعد موتها، فلو كان المراد هنا حشر الأرواح فقط لم يصح التفريع ولم يندفع الاستبعاد.

وأيضًا الإخبار بأن الله يبعث من في القبور دليل على حشر الأجساد، لأن ما في القبور هو الأجسام وهي تبعث بعد نفخ الأرواح فيها، ولقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٨ – ٧٩].

فاحتج الله سبحانه وتعالى بالإبداء على الإعادة، وبالإنشاء الأول على النشأة الثانية، إذْ كل عاقل يعلم ضرورةً أن من قدر على هذا لكان قادرًا على ذلك بالبداهية، ومن كان عاجزًا من الثانية لكان من الأولى أعجز، والنشأة الأولى كانت جسمانية فالثانية أيضًا لا بد أن تكون جسمانية وإلا لبطل الاستدلال ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولمّا كان الخلق يستلزم قدرة الخلق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٩]، فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني؛ فإذا كان هو تام العلم كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحي العظام وهي رميم؟

....

وأيضًا يكون البعث لجزاء الأعمال، والعمل لم يكن من الروح بل صدر من الجسم، ولو بعد نفخ الروح. بل يلوح بعد إمعان النظر أن العمل ليس إلا من خواص الجسم لا من خواص الروح، لأن العمل هو مجموع الحركات والسكنات وهي لا تتعلق إلا بالبدن.

أما الروح فهو منشأ لمصادر الأعمال وهي الركون والرغبة، والشوق والذوق للعمل، ثم النية والإرادة والعزم بعد معرفة العمل خيره وشره، فوظيفة الروح العلم والرغبة للعمل لا العمل، وما من صفاته الحركة والسكون، وإذا ظهر أن العمل وظيفة البدن كان يناسب أن يجعل البدن أصلًا في جزاء الأعمال ولا يمكن هذا إلا ببعث الأجساد والمعاد الجسماني لا الروحاني.

ونبينا ﷺ لما كان خاتم الأنبياء والمرسلين، وأكمل الله دينه على يده من كل جهة، وهو ﷺ أول أشراط الساعة، بيَّن تفصيل الآخرة وحشر الأجساد ببيان لا يوجد في شيء من كتاب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة وأمثالهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، ولم يقل به أحد قبله من الأنبياء عليهم السلام، فلو كان هذا مما يعتنى به لقال أحد الأنبياء قبله ﷺ، وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري، لكن ادعاء هذه الطائفة كذب وافتراء على الأنبياء عليهم السلام، لأن القرآنَ كما بيّن بأوضحِ بيانٍ وفصّل بأبلغِ تفصيلٍ أن معاد النفس عند الموت وهو القيامة الصغرى لقوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»[1] ومعاد الأبدان عند القيامة

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٦/ ٢٦٧، والديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» : ١١١٧، والمحدث الكبير الحافظ العراقي، المتوفى ٨٠٦هـ في «تخريج إحياء علوم الدين»: ٣٦٨٠ وقال: من حديث أنس رضي الله عنه بسند ضعيف.

....

الكبرى وهي معروفة في الناس باسم القيامة، كذا أخبَر أن القيامة كانت معروفة عند الأنبياء من آدم عليه السلام إلى من بعده من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وعند أممهم، لأن الله تعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٢٥]، ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٧٩ - ٨١].

وقال نوح عليه السلام: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢] ثم قال: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٥]، ثم قال: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٧].

قال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥].

وقال مؤمنٌ من آل فرعون لمّا آمن بموسى عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾

....

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٩].

وقد أخبَر الله تعالى في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣]، فيه أثبت الله سبحانه إحياء الموتى يوم البعث بشاهد في الدنيا وهي إحياء البقرة بعد موتها، وقال جل ذكره في حق جميع الرسل أنذروا أممهم بيوم القيامة حيث أخبر عن أهل النار جوابهم لخزنة النار: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١]، وهذا اعتراف من الكفار للبعث فكذَّبهم أشد تكذيب، فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٨ - ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩].

فثبت أن عقيدة المعاد والبعث بعد الموت وإتيان القيامة كانت معروفة في الأنبياء والمرسلين، إلا أن نبينا ﷺ فصّله بما لم يفصل به أحد منهم عليهم السلام لأنه خاتم النبيين ودينه أكمل الأديان في جميع أبواب الدين.

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ ....

قوله (والجنة والنار مخلوقتان):

فوجود الجنة والنار لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٤٩ - ٥٠]، ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ [ص: ٥٥ - ٥٦]، وهما مخلوقتان موجودتان لعموم قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ولقوله تعالى خاصة في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقد رأى النبي ﷺ الجنة والنار متمثلتين في جدار القبلة[١]، وتمثل الشيء وعكسه يقتضي أن يكون موجودًا قبل العكس، وإلا لا عكس بلا أصل. ورأى في المعراج سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وتتضاعف زينتها في كل سنة في رمضان، ولا يزال الله يحدث فيها شيئًا بعد شيء وفيه أحاديث منها؛ أن سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، غراس الجنة[٢]، وقوله تعالى عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] وغيره.

---

(١) كما في حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عُرض هذا الحائط، فلم أر كالخير والشر»، أخرجه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: وقت الظهر عند الزوال: ٥٤٠.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد: ٣٤٦٢، من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنهما، وابن ماجه في أبواب: الأدب، باب: فضل التسبيح: ٣٨٠٧، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

لَا يَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا يَبِيْدَانِ ....

ويعرض على الميتِ في قبرهِ مقعدُه من الجنة ومقعدُه من النار[(١)]، ويفتح لأهل الجنة باب منها فيأتيه من روحها وطيبها، وهما من الأبواب المفتحة، وكذا النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًّا، ولها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم، وتعلق نسمة المؤمن طيرًا في شجرة الجنة. وأيضًا لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل عليه السلام إلى الجنة والنار فقال: اذهب فانظر إليهما[(٢)]، وغير ذلك من أحاديث النبي ﷺ التي تدل على وجودهما في الحال.

خلافًا لنابغة من المعتزلة والقدرية الذين يحرفون النصوص عن مواضعها ويقولون: إنهما لجزاء الأعمال ولا حاجة إلى الجزاء قبل العمل، فخلْقهما قبل العمل عبث! بل ينشئهما الله يوم القيامة، وإلا تبقيان معطلتين مددًا متطاولةً من الخرافات الوهمية، وأنها قياسات بمقابلة النص وهذه النصوص الواضحة حجة عليهم وعلى أوهامهم الكاسدة التي يسمونها دلائل، نعم إنها دلائل على كفرهم وإلحادهم! والتفصيلات في كتب الفن.

قوله (لا تفنيان أبدا ولا تبيدان):

أي: أنها أبديَّتان، كما أخبر القرآن: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ

(١) كما في حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»، أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي: ١٣٧٩، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه: ٢٨٦٦.

(٢) كما في حديث أخرجه الترمذي في أبواب: صفة الجنة، باب: ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات: ٢٥٦٠، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

....

فِيهَا﴾ [هود: ١٠٨]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧] كما سبق من الآيات، ولقوله تعالى في الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨] كما مر، ولقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، ولقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤].

ولقوله تعالى في النار ردًا على اليهود القائلين: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]، ولقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وليس هذا الاستثناء من الخلود، بل هو بيان لإحاطة القدرة والمشيئة، أي: لا يخرج تخليدهم في الجنة أو النار الآن أيضًا من حيطة مشيئته وقدرته، وهو قادر على تبديله ولكن لا يبدل تحت وعده.

والمقصود أن بقاء الجنة والنار والخلود فيهما ليس لذاتهما بل بإبقاء الله إياهما، وهو قادر على خلافه أيضًا وإن لم يفعلْ، ولحديث النبي ﷺ حين يذبح الموت يوم القيامة: «يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت»[1]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب: ٦٥٤٥، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا ....

والأدلة من السنة على أبدية الجنة والنار ودوامهما كثيرة لا تحصى.

قوله (وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق):

أي: قبل خلْق الإنسان، فإن كل الكوائن من السماء إلى الأرض وما بينهما من: النور والظلمة، والليل والنهار، والظل والحرور، والعرض والفرش، والتراب والسراب، والشجر والدواب، والنجوم والكواكب، والموت والحياة، والخير والشر، والجنة والنار، كلها خلقت قبل خلق الإنسان في ستة أيام، وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة آخر الستة، لأنها خُلقت له لا أنه خُلق لها كما هو موجب القرآن، فهي من حوائج الإنسان والحوائج تهيأ طبعًا قبل خلْق المقصود، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]، فخلق الجنة قبل خلق آدم عليه السلام صريح فيه.

قوله (وخلق لهما أهلًا):

لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها في جنازة صبي من الأنصار: **«أوَ غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، وهم في أصلاب آبائهم»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين: ٦٧٦٨.

....

وسرُّه أن الموجودات نوعان:

أحدهما: مسخر بطبعه، **والثاني**: متحرك بإرادته.

فهدى الله **الأول** لمَّا سخر له طبيعته بإلقاء الهداية في طبعه، **والثاني** هدايته إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه أو يضره.

ثم قسم الثاني إلى ثلاثة أنواع:

نوعٌ لا يريد إلا الخير، ولا يتأتى منه إرادة سواه كالملائكة.

ونوعٌ لا يريد إلا الشر، ولا يتأتى منه إرادة سواه كالشياطين.

ونوعٌ يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان.

ثم جعله ثلاثة أصناف:

صنف يغلب إيمانُه ومعرفتُه وعقلُه هواه وشهوتَه، فيلتحق بالملائكة.

وصنف عكسه، فيلتحق بالشياطين.

وصنف تغلب شهوتُه البهيميةِ عقلَه، فيلتحق بالبهائم.

فكان ينبغي أن يكون لجميع أصناف الإنسان دار مناسب لنوعيته، فالجنة لأشباه الملائكة حسب القوة والضعف، ولبعضهم دخول أولى ولبعضهم ثانوي.

والنار لأشباه الشياطين حسب دركاتهم، فبعضهم في الأسفل من النار وبعضهم فوقهم وأخف عذابًا.

فخلْق الجنة والنار فطريٌّ عقليٌّ أيضًا، كما هو نقليٌّ قطعيٌّ.

فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ لِلْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ لِلنَّارِ عَدْلًا مِنْهُ وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا فُرِغَ مِنْهُ ....

قوله (فمن شاء منهم للجنة، فضلًا منه):

قد سبق تفصيل العدل والفضل[١].

قوله (وكل يعمل لما فرغ منه):

أي: لمَّا فرغ من تشخيصِه وتحديدِه وكمِّه وكيفِه، حسب مشيئته وتقديره السابق المبرم في علم الله. وكل ذلك كُتب بالقلمِ الأعلى في اللوحِ المحفوظِ وفي الورقةِ المعلقةِ في عنقِ العبدِ في رحمِ أمهِ، كم أجله؟ وكيف عمله؟ شقي أم سعيد في علم الله؟ قد جف القلم على علم الله، لا يتبدل ولا يتحول، فالإنسان من أوله إلى آخره متعلق بما سبق لا بما يأتيه مستأنفا في المستقبل، لقوله ﷺ عن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ قالا: يا رسول الله! أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبت الحجة عليهم؟ فقال ﷺ: لا، بل شيء قُضي عليهم ومَضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾»[٢].

والحاصل أن علمه تعالى قطعيٌّ محيطٌ، وتقديره مبرم محيط لكل مخلوق، وكلاهما قد سبقَا خلق الخلق فلا يمكن أن يتخلل أو تكون حالة منتظرة فيه من

(١) تحت قوله: (يهدي من يشاء) وما بعده.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته: ٦٧٣٩.

وَصَارَ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ وَٱلْخَيْرُ وَٱلشَّرُ مُقَدَّرَانِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ....

أي جهة من زيادة أو نقصان، فينساق كل شيء إلى ما خلق له، لا يمكن أن يتجاوز عنه.

قوله (وصار إلى ما خلق له):

لقوله ﷺ: «**اعملوا، فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له**»(١)، وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٧]، و﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١٠].

قوله (والخير والشر مقدران):

قد مرَّ تفصيله ومأخذه من النصوص القطعية. ولا يلزم منه الجبر والاضطرار في الإنسان ليحتج بتقديره ومقسومه على معصيته، لأن المقدر ليس أن يعمل فقط بل المقدر أن يعمل بإرادته واختياره، لا بأن يعمل مضطرًا ومجبورًا والمؤاخذة على الاختيار والإرادة.

فلا يصير الإنسان بتقدير الله السابق ومجبورًا ومضطرًا في أفعاله، لأن التقدير يشتمل **أولًا**: على علمه تعالى بخلقه وبه يثبت أن الإنسان [معلوم لا مجبور، ثم: تخليقه بحكمته القديمة فيثبت منه الإنسان](٢) مملوء من الحكمة لا أنه مجبور، ثم: إرادته تعالى بخلقه حسب علمه، فيثبت منه أنه مراد بإرادته تعالى لا أنه مجبور، فمن أي جهة يثبت أن الإنسان بالتقدير يكون مجبورًا أو مسلوبَ الاختيار؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾: ٤٩٤٩، وأخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته: ٢٦٤٧، من حديث سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) ما بين قوسين ساقط من (أ)، فأثبتُّه من (ب).

وَالِاسْتِطَاعَةُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا ٱلِاسْتِطَاعَةُ ٱلَّتِيْ يُوْجَدُ بِهَا ٱلْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ ٱلتَّوْفِيْقِ ٱلَّذِي لَا يَجُوْزُ أَنْ يُوْصَفَ ٱلْمَخْلُوْقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ ٱلْفِعْلِ وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ الَّتِيْ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ ٱلْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ وَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ....

فلا يجوز له أن يحتج على معصيته بالتقدير زاعمًا أنه مجبور ومضطر في المعصية، فلا دخل للتقدير في الجبر من أي جهة ولا يثبت منه نفي الاختيار، وأيضًا ليس فيه نفي الأسباب التي تترتب عليها العواقب وهو أعمال الإنسان خيرها وشرها.

وبالجملة: التقدير لا ينافي عمل العبد بإرادته واختياره، ولذا أثبت الله للإنسان كسبه وعمله في جنب التقدير، وجعل عمله سببًا لدخول الجنة أو النار مع إثبات التقدير، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقال تعالى في النار: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٩]، فلا يعاقب أحد إلا بعد كسب أسباب العقاب، فالموجب والمسبب هو الله والكاسب والمباشر هو العبد، ولا منافاة بينهما. كما أن الله تعالى خالق للولد ولكن لا يتكون الولد إلا بعد حصول سبب الولادة وهو الوقاع، فلا منافاة بين تخليقه وبين وقاع الإنسان.

قوله (والاستطاعة ضربان):

لا بد للمكلف من الاستطاعة، لأن التكليف ما لا يطاق ممنوع في الدين، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والاستطاعة أو القدرة على ضربين، وأظن أنها على ثلاثة أقسام، كما يُستفاد من قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإشارته إلى ثالث ثلاثة بإيضاح صفتها، وإن قسَّمها على ضربين اندمج الثالث في الاثنين.

....

فالأول: الاستطاعة بمعنى الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، وهي لا بد أن يكون في العبد قبل الفعل لأنها يتعلق بها الخطاب ولا يكون الخطاب إلا بعد تهيُّؤ الأسباب، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [النساء: ٢٥].

والثاني: الاستطاعة بمعنى القدرة وهي لا بد أن تكون في العبد مع الفعل، فبها يتعلق وجود الفعل، ولا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة، وهو في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ۝٢٠﴾ [هود: ٢٠]. والمراد: نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات لأنها كانت ثابتة، وكذا قول موسى لصاحبه: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧﴾ [الكهف: ٦٧]، فالمراد منها حقيقة قدرة هذا الصبر لا أسباب الصبر وآلاته، فإنها كانت ثابتة لأنه عاتبه على ذلك، ولا يلام بانعدام آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع عن الفعل لتضييع قدرة الفعل للاشتغال بغير ما أمر به أو عن شغله إياها بفعل ما أمر به.

ثم استطاعة أخرى: خص بها المؤمن بمعنى إعانة الله وتوفيقه وهو القسم الثالث، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧ - ٨]، والكفار ليسوا راشدين. وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ

....

فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧]، وهذا هو المراد بقوله **(أحدهما: الاستطاعة التي يوجد بها الفعل نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل)**.

والمعتزلة ينكرونها، ويجعلون هذا التحبيب والتزيين والإهداء عامًا لجميع المخلوق، فردَّ عليهم المصنف بقوله **(الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به)** فضلًا أن يكون عامًا لجميع المخلوق بأن يكون غريزة[1] فيه، بل هي فضل من الله والكفار لا يكونون محل الفضل، فكيف يمكن أن يكون لهم الفضل ويكون عامًا لجميع المخلوق؟

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختصر في توزيع الاستطاعة إلى قسمين، وما صرَّح بالقسم الثالث بعنوانٍ مستقلٍ ولكن بيَّن أوصافَه في القسمين المعروفين في القوم ردًا على المعتزلة. فالثالث يُستفاد منهما بتبيين[2] أوصافه.

وأيضًا رد بقوله: **(التي يوجد بها الفعل)** على المعتزلة والقدرية القائلين بأن لا تكون الاستطاعة قبل الفعل.

والقول الوسط من أهل السنة ما قلنا آنفًا إن واحدة من الاستطاعة تكون قبل الفعل وهو بمعنى الصحة والوسعة والتمكن من الآلات، وواحدة تكون مع الفعل وهو بمعنى حقيقة القدرة، وواحدة منها بمعنى التوفيق خاصة للمؤمنين وهي فضل من الله لا غريزة طبيعية.

---

(١) في (أ): عزيزة فيه، وسياق الكلام يدل أنه ليست طبيعية، بل فضل من الله.

(٢) في (ب): بتبين أوصافه.

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبُ الْعِبَادِ ....

قوله (وأفعال العباد، هي خلق الله):

لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، ولعموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

قوله (وكسب من العباد):

لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، زعمتْ **الجبرية** أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى لا للعباد، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش، وحركات الأشجار والبحار، وإضافتها إلى الخلق مجازية كما يضاف الشيء إلى محله. وعارضتهم **المعتزلة** وقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية بتخليقهم، لا بخلق الله. **وأهل السنة والجماعة** قالوا: إن الله خالق لجميع ما سوى الله من الأعيان وأفعالهم، إلا أن الكاسب لأفعالهم هو الخلْق بإرادتهم واختيارهم.

فكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله، وأنه مريد له ومختار فيه، وهو لا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته. وكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، ولا يدل على أن العبد ليس بكاسب ولا فاعل ولا مريد ولا مختار، لأن القرآن كما أثبت لله خلقه وقدره كذا أثبت للعبد كسبه وفعله بإرادته واختياره.

فالجبرية غلَوا في إثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلًا، والقدرية غلَوا في نفي القدر فجعلوا العباد خالقين، ويُستفاد من دليلِ كل فريقٍ بطلانُ قولَ الآخرين، وأهل السنة ـ بحمد الله ـ على عدل واعتدال، وما كان أمرهم فرطًا، ودلائل كل فريق منهم مفصلة في كتب الفن.

وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ إِلَّا مَا يُطِيْقُونَ وَلَا يُطِيْقُوْنَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ وَهُوَ تَفْسِيْرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ ....

قوله (ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون):

لقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولقوله تعالى في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قوله (ولا يطيقون إلا ما كلفهم):

لاقتضاء قوله تعالى المذكور: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وبيانه أن الله تعالى لمَّا كلَّفهم بقدر وسعهم، فمعناه أن مقدار تكليفهم يساوي مقدار وسعهم، كأنه إذا كيل التكليف بكيل الوسع ينطبق التكليف على الوسع طابق النعل بالنعل، وهذا لا يمكن إلا أن يكون مقدار الوسع أيضًا يساوي مقدار التكليف.

لأن المساواة والمطابقة بين الشيئين تكون من الجانبين، لا يمكن أن يكون واحدٌ منها يساوي الآخرَ، والآخرُ لا يساويه، وإلا بطلت دعوى المساواة.

فلما دلتْ الآية الكريمة على أن التكليف بقدر الوسع أي: يساوي التكليف الوسع، دلتْ أيضًا على أن يكون الوسع بقدر التكليف ويساويه وينطبق عليه، فلا يمكن أن يكون الوسع أكثر من التكليف أو أقل منه. فكما ثبت بهذا النص أن لا يكلفون إلا ما يطيقون، ثبت أيضًا أن لا يطيقون إلا ما يكلفون، إلا أن التكليف بقدر الوسع ثبت من عبارة نصه، والوسع بقدر التكليف ثبت من اقتضاء هذا النص، ومزيد التفصيل في «التتمة».

قوله (وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم):

لأنه لمَّا ثبت أن الله هو المكلِّف لعباده لا غير، وأنه هو المنزِّل لهم الدين لا

....

غير، وأنه هو واضع التطابق بين التكليف والاستطاعة لا غير، وأنه هو يعلمها كلها ويقدرها لكلها قبل خلقهم لا غير؛ لاح منه توحيده وتقديره وحده، ومشيئته وقضاؤه وحده في جميع أمور العباد في المعاش والمعاد لا شريك له في حكمه وخلقه ومشيئته وتقديره.

وهذا هو معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، فهذه المسألةُ دليلٌ مستقلٌ على إثباتِ القدرِ لله ونفي القدرِ عن العبادِ، كما قال الشيخ: لا حيلة ولا حول، ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، لقوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

ولكن لما كان يحتمل أن يفهم منه الجبر في الإنسان، كما قاله الجبرية، فدفعه بقوله: **(فغلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها)**، وتفصيله أنه ليس معنى نفي الحيلة والحول عن العبد؛ نفيها على الاطلاق، بأن لا مشيئة للعبد رأسًا، ولا إرادة له ولا اختيار له، كأنه جماد لا يعقل ولا يشعر، بل معناه أن للعباد أيضًا مشيئة ولكنها لا تتحرك إلا بمشيئة الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فنفي الحيلة عن العبد لا بمعنى نفي الكسب عن العبد، فكسبه إرادي واختياري لا تخليقي منه، فالله هو الخالق لجميع أفعال العباد، والعبد هو الكاسب لها. فيترتب خلق الأعمال على الكسب لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ [الصف: ٥]، ولذا

نَقُوْلُ: لَا حِيْلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَوْلَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُوْنَةِ اللهِ وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيْقِ اللهِ وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِيْ بِمَشِيْئَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ ....

أضاف القرآن جميع أفعال العبد إلى العبد بقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾، وبقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وأضاف الخلق إلى الله لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] كما مرَّ، وهذا هو خلاصة التوحيد بأن الأمر والخلق كلَّه يرجع إلى الله وإلى مشيئته، ولكن لا ينتفي منه إرادة العبد وفعله وكسبه.

قوله (وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه):

يريد بقضائه: القضاء الكوني لا الشرعي. فالقضاء إما يكون كونيًّا وإما شرعيًّا.

أما القضاء الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

وأما القضاء الشرعي: ففي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وكذا الأمر إما كونيٌّ وإما شرعيٌّ.

أما الأمر الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ يس: ٨٢].

والأمر الشرعي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]

....

وكذا الإذن يكون إما كونيًّا وإما شرعيًّا.

فالإذن الكوني: في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والإذن الشرعي: في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

والكتاب أيضًا يكون إما كونيًّا وإما شرعيًّا.

فالكتاب الكوني: في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

والكتاب الشرعي: في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] الآية.

والحكم أيضا إما كونيٌّ وإما شرعيٌّ.

فالحكم الكوني: في قوله تعالى عن أولاد يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

والحكم الشرعي: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١].

وكذا التحريم يكون إما كونيًّا وإما شرعيًّا.

فَغَلَبَتْ مَشِيْئَتُهُ الْمَشِيْئَاتِ كُلَّهَا وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَحَدًا ....

فالتحريم الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦].

والتحريم الشرعي: في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣].

ففي كلٍّ من هذه الحقائق يقال: إن أفعال العبد بإرادة الله وعلمه وقضائه، وحكمه وإذنه، يجري في العبد في ضمن إرادة العبد وقضائه وفعله. فلا ينتفي من إرادة الله إرادة العبد.

فكما يثبت منه قضاء الله بإرادته ومشيئته في أفعال عبده، يثبت أيضًا كسب عباد الله بإرادتهم ومشيئتهم، فليس للعبد اختيار مستقل مستغن عن الله، بل هو تابع له في خلقه وصدوره منه.

قوله (وهو غير ظالم أحدا):

هذا تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد وقبائحهم، مع أنها مخلوقة من الله. يعني: أنه خالق أفعال العباد خيرها وشرها، مع أنه منزه عن قبح هذه الأفعال.

وهذا قول وسط بين قولي القدرية والجبرية، فما كان من بني آدم ظلمًا وقبحًا لا يكون من الله ظالمًا وقبحًا ـ العياذ بالله ـ، كما تقوله القدرية إذ الظالم لا يكون إلا من مأمور من غيره والله ليس كذلك.

وأيضًا الظلم هو التصرف في ملك الغير، وليس له شريك في الملك، فكل

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ

تصرف يكون في الكون أو الأمر من الله يكون تصرفًا في ملكه، لا في ملك الغير فأين الظلم؟!

قوله (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون):

والسؤال يقع على شيء يكون على خلاف الحجة، وإذا كان الله هو الحجة، بل جميع الحججِ تكون حجة لانتسابها إلى الحق والعدل، والحق والعدل هو ذاته تعالى وتقدس، فمن ذا الذي يسأل عنه؟ وبأي حجة يسأل؟ إذا كانت نفسه الكريمة حجة الحجج، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قوله (وفي دعاء الأحياء وصدقتهم منفعة للأموات):

اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بطرق عديدة، ذكر المصنف منها طريقتين: **أحدهما**: دعاء المسلمين واستغفارهم للأموات لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وكذا الأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة، وكذا الدعاء عند الدفن، والدعاء عند زيارة القبور لينتفع بها المقبور.

وثانيهما: الصدقة وإنفاق المال للميت، أي: العبادة المالية لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في من تصدق عن أمه بعد إذن رسول الله ﷺ أنه يصل إليها أجرها[(١)]،

(١) في حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: «إن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي افتُلتتْ نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها، قال ﷺ: «نعم» أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: موت الفجأة البغتة: ١٣٨٨، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه: ٢٣٢٦.

وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيْبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ ....

وأمثال ذلك كثيرة في السنة، والطرق الباقية في «التتمة».

قوله (والله تعالى يستجيب الدعوات):

لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، والدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، حتى فهم هذه النكتة الكفار أيضًا في حالة الاضطرار، كما أخبر الله سبحانه عنهم في قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وأخبر عن الناس عامة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ [يونس: ١٢]، وقال النبي ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله، يغضب عليه**»[1]، على عكس المسؤولين من الناس فهم يغضبون بالسؤال، وأنشد منشد[2]:

اللهُ يغضَبُ إنْ تركتَ سُؤالَه ... وَبُنَيَّ آدمَ حينَ يُسأل يَغضَبُ

قوله (ويقضي الحاجات):

لقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، ولقوله تعالى: ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] كما مرَّ.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء: ٣٣٧٣، وابن ماجه في أبواب: الدعاء، باب: فضل الدعاء: ٣٨٢٧، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وهو الخزيمي، كما في «العزلة»: صـ٧٨ للحافظ أبي سليمان البستي الخطابي، المتوفى ٣٨٨هـ.

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ وَلَا غِنًى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ ....

وتثبت منه ضرورة اختيار الأسباب، فإن الدعاء أيضًا من أسباب النجاح وحصول المطالب بل أقوى الأسباب، فالأسباب لا بد منها في عالم الأسباب، فإن الشريعة لا تعطلها ولا تجعلها مدارًا مؤثرًا بالذات، فالالتفات الكلي إلى الأسباب بالاستقلال: شرك في التوحيد!

وإلغاؤها كلية نقص في العقل، والإعراض عنها رأسًا قدحٌ في الشرع، فالاستغناء المطلق عن الأسباب أنانية، والانهماك المطلق فيها ذلة، واختيارها في الجملة مع التوكل على الله عبدية.

قوله (ويملك كل شيء ولا يملكه شيء):

لقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠]

قوله (ولا غنى عن الله طرفة عين):

لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥]، والخلق هو المحتاج إلى الله في وجودِه وبقائِه، وحياتِه وموتِه، ورزقِه وكسبِه، وفي جميعِ حركاتِه وسكناتِه في جميعِ العوالمِ، فكيف يستغني المحتاج المطلق عن الغني المطلق وهو المالك القدير الخالق الخبير جلَّ ذكره؟ فمن استغنى عنه فمعناه أنه عدِم وفني، ومُحي وجودُه.

وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى ....

قوله (وكان من أهل الحين):

والحين: بالفتح الهلاك(١).

قوله (والله يغضب):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

قوله (والله يرضى):

لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، ولقوله تعالى في الصحابة رضي الله عنهم: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والمذهب المنصور: إثبات صفة الغضب والرضى، والعداوة والولاية، والحب والبغض ونحو ذلك لله تعالى، كإثبات السمع والبصر، والحياة والقدرة، والعلم والكلام وغيرها، وهي حقيقة فيه تعالى لا مجاز.

لكن لا ندري كيفيتها ولا يجوز التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، فالغضب والرحمة وغيرهما وإن أطلقت على الإنسان كما تطلق على الله جل ذكره، لكن هذا الاشتراك لفظي لا من حيث المعنى، فيثبت معنى الرضا والغضب فيه جل ذكره كما يليق بشأنه.

---

(١) انظر: «مختار الصحاح»: صـ٨٦.

لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ....

هذا غضَبُ مالكٍ خازن النار، وغضبُ الملائكة على المنكرين لا يجب أن يكونَ مماثلًا لغضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاطِ الأربعةِ(١)، حتى تغْليَ قلوبُهم دماءً كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فما ظنك بغضب الله اللطيف الخبير المنزه عن الجسم وخواصه، والمقدس عن الروح ولوازمه، سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح؟!

قوله (لا كأحد من الورى):

لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، فكما أن سمعَه وبصرَه ليس كسمعِ أحدٍ وبصرِه من الورى، فكذا رضاؤه وغضبه ليس كغضب أحد ورضائه من الورى.

قوله (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ):

لأن الله أحبهم لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وكل محبوب لله لا بد أن يكون محبوبًا للخلق، ولأن محبتهم من آثار محبة النبي ﷺ، لقوله ﷺ: **«فمنْ أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومنْ أبْغضهم فبِبُغضي أبغضهم»**(٢)، فكل من يحب رسول الله ﷺ لا بد أن يحبهم، ولا يمكن أن لا يحبهم.

---

(١) الأخلاط الأربعة هي: المرة الصفراء، والمرة السوداء، والبلغم، والدم. ويقال أنها: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، ولعل الأول أصح.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: فيمن سب أصحاب رسول الله ﷺ: ٣٨٦٢، من حديث سيدنا عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ ....

قوله (ولا نفرط في حب أحد منهم):

لأن الإفراط والتفريط من الغلو، وهو منهيٌّ عنه في جميع شعب الدين، ومنها حبهم لقوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

فالروافض غَلوا في محبة أهل البيت، والخوارج غلوا في عداوتهم، وأهل السنة على الحق والاعتدال؛ يحبونهم كلَّهم بلا تخصيص أحدٍ منهم، لا يغلون في المحبة ولا يقولون إلا الحق، فلا يُطرون في مدحهم بأنهم معصومون مثل الأنبياء، ولا يقولون: إنهم كانوا رجالًا كأمثالنا خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وأشار عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هذين الفرطين، فقال: «يهلك فيَّ رجلان محب مفرط، يقرطني بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبْهتَني»[(١)].

يقرطني أي: يمدحني، ويبهتني أي: يفتري علي.

قوله (ولا نتبرأ من أحد منهم):

كما فعلت الروافض فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت أحد حتى يتبرأ عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والخوارج يقولون عكسه: بأنه لا يتولى الشيخين أحد حتى يتبرأ عن علي وعثمان وأهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم واجبو القتل عندهم.

وأهل السنة أهل الحق، يوالونهم كلهم جميعًا وينزلون منازلهم التي يستحقونها،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٣٧٦، والحاكم في المستدرك: ٤٦٨١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ وَنُثْبِتُ ....

وإجماعهم حجة قطعية، يكفر من ينكرها، لأن قلوبهم ممتحنة للتقوى كما نصَّ عليه القرآن بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، وما قاله لأحدٍ من غيرهم من حيث الطبقة.

قوله (وحبهم دين وإيمان وإحسان):

لأنه هو مقتضى النصوص الشرعية التي وردت في مناقبهم والتوصية بهم بالخير، فدخل حبهم في مسمى الإيمان.

وأيضًا هو صريح في قوله ﷺ: **«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضَهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»**[1].

ولمَّا كان حبهم بحب النبي ﷺ، وحبه أصل الإيمان، فصار حبهم بواسطة حبه ﷺ من الإيمان بحسب الاستدلال، لكنه حقيقة في المؤمن بحسب الحال، ومزيد أسباب محبتهم من النصوص القطعية في «التتمة».

قوله (ونثبت [الخلافة]):

ذكر المصنّف مسألة الخلافة وعدها من العقائد، وكان ذلك حقها؛ فهي من العقائد الضرورية لأهميتها في الدين، فإنها أساس سياسة الدين ومبنى مباني الاجتماعية في الإسلام، فإن لها لشأنًا عظيمًا في الإسلام، مع قطع النظر عن منافعها

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ: ٣٨٦٢، من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

....

وبركاتها، لأنها نيابة الحق في عباده وخلافته في أرضه، فهي عهدة جليلة مع قطع النظر عن آثارها منتقلةً من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا ﷺ ولأنها تمكين في الأرض، فشوكة الإسلام منوطة بقيامها، فإنها محافظة للدين وناصرة للحق المبين، فلولا الخلافة لفعل بالإسلام من شاء ما شاء، لا مانع له.

وأيضًا فإن الخلافة نقطة مركزية تجذب كمالات الغيب، ونقطة ظهور الكمالات الإلهية في عباده، لأن الخليفةَ لا يكون خليفةً إلا بترشيح كمالات الأصل فيه، لا بفرض الفارض ولا بترشيح أهل الرسوم بانتخابه الرسمي.

وإن لم ينزل فيه كمالات الغيب لا يمكن أن يكون هو نائبه، فخليفة الله يكون مركزًا لجذب الكمالات الإلهية ومهبطًا لورود كمالاته.

فالنتيجة واضحة، لأنه إذا لم تكن الخلافة في الأرض يبقى المسلمون فوضى، ولا تنزل الكمالات الاجتماعية الغيبية فيها، بل كمالات الإسلام الخاصة الحادثة على جميع الأمة، فإنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بالإمام، فأي عظمة أعظم من هذه العظمة؟ وأي واجب أوجب من إقامة الخلافة في العالم؟ وكفى بها قدرًا ومنزلةً!

وأيضًا لها خواص وآثار، وصفات ومقتضيات، وأركان وغايات، ولها تأثير عظيم في النفوس، يتبدل منها الجو ويتنور القلوب بالأمن والأمانة، والسِلم والسَّلامة، والإيمان والديانة، وبها يأمن الناس الفتن ـ ما ظهر منها وما بطن ـ، وهذه الحقائق لا تنكشف إلا باكتشاف ما فيها من التأثيرات ووجوه التأثير فيها.

وأيضًا فإن الملوكية والخلافة كانتا متشابهتين صورةً واسمًا، لأن في كلتيهما

....

معنى الشوكة والعظمة والقوة مشتركٌ، فاختار الناس بعد انقضاء قرن الصحابة الملوكية باسم الخلافة؛ لحصول الرئاسة والشوكة عامة.

فأبقوا اسمها وأفنوا حقيقتها طمعًا في الشرف والمال، وهما ذئبان جائعان لقطيع الغنم، فأقاموا رئاستهم باسم الخلافة أو بالحكومة الإسلامية، واختاروا اسم العدل والأمن وتقوية الدين لتصريف وجوه الناس إليهم، لكن ارتكبوا على اسمها الظلم والفساد، والخدع والمكر السيء. ولما كانت أغراضهم مختلفة متضادة حسب دواعي نفوسهم الإمارة، فتحاربوا بينهم لحصول السيادة أو لبقائها، ألبسوها لبسة الدين، وألقوا على صنائعهم ستور العقائد، بنسبها إلى الخلافة، وألزموها على الخلق، فصاروا بهذه الاعتقادات المتضادة فرقًا متفرقة وأحزابًا متحزبة، على عنوان الخلافة والإمامة، وجعلوا معناها على حسب مرادات أنفسهم وأهوائهم، فنسوا حظها من تقوية الحق، ونصرة الدين، وتنفيذ أمر الله المتين، واستيصال المنكر المبين، ووقعوا وأوقعوا في المهالك والمفاسد والضلال في عقائدهم وأعمالهم.

فأصبحت مسألة الخلافة معرَكة الآراء، مزلة الأقدام، ومركز الحروب والجدال والقتال، وصار الناس منها في همِّه وغمِّه، لا سيما هذا الزمان في ظلمات منها بعضها فوق بعض، إذا أخرج يدَه لم يكد يراها، فلا بد لنا أن نذكر بعض مقاماتها منقحة، وبيان بعض مبانيها السياسة، والفرق بين الخلافة والملوكية ليرتفع حجاب التلبيس عنه، حسب مناسبة المقام بقدر ما يحتاج إليه.

ومن البين أن الفرق بين الخلافة والملوكية ومعانيها لا يتأتى إلا ببيان خواصهما وآثارهما وغاياتهما من الكتاب والسنة، ولعله لا يكفي فيه الاقتصار على عنوان

الخلافة أو ذكرها في سلسلة العقائد الإسلامية، كما اقتصر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، إلا أنه اقتصر وقنع بذكر عنوانها وتعديدها من العقائد، ولم يتعرض لبيان حقيقتها ومعانيها، نظرًا إلى هذا الوجيز الذي هو فهرس لعنوانات العقائد بغير تفصيلاتها، أو نظرًا إلى زمانه وأهل زمانه، لأنهم يعرفون معاني الخلافة وهي متعارفة في قلوبهم، والزمان زمان العلم والفراسة لا حاجة إلى تفاصيلها المتعارفة في القلوب.

ولكن لما كان زماننا غير زمانه رَحِمَهُ اللَّهُ، والزمان زمان الجهل والفساد، وزيغ القلوب، وكدورة الأرواح، ودورة الانتفاع باسم كل خير من كل شر، وتلبيس المنكرات بأسماء المعروفات؛ فلزم أن توضح معنى الخلافة والملوكية بالتمييز بين مقاصدهما وآثارهما في ضوء الكتاب والسنة، ليرتفع حجاب التلبيس عن الخلافة وليقع الحق، وليبطل ما كانوا يعملون.

فأردتُ أن أبين ما في الخلافة من شؤونها على سبيل الاختصار، ولكن كان مقتضاه أن يزاد منا متن وجيز على متن المصنف على مناوله، فألحقته بآخر الكتاب وجعلتُه تتمة وتكملة وسميته بـ «**مباني الخلافة والسياسة الدينية وغاياتها**».

قوله (الخلافة):

قوله (نثبت الخلافة) أي: مطلق الخلافة وجنسها، وهي على نوعين، أحدهما: خلافة الله في العباد وهي لأنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فأول خلفاء الله في أرضه رسلُه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لقوله تعالى في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ولقوله تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ولقوله تعالى في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وجعل النبي ﷺ خاتم الخلفاء

بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ....

مطاعًا لجميع الخلائق، مقتدًى به إلى يوم القيامة، وجعل طاعته ﷺ طاعةً لنفسه الكريمة، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وجعل بيعته ﷺ للناس بيعة يده لهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وجعل رميه ﷺ رمي نفسه الكريمة فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وهذه شواهد ودلائل نيابته لله تعالى وخلافته له في كل الأمور، فهو خاتم النبوة ﷺ وخاتم هذه الخلافة، ولقوله ﷺ: «كنت إمام النبيين»(١)، والنبيون خلفاء الله، فهو إمام الخلفاء ولقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الله فضّل محمدًا ﷺ على الأنبياء، وعلى أهل السماء»(٢)، والأنبياء خلفاء الله فهو أفضل الخلفاء صلوات الله وسلامه عليه، ألف ألف صلاة وسلام.

قوله (بعد رسول الله ﷺ):

وهو النوع الثاني من الخلافة، وهي خلافة الأنبياء في اسمهم لورثتهم الصالحين، لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: في فضل النبي: ٣٦١٣، وابن ماجه في أبواب: الزهد، باب: ذكر الشفاعة: ٤٣١٤، من حديث سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ، الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي رحمه الله، المتوفى ٢٥٥هـ في «السنن»: ٤٧. وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ١١٦١٠، والحاكم في «المستدرك»: ٣٣٧٨، والهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ١٣٩٢٧، بلفظ: «إن الله فضل محمدًا ﷺ على أهل السماء، وعلى أهل الأرض». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان، وهو ثقة.

....

﴿ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥]، فلقوله جل ذكره: ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، تثبت خلافة الأنبياء في ورثتهم قبل رسول الله ﷺ كما شهد بها اللهُ جل ذكره في مواضع، فقال في قوم نوح عليه السلام الذي هو أول الرسل: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ [يونس: ٧٣]، وقوله تعالى في قوم هود عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٧٤]، ولقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام بعد إعطاء الإمامة له: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤]، أي: هذا المنصب لذريتك الصالحين لا للظالمين.

فكذا بعد رسول الله ﷺ انتقلت خلافته إلى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، كما تدل عليه كلمة القرآن: ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وهم الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الخلفاء المهديين، ولا تقوم الساعة حتى يظهر اثنا عشر خليفة في الأمة لقوله ﷺ: «**لا يزال أمر الناس ماضيًا، ما وليهم اثنا عشر رجلا**»[1]، فأول الخلفاء الراشدين: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وآخر الخلفاء في الأمة: المهدي رضي الله عنه يظهر في آخر الزمان، كما وردت الإشارة إليه من رسول الله ﷺ في قوله: «**كيف تهلك أمة أنا أولها، والمهدي وسطها، والمسيح آخرها**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش: ١٨٢١، من حديث سيدنا جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه التبريزي في «مشكاة المصابيح»: ٦٢٨٧، من حديث سيدنا زيد العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما، وابن عساكر في «معجم الشيوخ»: ٥٤٤، من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

أَوَّلًا لِأَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَفْضِيْلًا لَهُ وَتَقْدِيْمًا عَلَى جَمِيْعِ الْأُمَّةِ ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُوْنَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّوْنَ وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِيْنَ سَمَّاهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ نَشْهَدُ لَهُمْ

قوله (أولا: لأبي بكر الصديق رضي الله عنه):

وأولية خلافته رضي الله عنه إجماعية إلا أن في طريق انعقادها أقوالًا، فبعضهم يقولون: إنها بالنص ولا شك أن إشارات النصوص واضحة، وبعضهم يقولون: إنها بالانتخاب كما وقعت الواقعة بأسبابها في الظاهر، ويمكن الجمع بينهما بأنها انعقدت بالانتخاب؛ والانتخاب كان مبنيًا على إشارات النصوص، فهي منصوصة وانتخابية معًا لتوافق النص والانتخاب.

قوله (تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة):

لقول علي رضي الله عنه: «أفضل هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر»[1]، فبالترتيب الذي انعقدت الخلافة فيهم من انتخاب الصحابة رضي الله عنهم، هو ترتيب التفضيل بينهم، وكلهم أفضل من جميع الأمة. والفرق بين الخلافة والملوكية في «التتمة».

قوله (وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ):

لقوله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة،

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: ٨٣٦، من حديث سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه عن سيدنا علي رضي الله عنه موقوفًا. وأحاديث النبي ﷺ في هذا المعنى كثيرة، منها: حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر، وعمر، وعثمان، ويسمع ذلك النبي ﷺ، ولا ينكره». أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ١٣١٣٢.

بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ وَهُمْ أَبُوْ بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُوْ عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُمْ أُمَنَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رضي الله عنهم أَجْمَعِيْنَ وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ ....

وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[(١)]، وفضائلهم رضي الله عنهم أكثر من أن يُحصى.

قوله (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ):

لأن النبي ﷺ قال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي»[(٢)]، فمخالفته بعد دعوى الإسلام نفاق، أشد النفاق!

قوله (وأزواجه وذرياته):

لقوله ﷺ في حديث طويل: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[(٣)]، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عوف الزهري: ٤٠٨٠، وأخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في الخلفاء: ٤٦٤٨، وابن ماجه في أبواب: السنة، باب: فضائل العشرة رضي الله عنهم: ١٣٣، من حديث سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه ولكن في روايته لم يذكر سيدنا أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من العشرة.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ: ٣٨٦٢، من حديث سيدنا عبد الله بن مغفل رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ٢٤٠٨، من حديث سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه.

فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّـفَاقِ ....

«ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته»[١].

قوله (فقد برئ من النفاق):

لأن سوء الظن بالصحابة وسبهم، وإطراء المدح في أهل البيت برياء وسمعة ورسم، هو حاصل الرفض وأصله النفاق، لأنه أسسه منافق زنديق وهو ابن سبأ اليهودي[٢]، فمن اقتفى آثاره يغرق في النفاق، ومن برئ منه، وأخلص القول في أهل البيت في الحدود الشرعية، وأحسن الظن بهم؛ فقد برئ من النفاق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنت النبي ﷺ: ٣٧١٣.

(٢) وهو عبد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء، الذي قام بدور خطير، وبذر الشر المستطير بين المنافقين والشعوبيين، ومن في نفسه أهواء وأغراض. أظهر الإسلام في عهد سيدنا عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأظهر الصلاح والتقرب من سيدنا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وطاف بلاد المسلمين ليفتنهم عن طاعة الأئمة فبدأ بالحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة. ثم دخل دمشق فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه فذهب إلى مصر واستقر بها، وأخذ يراسل وكاتب بعض المنافقين والحاقدين الناقمين على خليفة المسلمين، وجمع حوله الأعوان، ونظمهم، وأخذ يبث بينهم معتقده الخبيث. وذر بهم على روح التمرد والإنكار حتى تجرؤوا على قتل ثالث الخلفاء، وصهر المصطفى ﷺ، جامع القرآن سيدنا عثمان بن عفان، شهيد الدار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولم يرعوا حرمة حرم رسول الله ﷺ ولم يبالوا بتلاوته للقرآن ولا الشهر الحرام. ولم ينكر هذا من له حظ من علم، ومسكة من عقل إلا في العصر الحاضر من هذا القرن، وهم نفر قليل. للتفصيل انظر: «ابن سبأ حقيقة لا خيال». وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ابن سوداء، كان أصله ذميا فأظهر الإسلام وأحدث بدعا قولية وفعلية ـ قبحه الله». انظر: «البداية والنهاية»: ١٠/٢٧٨.

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّالِحِيْنَ السَّابِقِيْنَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُوْنَ إِلَّا بِالْجَمِيْلِ ....

قوله (لا يذكرون إلا بالجميل):

لِاتباع قول النبي ﷺ: «**أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم**»(١)، ولقول النبي ﷺ: «**النجوم آمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا آمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي آمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»(٢)، ولذا ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الصحابة كلهم عدول، فحبهم دينٌ وبغضهم نفاقٌ، وهذا هو سبيل المؤمنين.

وبعد قرن الصحابة رضي الله عنهم قرن التابعين، يجب على الأمة إكرامهم بعد الصحابة من العلماء والصلحاء، لشهادة النبي ﷺ بغيرهم بعد الصحابة، في قوله: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٣).

وأيضًا أثنى ﷺ على علماء الأمة ثناءً جميلًا بقوله: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**»(٤)،

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ عبد الرزاق في «المصنف»: ٢٠٧١٠، والطبراني في «المعجم الأوسط»: ٦٤٠٥، والتبريزي في «مشكاة المصابيح»: ٦٠١٢. وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: ٩١٧٨ دون: «فإنهم خياركم». وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «احفظوني في أصحابي»: ٢٣٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة: ٢٥٣١، من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد: ٢٦٥٢، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم: ٦٤٦٩، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم: ٣٦٤١، والترمذي في أبواب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٢٦٨٢، من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه.

وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوْءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيْلِ وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَنَقُوْلُ: ....

وأيضًا دعا لأهل الأثر والنظر بقوله ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[1]، فيجب على الأمة توقيرهم وتعظيمهم والثناء الحسن عليهم وذكرهم بالجميل.

قوله (ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل):

لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، سبيل أمثال ابن سبأ وغيره من المنافقين، لا سبيل المؤمنين المخلصين.

قوله (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على الأنبياء):

لأن النبوة أصل الولاية، ينشأ الولي من النبي ﷺ، فإنه لا يكون الوليُّ وليًّا إلا باتباع الني ﷺ، وليس أن لا يكون النبيُّ نبيًّا إلا باتباع الولي، وينشأ النبي من الولي، ففي الأمة ألوف من الأولياء، أهم كانوا يتبعون النبي ﷺ أم كان النبي ﷺ يتبع أولياءه؟ والأصل المتبوع يكون أفضل من الفرع التابع له طبعًا.

وأيضًا النبوة وهبية وانتخاب من الله، وهو أعلم حيث يجعل رسالته. والولاية كسبية وإنابة من العبد إلى الله يهدي إليه من ينيب لمن يشاء، والاجتباء من الله أفضل من إنابة العبد، فالنبي أفضل من الولي.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ٢٦٥٧، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ورُوي الحديث بلفظ آخر عند أبي داود: ٣٦٦٠، والترمذي: ٢٦٥٦، وابن ماجه: ٢٣٠.

....

وأيضًا النبوة قد ختمتْ، لا يمكن أن يكون بعد الخاتم نبيٌّ، والولاية باقية إلى يوم القيامة، ويمكن أن يكون ألوف من الأولياء في الأمة. فما هو خاص لأخص الخواص لا يمكن لغيره أن يكون أفضل ممن هو عام، فيمكن لجميع الناس بعد الإيمان.

وأيضًا فإن النبي ﷺ واجب الاتباع، لا ينجو أحد إلا بعد اتباع النبي ﷺ والولي ليس كذلك، فمن كانت النجاة موقوفة عليه يكون أفضل لمن ليس كذلك.

وأيضًا يكون النبي ﷺ معصومًا قبل النبوة وبعد النبوة، والولي ليس كذلك. لا قبل الولاية ولا بعدها، فكيف يكون غير المعصوم أفضل من المعصوم؟

وأيضًا كان أصحاب النبي ﷺ كلهم مقدسين من حيث الطبقة، بشهادة القرآن بقوة تأثير النبي ﷺ في القلوب والأرواح. والولي ليس بهذه المثابة، فكيف يكون ضعيف التأثير أفضل من قوي التأثير؟

وأيضًا الولاية عامة لجميع المتقين، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، بل لجميع المؤمنين حسب درجاتهم، والنبوة بعدد خاص محدودة في أخص الخواص من البشر، فأهل الإيمان كلهم أولياؤه حسب درجات الإيمان، وليس كلهم أنبياء. فما هو خاص لأخص الخواص من البشر، كيف يكون مفضولًا مما هو عام لجميع الناس بعد الإيمان؟

ولكل من هذه الوجوه شهادات في الكتاب والسنة فدعوى أفضلية الولاية على النبوة لا تطابق النصوص الصريحة.

نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ ....

قوله (ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء):

لقول النبي ﷺ: «**أنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر**»[(١)]، والأولياء كلهم إما في الأولين أو في الآخرين، فالنبي ﷺ أكرم وأفضل من جميع الأولياء؛ بل من جميع الأنبياء، فدعوى المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ أن نبيًّا واحدًا أفضل من جميع الأولياء؛ حقٌّ صريحٌ، ومدلولٌ للنصوص الواضحة.

قوله (ونؤمن بما جاء من كراماتهم):

والكرامة خرق العادة، كما أن المعجزة من الخوارق.

والمعجزة تظهر على أيدي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والكرامة على أيدي الأولياء، وهي كالمعجزة في كونها فعلًا من أفعال الله، لا من في فعل العبد. ولا هي في اختيار الولي يظهرها حيث يشاء، بل يظهرها الله على يديه إظهارًا لشرفه وفضله على الناس حسب ما تقتضي المشيئة الإلهية.

فالخارق إن كان مع الدين فهو الكرامة، وإن كان مع عدمه فهو الاستدراج أو التخييل، لا قيمة له.

فالخارق في نفسه من حيث كونه خارقا ليس معيدًا للقبولية عند الله، أو الرد من الله، لأنه لا يشترط فيه الإيمان أيضًا، فأصل القبولية عند الله هو الدين والاستقامة عليه، لا الخوارق المحضة.

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ: ٣٦١٦، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب

....

وبالجملة فإن الكرامة من آثار معجزات الأنبياء، كما أن علم العالم التقي من آثار علم الأنبياء، وكما أن حسن الأخلاق في أهل الخلق فرع أخلاق الأنبياء عليهم السلام، والكرامات من المشاهدات لا تحتاج إلى الدليل، أما جنسها بحقيقتها وهو خرق العادة فهو ثابت بالكتاب والسنة.

والمحدثون وضعوا في كتبهم باب الكرامة ورَوَوا عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأولياء كرامتهم، كقول عمر: «يا سارية الجبل!»[(١)]، وإضاءة عصا أسيد بن حضير رضي الله عنه وعباد بن بشر رضي الله عنه في ليلة شديد الظلمة[(٢)]، وكأضياف أبي بكر الصديق أكلوا عنده فلا يرفعون اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها[(٣)]، وسمع سعيد من المسيب التابعي رضي الله عنه في أيام الحرة حين لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ثلاثة أيام فيسمع همهمة من قبر النبي ﷺ وبها يعرف وقت الصلاة[(٤)]، وأن سفينة مولى رسول الله ﷺ ضل عن الطريق وإذا هو بالأسد فنادى يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فأرني الطريق، فالأسد مشى في جنبه وهداه إلى الطريق[(٥)]، وأمثالها كثيرة مروية من السلف، والكتب مملوءة منها فنؤمن بها ونصدق بها.

---

(١) رواه أحمد في «فضائل الصحابة»: ٣٥٥، وابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة»: ٣/ ٥، وحسن إسناده.

(٢) رواه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما: ٣٨٠٥، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وأحمد في «المسند»: ١٢٤٠٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام: ٣٥٨١، حديث سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٤) رواه الدارمي في «السنن»: ٩٤، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»: ٥١٠.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك»: ٦٧١٢، والتبريزي في «مشكاة المصابيح»: ٥٩٤٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح.

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ....

قوله (ونؤمن بأشراط الساعة):

وفيها حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنها لن تقوم (أي: الساعة) حتى ترون قبلها عشر آيات ـ فذكر ـ الدخانَ، والدجالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، خسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[(١)].

قوله (من خروج الدجال):

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافة**»[(٢)]، وفي رواية: «**ما من نبي إلا وقد أنذر قومه الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر**»[(٣)]، وفسره في رواية أي: «**كافر**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة: ٢٩٠١.

(٢) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾: ٧٤٠٧، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم، ومسيح الدجال: ١٦٩، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه: ٢٩٣٣، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾: ٧٤٠٨، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَنُزُوْلِ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَخُرُوْجِ يَأْجُوْجَ وَمَأْجُوْجَ وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ....

قوله (ونزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ):

لقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾»(١).

فالدجال: مسيح الضلالة، وعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: مسيح الهداية، يقاوم الدجال ويقتله، والمسيح ينزل من السماء في بيت المقدس.

قوله (وخروج يأجوج ومأجوج):

لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦].

قوله (ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها):

لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمراد من بعض الآيات:

---

(١) أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٣٤٤٨، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ: ١٥٥، من حديث سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ ....

طلوع الشمس من مغربها، كما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ[(١)].

قوله (وخروج دابة الأرض):

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ [النمل: ٨٢]، وصفتها في الأحاديث مفصلة[(٢)].

قوله (ولا نصدق):

لأن كلها من التخييلات، وفن من الفنون. يكون فيها أخبار عن الغيب، وإنما الغيب لله، فمعيار ردها وقبولها هو الكتاب والسنة، إن وافقتْهما فلا ننكر، وإن لم توافقهما فنرد على الجدار، وليت شعري: كيف يلتفت إليها من عنده علم الكتاب؟!

قوله (كاهنا ولا عرافا):

لحديث النبي ﷺ: «من أتى كاهنًا أو عرافًا ـ وفي رواية: فسأله[(٣)] ـ فصدقه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: لا ينفع نفسا إيمانها: ٤٦٣٥، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١٥٧.

(٢) من صفاتها: إن رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا، تخرج ومعها عصا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخاتم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ. «تفسير ابن أبي حاتم الرازي»: ١٦٥٩٧، و«تفسير ابن كثير»: ٦/ ٢١٤.

(٣) وهو بهذا اللفظ في «مسند إسحاق بن راهويه»: ٤٩٦.

....

بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١] لأن فيها التباسًا، فإذا كانت هذه حالة السائل فكيف بالمسؤول؟ قال الصحابة رضي الله عنهم في حقيقة ذلك: «إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًا» فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق، يخطفها من الجني، فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة**»[٢].

فثبت أن مَن يلبس الحق بالباطل فهو باطل؛ ليس بشيء من الحق، وفي هذا المعنى وجميع أمثال هذه الفنون التي تكتسب بالارتياض بالتخيل، والاستمداد من الشياطين، والانهماك في الأوهام والخيالات. فهذه ثمرات القوة المتخيلة النفسانية، لا القوة اليقينية الروحانية الإيمانية، مثل ما تعاطاه المنجم وصاحب الأزلام، والضارب بالحصى والذي يخط بالرمل، وهكذا الاعتماد على الأنواء بقولهم: مطرنا بنوء كذا.

والطيرة ردها القرآن [بالآيات] الكريمة: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال جل ذكره عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: ٩٥٣٦. والزيادة: «فقد سأله» أخرجه الإمام إسحاق بن إبراهيم راهويه رحمه الله، المتوفى ٢٣٨هـ في «مسنده»: ٥٠٣، والإمام أبو يعلى الموصلي رحمه الله، المتوفى ٣٠٧هـ في «مسنده»: ٥٤٠٨.

(٢) أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ في كتاب: الطب، باب: الكهانة: ٥٧٦٢، ومسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان: ٢٢٢٨، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وَنَـرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا ....

ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨ – ٨٩]، نظر إبراهيم عليه السلام إيهامًا لهم وتورية لقومه، ليفهموا أنه يعلم قواعد النجوم، فإنهم كانوا يزعمون الكواكب متصرفة بذاتها في الحوادث، فرد عليهم بكسر الأصنام إظهارًا بأنها جامدة، لا شعور لها ولا طاقة بها، مع أنها مصنوعة بأيديكم فقال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥ – ٩٦]

وبالجملة مدار هذه الفنون ليس على اليقين، بل على التخمين أو الاعتماد على قواعد الفن، وهي ظنية وأساس الدين هو اليقين، «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[١].

أما الرقية فلا بأس بها، ما لم تكن شركًا واستفادةً من الجن، فقد ذمها الله بقوله في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦]، فاستماع الإنسي للجني في قضاء حوائجه وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، فهو من أبواب الشرك، يجب غلقها بل سدها لأنها يتطرق إلى الاعتقاد بأن في الباطن طريقًا موصلًا إلى الله غير طريقة الأنبياء عليهم السلام، وهذا تخريب للدين القويم بالزعم السقيم الصدور عليهم، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قوله (ونرى الجماعة حقا وصوابا):

لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾

(١) حديث، أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: الصبر والشكر: ٢٦٨٧، والنسائي في كتاب: الأشربة، باب: على ترك الشبهات: ٥٧١١، من حديث سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا ....

[آل عمران: ١٠٥]، ولقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا إسلام إلا بجماعة»[١]، وذم الله المفرقين الملة بقوله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

أما الاختلاف قبل مجيء البينات أو قبل وضوحها، فليس من الزيغ والفرقة؛ بل هي من الرحمة كاختلاف الأئمة المجتهدين في الفرعيات الفقهية، واختلاف المفتين[٢] والعلماء في ترجيحاتها، فهو اختلاف مبني على الحجج القويمة من الكليات الشرعية بعد الاتحاد في الأصول والمباني، فهو الرحمة ومستثنى عن الذم والنهي وخلافه شقاق وفتنة منهي عنه لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦].

قوله (والفرقة زيغا):

لأن بهذا الزيغ وقعت الأمة في الفتنة بغيًا بينهم، وتفرقت على ثنتين وسبعين ملةً كلها في النار إلا واحدة، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وهذه البغاوة هو الزيغ.

قوله (وعذابا):

لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ

(١) أخرجه الدارمي في السنن: ٢٥٧، من حديث سيدنا تميم الداري عن سيدنا عمر بن الخطاب موقوفًا. وأحاديث النبي ﷺ في هذا المعنى كثيرة.

(٢) في (أ): المفاتي

وَدِيْنُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ ....

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥].

قوله (دين الله في السماء والأرض واحد):

لأن مالكهما وحاكمهما وخالقهما واحدٌ، له ملك السماوات والأرض، ولم يكن له شريك في الملك، فمن يكون له شريك في دينه؟ فدين الله واحد في الأرض وفي السماء.

قوله (وهو دين الإسلام):

أي: دين الطاعة والاستسلام، فكل الخلق مسلم له بهذا الدين تكوينًا وتشريعًا، سواء كان بشرًا أو ملكًا أو جنيًّا، حيوانًا كان أو نباتًا أو جمادًا، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

وأيضًا دين الإسلام هو العبدية المطلقة، وهي واحدة في السماء والأرض، لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]، فدينه الإسلام أيضًا واحد في الأرض وفي السماء، فسكان السماء هم الملائكة وهم عباد له مطيعون مسلمون له جل ذكره، لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٧]، ولقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وأما من سكان الأرض فأفضلهم والمتصرف في جميعهم هو البشر، فمنهم من آمن فهو مسلم له اختيارًا، ومن لم يؤمن فهو مسلم تكوينًا، لا اختيار له بالانحراف عمّا يقضى عليه من تكوينه.

وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ ....

وأيضًا دين سائر الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح إلى سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين هو الاسلام، كما نص عليه القرآن، فدين أممهم وأقوامهم أيضًا ينبغي أن يكون الإسلام لا محالة لأنهم يتبعون رسلهم في دينهم.

وأيضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] فكلمة (مَنْ) عام وشامل للكل. وهذا الحكم بعمومه وإطلاقه لا يتقوم إلا بأن يكون الإسلام دينًا لكل أمة وقوم، ولكل زمان ومكان، ولكل من هو في هذه الأمة، أو في الأمم السابقة وهذا هو المدعى من أن دين الإسلام واحد في أرضه وسمائه.

قوله (وهو بين الغلو):

لقوله تعالى ردًا على الغلو: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧].

ولما عهد بعض الصحابة رضي الله عنهم بالغلو في الزهد بأن: لا نتزوج النساء، ولا نأكل اللحم، ولا ننام ليلًا، ولا نفطر نهارًا، وبعضهم: هموا بالاختصاء[1]، ولبس

(١) الاختصاء: من الخصاء، وهو قطع الخصيتين اللتين بهما قوام النسل أو تعطيلهما عن عملهما. وقد ذكرت في أحاديث متعددة، منها ما أخرجه البخاري عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ـ أي: يعطيها ثوبًا مهرًا ـ، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾» في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: ٤٦١٥.

وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ ....

المسوح(١)، فعاتب عليهم النبي ﷺ وقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢).

قوله (والتقصير):

لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٤ – ٧]، ولقوله تعالى﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١ – ٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، فالإسلام ليس هو الغلو ولا هو التقصير والتساهل، بل هو دين الاعتدال بين الغلو والتقصير.

قوله (والتشبيه):

لقوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]، فالله سبحانه يُحب أن يُوصف بما وَصف به نفسه الكريمة، من غير تشبيه فلا يقال هو سميع كسمعِنا، وبصير كبصرِنا!

قوله (والتعطيل):

لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

فالله سبحانه يُحب أن لا ينفي عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به أعرف

---

(١) والمسوح: جمع مِسْح -بكسر فسكون-، وهو كساء غليظ من شعر، يلبسه الرهبان للتظاهر بالبراءة والطيبة. انظر: «تاج العروس»: ٧/ ١٢٢، و«معجم اللغة العربية المعاصرة»: ٣/ ٢٠٩٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح: ٥٠٦٣، ومسلم -واللفظ له- في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: ١٤٠١، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْيَأْسِ ....

الناس به؛ رسوله ﷺ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على التشبيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ رد على التعطيل.

قوله (وبين الجبر):

لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالعبد غير مجبور في أفعاله بل هو كاسب باختياره.

قوله (والقدر):

لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، فالعبد مخلوق نفسه ومخلوق أفعاله، لا هو خالق لنفسه ولا لعلمه. والقدر مسبوق بالخلق فمن لم يخلق لم يقدر شيئا.

ففي الآية الأولى [أي: البقرة:٢٨٦] ردٌّ على الجبرِ وفي هذه الآية ردٌّ على القدرِ، والإسلامُ بين الجبرِ والقدرِ، فالعبدُ مجبورٌ في الخلقِ ومختارٌ في الكسبِ.

قوله (وبين الأمن):

لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩]، وهو ردٌّ على الأمن والرجاء المطلق.

قوله (واليأس):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]، وهو رد على اليأس والخوف المطلق، فالإسلام بين الخوف والرجاء،

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ

والأمن واليأس، وهو الاعتدال! والأمة أمة العدل والوسط لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قوله (فهذا ديننا واعتقادنا):

أي: كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هاهنا، فهذا المجموع ديننا واعتقادنا، لأن كله من محكمات الكتاب والسنة وصريحهما، والمتوارث من سلفنا غير منقطع سلسلة، وسنده من أوله إلى آخره متصل.

قوله (ظاهرًا وباطنًا):

أي: علنًا وسرًّا؛ ظاهرًا بالإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وباطنًا بإذعان القلب وتمام الإيقان.

قوله (ونحن برآء إلى الله تعالى):

ذاهبين إلى الله خوفًا وطمعًا، راجين خائفين، غير آيسين ولا آمنين.

قوله (ويعصمنا من الأهواء المختلفة):

إشارة إلى أن انشعاب الفرق المتفرقة والأحزاب المتحزبة، حدث من الأهواء

....

والآراء والقياسات الرديئة، التي نشأت من العقل السقيم بمقابلة النقل الصحيح من الوحي، وتحكيم العقل على النقل.

واختراع الأصول باسم الأصول العقلية ضد أصول الشرع وكليات الدين، فجعلوها حجة على الشريعة، وبدلوا الشريعة على حسب ما اقتضت أصولهم المخترعة. فهذا هو منشأ حدوث الفرق الباطلة، من المشبهة والمعطلة، والمعتزلة والجهمية، والجبرية والقدرية، وكثير من الفرق المبتدعة منهم.

فالمشبهة: شبهوا الخالق بالخلق، فسلموا في الخالق صفات المخلوقين من الحركات الجسمانية، والعواطف النفسانية كاليهود، وقالوا: يلحقه الأمراض مثل المخلوق ومرض عينه ـ معاذ الله ـ وأن الملائكة حضروه للعيادة، وغيرها من الهفوات.

والمعتزلة: شبهوا المخلوق بالخالق، وسلّموا في المخلوق الصفات الخاصة للخالق، فجعلوا المخلوق خالقًا لأفعالهم، كالنصارى شبهوا المسيح برب المسيح فجعلوه إلهًا على قياس الشاهد على الغائب.

والجهمية: أظهروا نفي الصفات واعتقدوا التعطيل.

والجبرية: جعلوا العبد جمادًا لا يعقل، وأن فعل العبد عندهم بمنزلة طوله ولونه لا اختيار له فيه، وهم عكس القدرية.

فبعضهم قاسوا الخلق على الخالق، وبعضهم قاسوا الخالق على الخلق، بعضهم في الصفات وبعضهم في الأفعال، فغلا بعضهم في نفي القدر وبعضهم على عكس ذلك. فكلهم ضلُّوا عن سواء السبيل بأقيستهم المفارقة المخالفة لصريح النصوص وآثار السلف، فخالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، نعوذ بالله من هذه الخرافات.

وَنحْنُ بُرَآءُ مِنْهُمْ وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ أَرْدِيَاءُ وَبِاللهِ العِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قوله (ونحن برآء منهم، وهم عندنا ضلال):

إتباعًا لسنة الأنبياء ﷷ، فإنهم كانوا إذا يئسوا من هداية المنكرِين المصرِّين على الضلال، كانوا يتبرؤون منهم مع إعلان دينهم على رؤوس الأشهاد، كقوله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله تعالى عن نوح ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس: ٧٢]، وقوله تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

تمت التحشية ـ بعونه تعالى وتقدس ـ لست خلون من ذي الحجة سنة
تسعين وثلاث مائة وألف. وتليها تكملة متعلقة بمباني الخلافة.
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله
تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين، آمين!

محمد طيب غفرله
مهتمم دار العلوم ديوبند
٦/ ١٢/ ١٩٩٠م

مَبَانِي الخِلَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ الدِّينِيَّةِ وَغَايَاتِهَا

وَمِنِ اقْتِضَاءِ الْخِلَافَةِ الِاسْتِخْلَافِ وَهُوَ نَصْبُ الْإِمَامِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَسَبَ الِاسْتِطَاعَةِ لِأَنْ لَا يَبْقَى الْقَوْمُ فَوضًى وَانْتِخَابُ الْأَصْلَحِ ....

مباني الخلافة والسياسة الدينية وغايتها

قوله (وهو نصب الإمام على كل حال):

لقوله تعالى عن ملأ من بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. والملِك هنا بمعنى ذي سلطة ومنعٍ، لا بالمعنى المعروف من طلب سيادة على النفوس والجبر والتغلب، فإنها ليست بوراثة عن أب وجد، أو شعوب وقبائل، بل يستحقها من يصلح لها بمعيار الدين والديانة، والعلم والصيانة، بقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ولقوله ﷺ: **«من مات وليس له إمام، مات ميتة جاهلية»**[١]، وسؤال الصحابة عن النبي ﷺ: «من نؤمر بعدك يا رسول الله؟»[٢].

قوله (وانتخاب الأصلح):

ففيها الانتخاب لا التوريث، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٤٥٧٣، وأخرج مسلم في كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتجذير الدعاة إلى الكفر: ١٨٥١ عن سيدنا معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»**.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: ٨٥٩.

بِمِعْيَارِ الْعِلْمِ وَالْـحِفْظِ وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ لَا يَبْتَغِيهِ ....

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧﴾ [البقرة: ٢٤٧] فكلمة (مَنْ) عام، لا دخل فيه لتخصيص نسبٍ أو مالٍ أو قبيلةٍ أو طائفةٍ.

ولقوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي»(١) ففيها الانتخاب، ومعيار الانتخاب هو الصلاح والصلاحية، لا النسب والقبائلية.

قوله (بمعيار العلم):

ومعيار الصلاح في السياسة هو العلم بالسياسة مع الديانة، وقوة الحفظ للملك، وقوة الدفاع والمنع للأعداء، لقوله تعالى في طالوت على لسان داود عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فالأول إشارة إلى علم السياسة وشعورها، والثاني إلى قوة الدفاع والمنع.

قوله (وتفويض الأمر إلى من لا يبتغيه):

لقوله ﷺ: «**إنا والله لا نولي على هذا العمل - أي: الإمارة - أحدًا سأله، ولا أحدًا حرص عليه**»(٢). فإن الطلب من التهم، وعلامة أغراض النفس.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: إمارة العبد والمولى: ٦٩٣، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: ما يكره من الحرص على الإمارة: ٧١٤٩، ومسلم - واللفظ له - في كتاب: الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها: ١٧٣٣، من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

إِلَّا مَنْ يَطْلُبُهُ لِابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَالنَّاسُ يَعْرِفُونَ بِصِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَيَلْزِمُهُ الشُّورَى لِدَفْعِ الْاِسْتِبْدَادِ وَعَلَيهِ الْعَزِيمَةُ وَالتَّرْجِيحُ لِدَفْعِ الْاِنْتِشَارِ وَالْفَوْضَوِيَّةِ، وَالْقَانُونُ الْقَطْعِيُّ لِلتَّمَسُّكِ، ....

قوله (إلا من يطلبه لابتغاء مرضاة الله):

كما طلب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لقوة علمه بالسياسة، وقوة حفظه للملك ولأبناء الملك، لقوله تعالى فيه: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥ ﴾ [يوسف: ٥٥]، والناس كانوا يعرفونه بكمال صدقه وإخلاصه، وهو النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم[١].

قوله (ويلزمه الشورى):

لقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

قوله (وعليه العزيمة):

لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

قوله (والقانون القطعي):

وهو الكتاب والسنة، ثم التفقه والاجتهاد، على شرائطه لحديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال له النبي ﷺ حينما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟** قال: أقضي بكتاب الله، قال ﷺ: **فإن لم تجد في كتاب الله؟** قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ: **فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب الله؟**، قال: أجتهد رأي

(١) وهو يوسف، بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وَالْحُكْمُ بِالْعَدْلِ وَلَو عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الْقَوْمِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ....

ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: **الحمد الله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله**»[1]، ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩]، فإطاعة الله، وإطاعة كتابه، وإطاعة الرسول؛ إطاعة سنته، وإطاعة أولي الأمر؛ إطاعة أمرهم المستنبط من الكتاب والسنة.

وهذا هو القانون القطعي المنزل من الله، لا دخل فيه للرأي المجرد؛ لا لشبهة، ولا لشك، ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢]، فلا قانون إلا ما كان مبناه على اليقين، لا على الظن والتخمين، فالحكم به أيضًا يكون من التخيلات ولا تطمئن به القلوب، وما سواه فوسواس الشياطين.

قوله (الحكم بالعدل):

لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ [النساء: ١٣٥]، ولقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قوله (وعلى القوم السمع والطاعة):

لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ولقول النبي ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا،**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء: ٣٥٩٢، والترمذي في أبواب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي: ١٣٢٧.

عَلَى مَنْشَطٍ وَمَكْرَهٍ إِذَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةِ الْخَالِقِ. ....

فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»(١).

قوله (منشط ومكره):

لقول النبي ﷺ: **«السمع والطاعة على المرء المسلم، فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية»**(٢)، ولأثر عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: **«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان»**(٣).

قوله (إذا لم يؤمر بمعصية الخالق):

لحديث النبي ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**(٤)، ولقوله تعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤٦٠٧، والترمذي في أبواب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٢٦٧٦، من حديث سيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ في كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: ٧١٤٤، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية: ١٨٣٩، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري ـ واللفظ له ـ في كتاب: الفتن، باب: قول النبي سترون بعدي أمورا تنكرونها: ٧٠٥٦، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية: ١٧٠٩.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ٣٨١، عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه، وبوب الترمذي: باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقال: وفي الباب عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وأخرجه التبريزي في «مشكاة المصابيح»: ٣٦٩٦. وأخرجه أحمد في «المسند»: ١٠٩٥، بلفظ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل»**.

وَيَلْزِمُهُ الْإِعْدَادُ الْمُسْتَطَاعُ لِلْحِفْظِ وَسَدُّ الثُّغُورَ. وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ لِدَفْعِ الْفِتْنَةِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ وَالتَّيْسِيرِ لِلْهِجْرَةِ ....

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ [لقمان: ١٥].

قوله (ويلزمه الإعداد المستطاع):

لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قوله (والجهاد في سبيل الله):

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

قوله (لدفع الفتنة):

لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]

قوله (والتيسير للهجرة):

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ﴾ [النساء: ١٠٠].

لِمَنْ يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَكَانِيَةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَـةً. وَالْاِحْتِسَابُ لِلْإِيْقَاظِ وَالْـمُؤَاخَذَةِ وَغَايَتُـهَا إِقَامَةُ الدِّينِ وَحِفْظُ الْحُدُودِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْمُعَاشَرَاتِ. ....

قوله (مكانية أو معنوية):

الهجرة المكانية قد مضت في الحاشية السابقة، والمعنوية ما بيّنها النبي ﷺ بقوله الصادق المصدوق: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1] أي: الانتقال من موطن الطبيعة إلى موطن الشريعة.

قوله (والاحتساب للإيقاظ):

كما كان عمل النبي ﷺ، يحتسب أصحابه ويراقبهم ليلًا ونهارًا، ويوقظهم ويؤاخذهم بما فاتهم.

قوله (وغايتها إقامة الدين):

لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤١].

قوله (وحفظ الحدود):

وحفظ الحدود هو حفظ الفرائض والواجبات، والسنن والآدب من العبادات والمعاملات والمعاشرات، كما قال جل ذكره في معاملة الزواج: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: ١٠، من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وَنَظْمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ وَالتَّعْزِيرَاتِ لِإِزَالَةِ الْمُنْكَرَاتِ ....

تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى في الصيام: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال تعالى في حدود المواريث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

قوله (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

كما مرّ قوله جل ذكره: ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١].

قوله (وإقامة الحدود):

كحد السرقة، وشرب الخمر، والزنا، وقذف المحصنات وغيرها، لقوله ﷺ: **«أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم»**(١)، ولقوله ﷺ: **«إقامة حد من حدود الله، خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله عز وجل»**(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في أبواب: الحدود، باب: من لا يجب عليه الحد: ٢٥٤٠، من حديث سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب: قطع السارق، باب: الترغيب في إقامة الحد: ٤٩٠٥، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وابن ماجه ـ واللفظ له ـ في كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود: ٢٥٣٧، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وَالرِّفْقُ وَالتَّطْيِيبُ لِتَرْوِيجِ الْمَعْرُوفَاتِ وَالتَّعْمِيمُ لِلتَّعْلِيمِ ....

قوله (والرفق والتطييب):

لقوله تعال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: ٤٤]، وقال عز اسمه لخاتم أنبيائه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ولقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والجمع بين الرفق والشدة على الوجه الأتم؛ مقام خاتم الأنبياء ﷺ، لقوله ﷺ: **«بعثت مرحمة وملحمة»**[(١)]، ولقوله ﷺ: **«أنا الضحوك القتال»**[(٢)].

قوله (والتعميم للتعليم):

لقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٧/ ٢٤، والسيوطي في «الجامع الصغير»: ٦٠٩٠، والشيخ الحافظ علاء الدين ابن قاضي خان المتقي الهندي رحمه الله، المتوفى ٩٧٥هـ في «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال»: ١٠٥٠٠.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره»: ٤/ ٢٣٨، والحافظ ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل»: ٣/ ٣٣١، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ١/ ٣٩: «جاء في بعض الآثار عنه ﷺ أنه قال: «أنا الضحوك، أنا القتال»». فالظاهر أنهما من أسمائه في كتب المتقدمة كما أشار إلى ذلك السيوطي في «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة»: صـ٢٠٢ حيث قال «عن ابن عباس رضي الله عنهما: اسمه ﷺ في التوراة أحمد الضحوك القتال».

وَالْإِكْرَاهُ فِي ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَالتَّوْسِيعُ فِي التَّبْلِيغِ عَلَى التَّدْرِيجِ حَسَبَ دَرَجَاتِهِ

قوله (والإكراه في ضروريات الدين):

لقوله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١]، وهذا إجبار بقوله فريضة إلى حد ضروريات الدين، وهو فرض على الأعيان، أما تكميل التعليم بالمسائل والدلائل والحقائق، فهو فرض على الكفاية، ولقوله ﷺ: «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها**»[٢].

قوله (والتوسع في التبليغ):

لقوله تعالى في شأن الأنبياء عليهم السلام: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩]

قوله (على التدريج):

أي: يبتدأ المبلِّغ أولًا من نفسه لقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التحريم: ٦]، ثم بأهله وعياله لقوله: ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ثم بعشيرته لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ثم بأهل بلده لقوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [الشورى: ٧]، ثم بما حوله لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [الشورى: ٧]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في أبواب: السنة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم: ٢٢٤، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة: ٤٩٤، والترمذي في أبواب: الصلاة، باب: ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة: ٤٠٧، من حديث سيدنا سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: حديث سبرة بن معبد الجهني حديث حسن.

وَالتَّنْظِيمُ بِالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ لِدَفْعِ الْفُرْقَةِ وَتَوْحِيدِ الْأُمَّةِ. وَتَرْبِيَةُ خَلْقِ اللهِ عَلَى أَخْلَاقِ اللهِ ....

ثم بجميع الخلائق في العالم لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، وهذا هو الترتيب الطبعي وعمل به النبي ﷺ في الإنذار والتبليغ.

قوله (والتنظيم بالاعتصام):

لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالقاطع للاختلاف والتفرق هو الاعتصام بحبل الله، لا التنظيمات الشكلية كما قال عز اسمه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦]. فالتنظيم المطلوب هو يورثه العمل.

قوله (وتربية خلق الله):

لقوله ﷺ: «**إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»(١)، ولقوله ﷺ: «**تخلقوا بأخلاق الله**»(٢)، ولقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وباطن الإثم

---

(١) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ الإمام المحدث أبو بكر البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى٢٩٢هـ في «مسند البزار»: ٨٩٤٩، وأخرجه أحمد في «مسنده»: ٨٩٥٢، والبخاري في «الأدب المفرد»: ٢٧٣، بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

(٢) ذكره السيوطي في «تأييد الحقيقة العلية»: صـ٨٣، ولم يذكر السند، وقال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ١/ ١٩٧: يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «تخلقوا بأخلاق الله»، وقال الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٤/ ٣٠٦: «الاقتداء والتخلق بأخلاق الله حتى قيل: تخلقوا بأخلاق الله»، وقال الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»: ٢/ ١٠٢: «كان متخلقًا بأخلاق الله تعالى، فعبرت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن المعنى بقولها: كان خلقه القرآن»، وقال ابن القيم في «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» صـ٤٨: «وقد قيل إن الله سبحانه أوحى إلى داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: تخلق بأخلاقي، فإن =

وَلَـخَّصَهَا النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسٍ وَهِي مَبَانِي أُصُولِ السِّيَاسَةِ الدِّيْنِيَّةِ: الْـجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْـهِجْرَةُ، وَالْـجِهَادُ.

هو الخُلق السيء ولا يدفع إلا بالتربية والتزكية؛ وهو موضوع فن الإحسان المعروف بالتصوف، ويلزم نظمه على الخلافة لأنه من غاياتها وغايات البعثة.

قوله (ولخصها النبي ﷺ):

لحديث الحارث الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا، ومضمونه ملخصًا، حسب ما يقتضيه المقام أن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بها، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وآمركم بالصلاة، وآمركم بالصيام، وآمركم بالصدقة، وآمركم أن تذكروا الله**» وهذه أصول الديانة، ثم قال النبي ﷺ: «**وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة**»[1] فهذه أصول السياسة، رواه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» تحت آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١][2]، لأنه لا إسلام إلا بالجماعة، ولا جماعة إلا بالإمام، ولا إمام إلا بالسمع والطاعة، ولا السمع والطاعة إلا بالقانون القطعي من الله، ولا قانون إلا بدفع الفتنة وقيام الأمن، وإلا فالهجرة أو الجهاد.

= من أخلاقي أني أنا الصبور». فالحاصل أن الرواية لم تثبت عن النبي ﷺ سندًا، ولكن نقلها الأئمة والحفاظ في تآليفهم لترغيب الناس أن يتصفوا بالصفات المحمودة أو يتنزهوا عن الصفات المذمومة، وليس معناه أن يأخذ من صفات الله تعالى الخاصة له جل شأنه، والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الأمثال عن رسول ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة: ٢٨٦٣. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) في «تفسير ابن كثير»: ١/ ٩٦.

فهذه الخمس زبدة لجميع ما في السياسة الدينية من المباني والأصول التي ذكرناها في المتن السياسي، فيجمع النبي ﷺ بين الديانة والسياسة والإسلام جامع للمقامين، وهذه كلها بالاستخلاف.

فأثبت المصنف الخلافة في سلسلة الاعتقادات، وهذا تفصيلها بأجزائها وأركانها، وآثارها ومقتضياتها التي لا تتكون الخلافة إلا بها، ولذا ذكرتُها بمتن مستقل في ضمن إثبات الخلافة من المصنف كأنه كان يقتضي هذه التفصيلات، وبالله التوفيق وهو المستعان.

وأرجو العلماء مشكورين باطلاعي على الأخطاء والزلات إن وجدوها في الحاشية(١).

تمّت

(١) تم التحقيق والتعليق ـ بحمد الله وفضله وكرمه ـ على هذا الكتاب المبارك ليلة الجمعة، ٢١ من ربيع الثاني ١٤٣٨هـ، وأنا في ساحة الحرم المدني الشريف تجاه القبة الخضراء. والله أسأل أن يتقبلَ مني هذا العمل، وأن يجعلَه في ميزانِ حسناتِي وأن يوفقَني لمزيدِ من الخدمة لهذا الدين القويم. وصلى الله على خيرِ خلقِه سيدِنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه أجمعين، آمين يا رب العالمين.
أبو حماد، محمد عمار بن المفتي محمد سليم المدني عفى الله عنهم.

صِلَةُ السُّنَّةِ بِالقُرآنِ الكَرِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى،

أما بعد:

الإسلام آخر الأديان

الإسلام رسالة الله الأخيرة ودينه الخالد ونظام الحياة الإنسانية، لا ينزل كتاب بعد كتابه القرآن، ولا يبعث نبي بعد نبيه محمد ﷺ، ولا تنفذ شريعة بعد شريعته الغرَّاء، لأن خاتمَ النبيِّينِ وآخرهم قد بعث، فأغلقتْ بعده أبواب النبوة، وأصبح دينه آخر الأديان السماوية كلها.

فلا بد من الاحتفاظ بمبادئ هذا الدين الحنيف والشريعة السَمْحة إلى قيام الساعة، وألا تكون أرضُ الله الواسعة خالية عن الحق أصلًا، مع أنها لا تزلزل ولا تدمر عند وجود الحق وصاحبه، ويبقى الحق في كل حين إلى يوم الدِّين[١]، فإذا لم يوجد على هذه الأرض من يذكر الله قامت الساعة فورًا[٢]. فلا يتصور بقاء الحق إلا ببقاء آخر الأديان، ولا يمكن الاحتفاظ بالحق إلا بحفظ الشريعة الأخيرة.

---

(١) أي: يوم القيامة. كما في قوله تعالى: (مالك يوم الدين).

(٢) كما في الحديث، أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان: ٢٣٤، من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله».

إن الإنسان خلق ضعيفًا، فما كان في وسعه أن يتحمل مسؤولية حفظ الدين الضخمة، ويؤدي حق هذه الأمانة الثقيلة، ويحافظ على الدين في كل عصرٍ مع أحكامه وتوجيهاته وتعليماته؛ لأن نزعاته ونظرياته تتغير وتتبدل ولا تستقر على حال، ولو كان الاحتفاظ بالدين في متناول يد الإنسان؛ لما اندرست آثار التوراة والإنجيل والزبور وصحف آدم وإبراهيم عليهما السلام.

هكذا لو فُوِّض أمر المحافظة على هذا الدين الخاتم لَما قام بناؤه على أساسه الحقيقي، وحدث فيه التحريف والتبديل. فكَفِلَ لنا الله إبقاء الدين، وتعهد به حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

ما هي الطرق للمحافظة على الدين؟

كان ضروريًّا لإبقاء الدين أن يخلق الله عباقرة طبعوا على حفظ الدين وخلقوا له، وأشربت قلوبهم ببناء كيانه[(١)]، أو يجعل الله الدين قيِّمًا يكفل لنفسه البقاء والدوام، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فاتخذ الله هاتين الصورتين وخلق في كل قرن مجددًا للدين ولا يزال، لأن عواطف الناس وأفكارهم ومعتقداتهم واتجاهات فكرهم وأنظمة حياتهم لا تكون على حالٍ، وإنما يصيبها التغير والتطور.

لأن إنسان القرن الماضي لا يكون مثل إنسان القرن الجاري، فخِيف على الدين في بداية كل قرن من أن يُبدِّله الإنسان ويتصرف فيه كيفما يشاء، ويحوِّله إلى شكلٍ يؤدي به إلى المحو والفناء، فيبعث اللهُ عز وجل في كل قرنٍ من يجدد الدينَ وينقِّح الأصولَ والفروعَ من الشبهات، ويثبت المسائلَ القديمة في ضوء البراهين

(١) كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين»، أخرجه البزار في «المسند»: ٩٤٢٣، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: ٣٨٨٤.

الجديدة، كما روي في «مشكاة المصابيح»: **«إنَّ الله عز وجل يَبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائةِ سنةٍ من يجدِّد لها دينها»**(١).

الجماعات الدينية الحقة

إن المجدد يأتي في بداية كل قرن وينقذ الأمة مما تسرّب إليها من المعتقدات الفاسدة والأعمال المضلة، ولكن في وسط القرن كان يُخشى على الناس من المنافقين والملحدين والمعاندين الذين يدأبون على إثارة الظنون والأوهام نحو الإسلام ومبادئه، فالناس لا يزالون في انتظار المجدد، وأعداء الإسلام الفُجَّار عسى أن ينتفعوا بهذا الموقف ويسلبوا ثقة الأمة بالدين.

فوعد الله بخلق الأبـرار الذين يقومون مقام المجدد، ويدفعون هجمات الأعداء والزنادقة الكفرة بدلائـلهم الساطعة القوية، ويكشفون اللثام عن وجه دسائسهم ومكائدهم، وقد روي عن النبي ﷺ: **«يَحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»**(٢)، مع ذلك ربما يلحق الأعداءُ الضررَ بالدين، ويمسون كرامته حين يبدأ الأبرارُ في وكالة المجدد، ويتزودون بالعلوم والمعارف لمقاومة حملات المشككين، فيخوض الريب في أذهان الناس بسبب جهود المعاندين.

فهدَّأ النبي ﷺ بال الأمة وعهِد إليهم بطائفة حقة تُحافظ على الدين. روي عن معاوية رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا يزال من أمتي أمة قائم بأمر الله،**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة: ٤٢٩١، والتبريزي في «المشكاة»: ٢٤٧، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البزار في «المسند»: ٩٤٢٣، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: ٣٨٨٤، وأخرج البيهقي في «السنن الكبرى»: ٢٠٩١١ بلفظ: «يرث هذا العلم».

لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»، رواه البخاري ومسلم[١].

على كل حال، تتمتع الأمة وتستفيد بالمجدد في أول القرن، وخلفائهم الأبرار في وسطه، والطوائف الحقة الصالحة في كل حين، فيكون كيان الدين في الصيانة الكاملة عن كل زيغ، وعن كل ما يهدِّد بناءه.

مبدآن للدين

كما تولى الله بقاء الدين بالمجددين والأبرار الصالحين والجماعات الحقة، جعل الدين بنفسه قيّمًا صالحًا لحفظ كيانه، وجعل لتحقيق هذا الغرض أساسين له: (**كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ**)، ثم تفرع وانشق مبدآن آخران: (**الإجماع، والقياس**) من هذين الأساسين.

فلا بد من اتباعهما أيضًا، لأن القرآن يؤكد على اتباع الله ورسوله ﷺ، وأولي الأمر الراسخين في العلم[٢]، وإذا نظرنا في اتباع أولي الأمر وجدنا فيه القياس والإجماع، لأن ما نتج عن أفكار المتضلعين من العلوم والمتفقهين في الدين هو القياس.

وأما ما أجمع عليه المجتهدون الراسخون في العلم فهو الإجماع، فلا مندوحة عن اتباع ما يسفر عن القياس والإجماع.

ولكن هذين المبدأين الآخَرين لا يستقلان في الحجة إلا أن يتعلقا ويتصلا بالكتاب أو السنة، لأن المبدأ الحقيقي للدين هو الكتاب والسنة فحسب.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب: ٣٦٤١، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم»: ١٠٣٧.

(٢) أخرج الطبري رحمه الله في «تفسيره» عن عطاءٍ رحمه الله أن أولي الأمر: «هم الفقهاء والعلماء»، وعن الحسن رحمه الله: «هم العلماء»، وعن مجاهد رحمه الله: «هم أهل الفقه والعلم».

فلا بد من كون ما أجمع عليه وما قيس عليه موافقًا لهما، لأن الإجماع والقياس ينبيان عليهما، وبالنسبة إلى التشريع لا وجود لهما إلا تبعًا للكتاب والسنة.

هذا، إلى أن بعض العلماء قالوا: الدين يعتمد على الأصول الثلاثة؛ كتاب الله، وسنة الرسول، واجتهاده، فهم يعتبرون اجتهاد الرسول ﷺ أساسًا ذاتيًا وحجةً مستقلةً، ولكن أصح ما قيل في هذا الباب إنما هو الذي ذكرناه آنفًا، بأن الدين يستند إلى الأساسين: الكتاب والسنة، فاذا لم ينزل الوحي في أمر، والرسول ينتظره بشدة وشوق؛ اجتهد فيه، فإن يكن ما اجتهد فيه صحيحًا ينزل فيه الوحي، وإلا يمنع الرسول ﷺ عن العمل بما اجتهد فيه.

فالحاصل أن اجتهاد الرسول ﷺ أيضًا يرجع إلى الكتاب والسنة، وتُصرِّح الآيات القرآنية بأن الكتاب والسنة هما أساسان رئيسيان دون غيرهما، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد: ٣٣]، أو: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: ٩٢]، أو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]، أو: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يستفاد من هذه الآيات أن كلام الله ورسوله ﷺ كلاهما حجة شرعية، إلا أن القرآن هو قطعي وحجيته ذاتية مستقلة، وأما الحديث فهو ليس بمثابة القرآن في الثبوت، لأن جميع أقسام الحديث تحمل الظن وتُبنى عليه، سوى الحديث المتواتر[1]، فتكون درجة ثبوت الحديث مستوًى لحجيته.

---

(١) الحديث المتواتر هو: الحديث الذي يكون متبعًا في جميع طبقاته من الابتداء إلى الانتهاء، بأن يرويه في كل عصر عدد غير محصور تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، أو وقوع الغلط منهم اتفاقًا. «منحة المغيث»: صـ٦٥٣. وقال الإمام النووي في «التقريب»: صـ٢٨: «ذكر الشيخ تقي الدين أن =

الرسول واسطة بين العبد والمعبود

إن القرآن كتاب خالد، يتدفق بالحيوية ويمتلئ بالأصول والكليات، يعجز البشر عن الإتيان بمثله في المعاني السامية الأساسية، والألفاظ الرشيقة، والتراكيب الأنيقة، والتعبيرات الجميلة؛ الجامعة بين الهداية والقضايا، والأساليب الرائعة والتوجيهات الحكيمة، والمعارف المتعمقة، والعلوم الواسعة.

وما كان في قدرة البشر أن يتحمل عبء بيان القرآن وشرحه، فجعل الله ناطقًا بلسان نفسه وهو يشرح أساليب القرآن ومغلقاته، ويبيِّن معانيه ومضمراته.

وفي عبارة أخرى نقول: إن اللهَ تعالى واجبُ الوجود، ولا حد له في ذاته وصفاته، والإنسان محدود في الجسم والروح، والقلب والنفس، والعقل والفكر، يدرك الأشياء بالتعينات والتشخصات، فلا يمكن له أن يدرك واجب الوجود الذي ذاته غير محدود.

فبناءً عليه جعل الله بينه وبين عباده واسطة منهم، يقرب منه أشد قرب بكمالاته الخرقية وأحواله غير المعتادة الروحية، ومن جانب يكون من أفراد الإنسان بفطرته وذاته، فالأنبياء والرسل عليهم السلام هم الذين يُعلِّمون أوامر الله ونواهيه، ليسهل إدراك صفات الله والوصول إلى ذاته، وإلا يصعب الاتصال بواجب الوجود.

فهم القرآن يتوقف على فهم الحديث

جدير بالذكر أن ما ظهر على لسان النبي ﷺ من أمور الهداية واليقين، تكون

= ما روياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه، وخالفه المحققون والأكثرون، فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر».

منغمسة في الكيفيات الروحية والأحوال المعنوية، كأن تلك الأحوال بنفسها تبدو في صورة الألفاظ، فلا يدرك الكلام المنبعث من الأحوال الروحية من لا يتذوّق ولا يتمتَّع بها، لأن المعتاد أن إشارات العالِم ومصطلحاته لا يفهمها إلا من يتصل بالعلم، وإرادة الصانع لا يعلمها إلا من يحمل الصلة بالصنعة، فكيف يفهم الكلام المستغرق في الكيفيات الروحية من لا معرفة له بها ولا تجربة فيها؟

لا شك أن القرآن كتاب واسع العلوم والمعارف، يجمع الأخبار الماضية والمعارف الآتية والأحكام الجارية، قوله صدق، والعمل به أجر، والحكم به عدل، ورسالته هداية، لا تنتهي عجائبه ولا تقف غرائبه، لا يشبع منه العلماء قط، تبلغ أساليبه وتعبيراته أقصى حد الكلية الأصولية، تترشح الحقائق من ألفاظه، وتستخرج الأحكام من عباراته، فكيف يمكن فهم مراد الله من هذا الكلام المعجز البليغ بدون هداية الله؟

وما طريق الهداية إلا أن يُبعث الرجل الذي يضع العلاقة بالله وعباده جميعًا، ويتذوّق بالأحوال الروحية كاملًا، ربّاه الله لفهم معانيه، وتعيين مراده وتقريبه إلى أذهان الناس، وهذا الرجل الكريم لا يكون إلا نبيًّا ورسولًا، وكلامه لا يكون إلا حديثًا وسنةً لأن النبي ﷺ هو الذي سمع أولًا كلام الله، ففهمه بهدايته ثم علَّمه عبادَ الله، فعلى هذا الأساس فوَّض الله أمرَ بيان القرآن وتفسيره إلى رسوله ﷺ، ليشرح الكتاب ويعلِّمه الناس، ويمكِّن مراد الله في قلوبهم ويركِّزه في نفوسهم.

تنزيل الكتاب ومسؤولية بيانه

كما نزل الله عز وجل القرآن وتولى حفظه، حمل بنفسه مسؤولية بيانه، لأن الإنسان في حاجة ملحة إلى من يبيِّن مرادَه ويشرح معانيه، فلما أخذ الرسول ﷺ

يكرِّر نطق ما ينزل عليه من القرآن، ويقرأ مرة بعد مرة على عجل لتركيز الألفاظ في الذهن، منعه الله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦ – ١٨].

هذه الآيات تؤكد على حفظ ألفاظ القرآن وإثباتها في قلب الرسول ﷺ(١)، وأما مسؤولية تركيز المعاني فقال عنها: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩]، فما كلَّف الله عز وجل رسوله بعد تحفيظ الألفاظ بتعيين المراد من قبل نفسه، بأن يفكر بعد نزول الوحي في تعيين المراد بالألفاظ، وإنما تعهد أيضًا ببيانه.

لا مسيطر على معاني القرآن

لمَّا أمر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ باتباع الوحي الإلهي في تعيين مراده، وكلفه بتبليغ ما نزل إليه من بيان القرآن، وما تركه مختارًا فيه، فكيف يسمح للأمة بأن تسيطر على معاني القرآن الكريم ويطلق لها العنان في بيان مرادات الله، فتجتهد فيها وتعيِّنها من قبل نفسها، وتتصرف فيها كيف ما تشاء، وإنما أمر اللهُ الرسولَ ﷺ بأن يعلِّم الناسَ ما يتلقى البيان من الله تعالى، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

فهذه الآية ما أذنتْ للأمة بالتفكير إلا بعد فهم مراد القرآن، لأن التفكير إنما يستخدم في حد معين وفي نطاق محدود، لا يجوز له أن يتجوَّل في واديه لتعيين المراد، وإلا تبدو الخواطر النفسانية، والأوهام الباطلة، والظنون الفاسدة، ولا تكاد تنكشف الحقائق الإلهية والمعارف الربانية.

---

(١) كما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ قال: في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: تقرؤه بعد». «تفسير الطبري»: ٢٣/ ٥٠٠.

وهذه الآية: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤] تصف الرسول ﷺ شارحًا ومفسِّرًا، يسوي القضايا المعقَّدة المختلَف فيها، ويشرح المعاني المغلَّقة، لأنه لا يكون الترجيح في تسوية النزاعات وتعيين معنى الآيات إلا ببيان الرسول ﷺ. فيكون بيانه حقيقة مستقلة وشيئًا آخر سوى القرآن، وإلا كيف يمكن أن يسوي القرآن قضايا الناس، وهم فيه يختلفون! فلا بد من اعتبار كون بيان الرسول ﷺ حقيقة على حدة.

حديث الرسول ﷺ بيان للقرآن

إن بيان الرسول ﷺ شيء آخر ومعنى على حدة من القرآن، يبين المعاني المجهولة، ويكشف عن الحقائق الخفية، وينقِّح الأمور المعضلة المتشابكة، وهذا البيان انشق من منبع النور الإلهي الذي خرج منه القرآن أيضًا.

فلا يفهم معنى القرآن سواه، وهذا البيان هو حديث وسنة في اصطلاح الرسول ﷺ وبيان في اصطلاح القرآن، سواءٌ كان بالعمل أو بالسكوت أو بالتقرير.

وهذا هو الحديث؛ إيضاحٌ للمبهمات القرآنية، وتفصيلٌ للمجملات القرآنية، وتفسيرٌ للمشكلات القرآنية، وإظهارٌ للمخفيات القرآنية، وتصريحٌ للكنايات القرآنية، فلا يكون أي حديث كان إلا وهو بيان لآية ما من القران.

ولأن مخفيات القرآن تتنوع، ومضمراته تختلف، فبيانها يتفرع وأسماء البيان تختلف ضروريًّا، مثلًا:

لو اتحد معنى الآية والحديث، سُمي الحديث بـ (**بيان التأكيد**).

ولو عين الحديث أحدًا من احتمالات الآية سمي بـ (**بيان التعيين**).

وإذا أظهر الحديث أمر الآية المبهم دعي بـ (**بيان التقرير**).

وإذا فصّل وشرح ما أجمل في القرآن قيل له بـ (**بيان التفصيل**).

ولو أتم بقية قصة أو حجة مضمون أطلق عليه اسم (**بيان الالتحاق**).

وإذا أبدى سبب حكم الآية ووجهه سمي بـ (**بيان التوجيه**).

وإذا ذكر جزئية لكلية من القرآن كان (**بيان التمثيل**).

وإذا أظهر علة حكم الآية كان (**بيان التعليل**).

وإذا شرح ما ينتج عن الآية من الآثار والعواقب كان (**بيان التأثير**).

ولو بيّن حدود حكم الآية كان (**بيان التحديد**).

ولو عين أحدًا من أفراد الحكم العام كان (**بيان التخصيص**).

ولو بيّن جزئية مثل جزئية الآية على أساس العلة المشتركة بينهما، كان (**بيان القياس**).

ولو أخرج جزئية من الأصل الكلّي للقرآن كان (**بيان التفريع**).

ولو استنبط أصلًا كليًّا من جزئية للآية كان (**بيان الاستخراج**)، إلى غير ذلك من الأسماء الأخرى الاصطلاحية.

الصلة بين الكتاب والسنة وفهمها

ترجع مسؤولية اكتشاف نوع البيان من الأنواع السابقة إلى المجتهد أو الراسخ في العلم، فهو يبحث عنه حتى يدركه بفهمه الكامل الغلّاب، وعقله الخصب الفعّال، ولا يجوز لكل أحد أن يستخدم عقله ويكشف عن الرابطة بين

الكتاب والسنة، ويحكم عليه بنوع ما، لأن مثل هذا الفكر العميق، والعلم الغزير، والعقل الخصيب لا يتوفر لكل شخص، وإنما يشتغل في العمل ذوو العلم الواسع، وأصحاب الفقه والاجتهاد الذين رزقهم الله الموهبة البالغة الصالحة لهذا الأمر المرهق المضي.

الحديث حجة شرعية مستقلة

في الحقيقة أن جميع الأحكام المستخرجة من الحديث أُخذتْ من القرآن إلا أنه يملك الوجهتين:

الوجهة الأولى: كونه تابعًا للقرآن، فيكون من هذه الوجهة بيانًا له، وإن كانت بينهما صلة خفية لا تكاد تعلم بدون علم عميق واسع.

الوجهة الثانية: كونه مصدرًا لتشريع الأحكام، فمن هذه الوجهة يكون الحديث حجة شرعية لاستخراج المسائل والأحكام منها.

فروي عن النبي ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1]، وفي رواية أخرى: «**وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**»[2] ففي ضوء هذه الروايات يتجلى الحديث في صورة الحجة التشريعية المستقلة.

وأما الأحكام التي استنبطت من الأحاديث ولا توجد في القرآن أصلًا، فلا يبقي بها الحديث بيانًا للقرآن كما قال المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وهو يظهر شأن

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في «المسند»: ١٧١٧٤. وأبو داود: ٤٦٠٤ ـ وغيره ـ بلفظ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ: ٢٦٦٤، وابن ماجه في أبواب: السنة، باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه: ١٢، من حديث سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

الحديث التشريعي: «القرآن ما حرم الحمار الأهلي، وإنما حرمه الرسول ﷺ» أو قال: «ما حرم القرآن لحوم السباع بل حرمها الرسول ﷺ»[١]، إلى غير ذلك.

فيقال ردًا عليه: إن مثل الأحكام المستخرجة من الأحاديث وإن كانت غير موجودة في آية خاصة، ولكنها تأتي في ضمن الأصول الكلية للقرآن، كما وضع الله أصلًا حاسمًا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فروي أن عجوزًا قالت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لماذا تلعن الواشمة والقرآن لا يمنع منها؟ فقال: لو تلوتِ القرآن!؟ أما قرأتِ في القرآن ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: نعم، هذه الآية في القرآن، فقال: هذه هي الآية تصل جميع أحاديث الرسول ﷺ بالآيات القرآنية[٢]، فتصبح الأحاديث بهذه الآية بيانًا للقران.

مثال آخر: ذات يوم قال الإمام الشافعي رحمه الله اعتزازًا وافتخارًا بعلمه الواسع العميق في الحرم: أجيب اليوم عن كل سؤال من القرآن، فسأل رجل عن قتل الزنبور في الحرم، وقال: أين حكمه في القرآن؟

---

(١) كما في حديثه الذي أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤٦٠٤ أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم، فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: ٤٨٨٦، ومسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة: ٢١٢٥.

قال الإمام الشافعي: يستفاد وجوب اتباع الرسول من هذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، ومن جانب آخر يستفاد من هذا الحديث: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، أن الانقياد لهما أيضًا واجب، فاسمعوا: قال عمر ين الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقتل الزنبور في الحرم، فيتصل حكم عمر عن واسطة بهذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١)، ويكون بيانا للقرآن.

خلاصة القول أن الحديث يتضمن الجهتين: جهة بيان القرآن، وجهة التشريع. فمن الجهة الأولى يكون تابعًا متفرعًا، ومن الجهة الثانية يكون حجةً مستقلةً مثل القرآن، تستخرج منه الأحكام، وتتفرع منه المسائل. فكأن الحديث يأخذ العلم من القرآن ويعطيه الفقه، فلو لم يكن الحديث لما كان الفقه متصلًا بالقرآن.

علاقة الحديث بالقرآن والفقه

فنظرًا إلى كون الحديث حجة شرعية مستقلة تبالغ الأمة في الاهتمام بعلم الحديث إلى أقصى الغايات، فإنه تفسير للقرآن، ومتن الفقه، فلا يمكن فهم القرآن ولا تدوين الفقه بدون الحديث. فكما أن الرسول ﷺ مبلِّغ عن الله لعباده حيث أنهم يعلمون من الرسول ﷺ، هكذا الحديث رابطة بين القرآن والفقه، فمن ترك الحديث ما وصل إلى القرآن والفقه وما وجد حجة شرعية أصلًا، وإنما يصير عبدًا للتخيلات النفسانية.

إنكار حجية الحديث والكلام في السند

قد تحقق أن الحديث حجة قطعية شرعية للدين، ومأخذ للمسائل الفرعية

---

(١) أخرج هذه القصة البيهقي في «معرفة السنن والآثار»: ٣٢٣٦.

وبيان واضح للقرآن، وإن كان ظنيًا في الثبوت، لأن الظن إنما تسرب إليه من جانب السنَد بدون أن يتدخل في ذاته.

فلو سمعنا الحديث من لسان النبي ﷺ لوجب علينا إتباعه مثل إتباع كلام الله، فيصاب الحديث بالضعيف أو الوهن بالنسبة الى السنَد الذي يؤدي إلى التردد في كونه حديثًا، فإن الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، توجب طاعة الرسول ﷺ، وطاعة الرسول أو إنكارها تنطوي على طاعة الله وإنكارها.

إذا عرض علينا حديث وسنده قوي مثل سند القرآن اكتسبنا اليقين، وإذا لحق به الضعف في السنَد أو الظن في الثبوت فلم يوجب اليقين والقطع، فلا يطيب لأحد أن ينكر حجة الحديث وكلام الرسول ﷺ، نعم نعتبر الحديث صحيحًا أو ضعيفًا، صالحًا للحجة أو غير صالح لها، قياسًا على صحة سنده أو ضعفه، فإن كان رجال سنده ثقات عدولًا، إلى جانب ذلك سندهم متصل؛ كان واجب القبول والتلقي، وإلا فلا يجب قبوله.

ومثال حال من ينكرون الحديث بوجه ضعف السند، إن الطريق المؤدي إلى المنزل أصابه فساد وخلل، فيسير عليه مسافر، ولكن لا يصل إلى المنزل بفساد الطريق، ثم يقول: المنزل معدوم، فهل هذا الحكم صحيح؟ لا، كيف! لا يمكن! لأن المنزل هو حاله وإنما المسافر هو سفيه لا يستطيع الوصول إليه، هكذا من ينكرون الحديث بأنهم ينكرونه أصلًا مع أن الحديث حجة مستقلة إلا أن السند أصبح ضعيفًا.

يبالغ القرآن في الاهتمام بحفظ الحديث وإثباته

ولا يصح إنكار الحديث بناءً على أن عدد رجاله لا يكون مثل القرآن، لأنه يتضمن إنكار السند دون الحديث وحجيته، وعلى الأكثر يقال: لا يجب علينا أن

نتلقى جمع أقسام الحديث، لأن القرآن يبين ذلك وإن كان يخرج منه ثبوت الحديث فقط، ولكن هذا القول ضعيف. فإن القرآن كتاب يمتلئ بالأصول والكليات والقواعد ثم تستخرج منه الأحكام والفروع، فلو تضمن القرآن بنفسه الفروعات ما بقي دستورًا أساسيًا وأصلًا كليًا.

فالقرآن كتاب يتدفق بالقواعد الرئيسية من يتفقد فيه نفس الجزئيات لا يجدها قط، نعم إذا ثبت أصل في القرآن ثبت جزؤه أيضًا، فكما يستفاد ثبوت نفس الحديث من القرآن، يستفاد ثبوت جميع أقسامه وفروعه بالدرجة الأولى.

الحديث ينقسم إلى أربعة أقسام باعتبار عدد الرواة

يمكن أن يقال: إن القرآن لمّا أثبت نفس الرواية، وبالغ في الاهتمام بها؛ كان ضروريًا على الأقل أن يبين مثالًا لهذا الأصل الهام، أن يجوز تنوع الحديث، فأقول: إن القرآن صحيفة جامعة فقام به كاملًا، حيث أنه ما بيَّن له مثالًا فحسب، وإنما صرَّح بأقسام الحديث الأساسية باعتبار سنده ورجاله ويتبين مقام الحديث واضحًا باعتبار عدد الرواة أو أوصافهم.

ينبغي لنا أن نقلب الطرف إلى المحدثين بأنهم كم قسَّموا الحديث أقسامًا أساسيةً، حيث تفرعت منها بقية الأقسام الفرعية، فهم قسَّموه على أربعة أقسام على طريق الحصر، وهذه الأربعة تنال منزلة أوَّلية في مصطلحات الفن.

الخبر الغريب

فإما أن يروي رواية راوٍ واحد في كل طبقة، وإن زيد عليه في وسط السند فسمَّى المحدثون مثل هذا الخبر بـ «**الخبر الغريب أو الفرد**».

وهذا الخبر وإن كان لا يورث اليقين ولكنه يودع الظن الذي تعتمد عليه شتى قضايا الدين والدنيا، وتجري عادة عن مثل هذا الحديث بأن يحكم على أساسه على آلاف معاملات دينية أو دنيوية بشرط أن يكون الراوي ثقةً عادلًا غير متهم في العدالة والضبط.

الخبر العزيز

وإما أن يروي راويان عادلان من النبي ﷺ إلينا في كل طبقة، وإن أضيف العدد عليه في وسط السند، ولكنَّه يعد ويعتبر رواية عادلين، وهذا الخبر سُمِّي في اصطلاح المحدثين بـ «**الخبر العزيز**»، وهو أقوى من الخبر الغريب في السند، فلذا يفيد غلبة الظن التي تعتبر في المعاملات أكثر من الظن ا المحض.

الخبر المشهور

وإما أن ينقل رواة من البداية إلى النهاية في كل درجة وإن ازداد عددهم على ثلاثة في وسط السند، ولكن هذا الخبر يبقى خبر ثلاثة رواة، وهو أقوى حجة من الخبر العزيز في المعاملات حيث لا ينبغي إنكاره لأنه يفيد اليقين ديانة، يقول المحدثون عن هذا الخبر «**الخبر المشهور**».

الخبر المتواتر

وإما أن ينقله في كل درجة رواة كثيرون حيث لا يمكن تواطؤهم على الكذب عادة، وهم لا يقلون عن أربعة وإن زيد عددهم عليها، فاسم هذا الخبر في الاصطلاح: «**الخبر المتواتر**»، وهو أقوى من الخبر المشهور وغيره، وبالغ أقصى حد في القبول والاعتبار يفيد اليقين الذي يسبب لهذا الخير حجة قطعية.

أقسام التواتر ودرجاته

فلو روت في كل درجة جماعة كبيرة من النبي ﷺ إلينا، وترقَّى التواتر من الأفراد إلى الطوائف، كان أقوى من تواتر الأفراد، ولكنهما يكونان متحدين ويبقى اسمهما «الخبر المتواتر».

كان حضرة الأستاذ الأكبر العلامة أنور شاه الكشميري رحمه الله سمَّى هذين التواترين بالتواتر القرني والتواتر السندي، فتواتر القرآن قرني، وتواتر الحديث سندي[1].

على كل حال، التواتر وإن كان قرنيًّا أو سنديًّا، لا يتصور فيه الريب والشك.

فمن ينكر مثل هذا الحديث يطعنه الناس وينتقدونه، لأنه خبر حق من الله، لا يأتيه الكذب من أي جهة كانت، وإنما يحفظه الله عز وجل دون عباده.

فبطريق الحصر انقسم الحديث على هذه الأربعة: حيث تكون الرواية التي تزداد عددًا أقوى في الدرجة من الرواية القليلة العدد.

---

(١) نقل ذلك عنه العلامة المحدث شبير أحمد العثماني رحمه الله في مقدمة كتابه العظيم الحافل بالعلوم والفوائد «فتح الملهم بشرح صحيح مسلم»، الذي اعتنى به العلامة عبد الفتاح أبو غدة وسمّاه «مبادئ علم الحديث وأصوله»: صـ٨٨، وأيضًا نقل عنه هذا التقسيم العلامةُ يوسف البنّوري في «نفحة العنبر»: صـ٣٣. وهو [أي: العلامة الكشميري] أول من قسَّم التواتر على أربعة أقسام، وهي: ١) تواتُر الإسناد كتواتر الحديث، ٢) تواتر الطبقة كتواتُر القرآن، ٣) تواتُر عمل وتواتُر توارث، ٤) تواتُر القدر المشترك. وقال العلامة شبير أحمد العثماني: «وهذه الأقسام الأربعة للتواتر وإن كانت جزئياتها منتشرة في كتبهم لكنهم لم يكونوا يذكرونها، وأول من ربَّع القسمة وسمَّى كل قسم باسمه فيما أعلم: الشيخ العلامة الأنور»، وقد تكلم عنها العلامة الكشميري في كتابه العظيم الفريد في بابه «إكفار الملحدين» صـ٢٢.

مهما تترقَّى الرواية من الأفراد إلى الطبقات والجماعات، تفيد اليقين مضافًا ثم مضافًا، لأن في نظر الشريعة صارت ما زيد على واحد؛ جماعة، حيث قيل: «الاثنان وما فوقها جماعة»(١)، فعلى هذا البناء إذا اجتمع الاثنان في الصلاة اعتبرت الجماعة(٢)، فكأن حد الجماعة يبتدئ من الواحد.

وإذا أضيف على ثلاثةٍ وصار أربعة يطلق عليه اسم الجماعة الكبيرة التي تؤدي بها صلاة الجمعة(٣).

وإذا ضمت إلى هذه الجماعة الكبيرة ثقاتًا وعدولًا يماثل كل منهم أمة واحدة بكمال ثقته وعدالته، كما قال القرآن: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، فتكون هذه الجماعة جماعة عظيمة، تبلغ أقصى حد اليقين حيث لا تساوي درجة اليقين المحض درجتها ولا تضاهيها. فالجماعة تبتدئ من الاثنين، وتتم إلى أربعة.

وأما ما أضيف عليها فيكون درجة كمال الجماعة دون الجماعات المحضة، فيتم الاعتماد واليقين تجاه عدد الرواة إلى أربعة إن يكن الراوي ثقةً عادلًا، وأما ما أضيف عليها فيكون زيادة اليقين والاطمئنان.

ففي اصطلاح المحدثين إنما خرجت الأقسام الأربعة بطريق الحصر العقلي: الخبر الغريب، الخبر العزيز، الخبر المشهور، الخبر المتواتر.

---

(١) حديثٌ، أخرجه ابن ماجه في أبواب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: الاثنان جماعة: ٩٧٢، من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) ولذلك بوب البخاري في «صحيحه» قال: «بابٌ: اثنان فما فوقهما جماعة»، وأورد تحته حديث سيدنا مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا حضرت الصلاة، فأذنا وأقيما، ثم لِيؤمَّكما أكبرُكما».

(٣) وهو مذهب السادة الحنفية، وأما المالكية والشافعية والمشهور عند الحنابلة العدد الذي تنعقد به الجمعة هو ٤٠ رجلًا.

الخبر المتواتر وحجيته

إذا تفكَّرنا وجدنا رواية القرآن تؤكد على التواتر، فإن ينكر أحدٌ تواتر القرآن لا يجد كيانه ولا وجوده، ومن يقتنع بالقرآن وحجيته على بناء التواتر لا يسعه إلا أن يقتنع بالخبر المتواتر وحجيته، وإلا يلزم إنكار قطعية القرآن وحجيته.

لأن التواتر الذي يوجب حجية القرآن يوجب حجية الخبر المتواتر. فلا يجوز أن تنكر حجيته مع أنهما يشتركان في العلة، فكيف يفترقان في الحكم؟ نعم! تواتر القرآن يحل أرفع درجة التواتر ـ وهو التواتر القرني في اصطلاح العلامة الكشميري ـ من تواتر الحديث، ولكن هذا الفرق لا يؤدي به إلا إلى الدرجات دون التواتر نفسه وحقيقته.

فإذا تواتر القرآن كمال اليقين؛ أفاد تواتر الحديث اليقين، دون أن يرد التواتر نفسه، فمن ينكر حجية الحديث المتواتر نظرًا إلى تواتر القرآن القوي، لا يسلم حجية القرآن أيضًا، لأن اليقين نفس الذي حصل من تواتر الحديث موجود في كمال اليقين الذي أخذ من تواتر القرآن.

ثبوت الرواية من القرآن

القرآن لا يثبت الرواية المتواترة فحسب، وإنما يحقق الرواية المحضة أيضًا، لأنه بلغنا متواترًا والمتواتر ما كان إلا قسمًا من الرواية، كأن الرواية نفسها مقسِّمة والخبر المتواتر قسم منها. وهذا لا يمكن أن يقبل القسم وينكر المقسم، كما لا يتصور إنكار المطلق أو العام بعد الاقتناع بالمقيد أو الخاص، لأن المقيد لا يتكون إلا بالمطلق والخاص لا يبقى إلا بالعام، فلا يجوز إنكار الرواية نفسه وقبول المتواتر فحسب، ولا يحسن اعتبار المتواتر ورد الرواية.

الأمران لمنكري الحديث إما هذا وإما ذاك

الآن يواجه منكري الحديث أمران؛ فإما أنهم ينكرون الرواية والخبر، فيؤدي بهم هذا الإنكار إلى إنكار القرآن. وإما أن يقبلوا تواتر القرآن وروايته، فلا يسعهم إلا أن يقبلوا رواية الحديث أيضًا، وإلا فلا يطيب منهم أن يقبلوا رواية القرآن وينكروا رواية الحديث.

ثبوت القرآن يبنى على ثبوت الحديث

إذا نظرنا وتدبَّرنا وجدنا ثبوتَ القرآن يتوقف على ثبوتِ الحديث، لأننا نحتاج إلى إثبات القرآن قبل اعتباره حجة قطعية، ونضطر إلى إقامة البرهان عليه قبل اقتناعه كلام الله والوحي الإلهي. ولا يصح أن يكون البرهان من القرآن بنفسه لأنه يستلزم تقدم الشيء على نفسه وهذا غير ممكن، فلا بد من كون الدليل والبرهان من غير القرآن، وهو لا يكون إلا خبر الرسول ﷺ، فلا مندوحة إذن عن القول بأن القرآن إنما يثبت بالحديث والخبر.

ثبوت قطعية الخبر المتواتر

مما لا شك فيه أن الخبر الذي يستند إليه القرآن يكون يقينيًّا وقطعيةً بالضرورة، ولا يقل عن القرآن في اليقين؛ وإلا يحدث الظن في ثبوتِ القرآنِ أيضًا، فلا يسبب إنكاره الكفر ولا تكلف نفس بالإيمان عليه.

الخبر المشهور، الخبر العزيز، الخبر الغريب في ضوء القرآن

كما تؤكد الآيات القرآنية على الخبر المتواتر، تثبت أقسام الحديث الثلاثة الأخرى، من المشهور والعزيز والغريب.

فالخبر المشهور الذي يتركب من ثلاثة رواة على الأقل يثبت من هذه الآية: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٣ - ١٤]، يستفاد من هذه الآية أن طبيعة الإنسان السليمة لا تكاد أن تكذب ثلاثة عدول، فلذا زِيد الثالث على الاثنين بعد تكذيبهما.

والمعتاد أيضًا أن ثلاثة ثقات لا تَكْذِبُ ولا تُكَذَّبُ، وإنما الآية تهدف إلى إتمام الحجة على أهل القرية، وتراعي عدد ثلاثة فقط، بدون مراعاة وصف الرسالة فيهم، لأن رسولًا واحدًا يرفع درجة في العدالة والضبط والصدق والأمانة على جميع العالم، فإن تكن عظمة الرسل في قلوب أهل القرية لا تجترئ على تكذيبهم، وإن يقوموا به يفقدوا ثقتهم.

ولا يحتاج القرآن إلى زيادة عدد الرسل، لأن رسولًا يكفي لهم بالإيمان، ولكن الله عز وجل أتم الحجة عليهم بإرسال ثلاثة رسل كما تصرح أصول العالم بأن خبر ثلاثة عدول يقبل ويعتبر به.

فيتجلى في ضوء هذه الآية أن رواية ثلاثة عدول لن ترد ولن تنكر، لأن مثل هذه الرواية تورث اليقين، وتدفع الريب والشك ديانةً.

والخبر المشهور هو أيضًا يكون مثل هذا، فمن ينكره ينكر القرآن، لأنه استفاد من آية القرآن.

وأما الخبر العزيز الذي يرويه راويان عادلان، فيؤكد القرآن عليه أيضًا، حيث قال: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

فشهادة الاثنين حجة شرعيه يبنى عليها كثير من الأمور المالية والخلقية والدينية، حتى إن قضاء القاضي ينفذ ظاهرًا وباطنًا.

واسم آخر للشهادة «رواية»، وأما اسم الشهادة في الآية دون اسم الرواية فهو بناء على القواعد الرسمية والأصول المحكّمية، لأن الإنسان إذا قدَّمها في العدالة والقضاء كانت شهادة، وإذا عرضها على الناس خارج القضاء كانت رواية.

ولأن الشروط التي يجب أن تتوفر في الشهادة يجب أن توجد هي في الرواية أيضًا، كما إذا كانت الشهادة بلا واسطة احتاجت إلى أن تكون بالمشاهدة والرؤية أو السَماع، والرواية أيضًا تحتاج إلى أن يرى الراوي الأول الواقعة بعينيه أو يسمعها بأذنيه، وكما تكون الرواية أحيانًا بالواسطة تكون الشهادة نحوها ويقال لها: (الشهادة على الشهادة). وجميع شرائط الاعتماد والثقة التي تجب للشاهد هي للراوي أيضًا.

على كل حال، تتحد الشهادة والرواية، وتجتمعان فيما بينهما، فإن تكن الشهادة حجة شرعية تكن الرواية حجة قطعية شرعية.

ولما اعتبر القرآن شهادة ذوي عدل وروايتهم في الأمور الرسمية والسياسية التي تليق بالاهتمام أكثر من الأمور الدينية، يعتبرها ضروريةً في الشؤون الدينية بالدرجة الأولى، لأن السياسة والمدنية تحمل الأهمية مما لا تحمل المسائل الدينية.

فثبوت رواية الاثنين ـ باسم آخر: الخبر العزيز ـ أخذ واستفيد من الآية، فمن ينكر الخبر العزيز ينكر الآية، ومن يرد حجيته يرد حجية القرآن.

الرواية وحجيتها

يقول القرآن عن نفسه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ [التكوير: ١٩]، ومن هو الرسول الكريم؟ هو جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] الذي لا يزال ينزل بالوحي الإلهي على الأنبياء

(١) كما ذكره الطبري في «تفسيره»: ٢٤/ ٢٥٨

والمرسلين من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، وأن جبرائيل عليه السلام إنما يأتي بالوحي وحيدًا لا يصحبه أحد من الملائكة أو غيرهم.

فجميع الأديان السماوية نزلت لإرشاد الناس بطريق جبرائيل عليه السلام الوحيد، ورجل إذا روى أو أخبر كانت روايته خبرًا فردًا أو غريبًا.

فثبت أن جميع الأديان تعتمد على الخبر الغريب، وإن كان يرويه ملائكة، لأن القرآن لا يلتفت إلى كون جبرائيل عليه السلام ملكًا، وإنما يهتم بأوصاف الراوي الضرورية من العدل والضبط والقوة، كما نطق القرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، وهذا أمر يدل على ثبوت الخبر الغريب من هذه الآية.

فمن ينكر الخبر الغريب ينكر الآية، بل هدم بناء جميع الأديان السماوية من آدم إلى نبينا محمد ﷺ.

إنما بعث الله لكل أمة هاديًا

قد قدمنا البرهان على ثبوت الخبر الغريب من القرآن بآية تشتمل على ذكر الملك جبرائيل عليه السلام، والآن نقيم البرهان عليه بالذين بعثوا رسلًا من الإنسان، وكنا أقمنا الدليل من قبل على ثبوت الخبر المشهور من القرآن بآية تضم ثلاثة رسل، فهنا يكفي لنا ذكر رسول واحد لإثباته.

مما لا خفاء فيه أن الله تعالى إنما بعث لكل أمة هاديًا واحدًا، إلا في أصحاب القرية لأنه بُعث فيهم ثلاثة رسل(١).

---

(١) المراد بالقرية هنا هي التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس: ١٣ - ١٤]، =

فنبينا نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وهود، وصالح عليهم السلام ما بعث كل منهم إلا في أمة واحدة وبلغ كل واحد منهم الدين على حدة وها هو الخبر الفرد، لأن الرسول مخبر واحد وراو واحد لا يساهمه ولا يشاركه أحد في الإخبار والرواية.

فكلما ذكرهم القرآن ذكر الخبر الفرد في ذيله حيث قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشعراء: ١٠٦]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشعراء: ١٢٤]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء: ١٦١]، فالخبر الغريب يثبت بكثير من الآيات القرآنية، وتكثر مؤيداته مع أن الحديث المشهور والعزيز إنما يثبتان من آيات عديدة.

جدير بالذكر أن الخبر الغريب لا يتحقَّق أصولًا فحسب، وإنما يتأكد بالنسبة إلى كلام الرسل، لأن أخبار الأنبياء الماضين كما كانت أخبارًا غريبة كانت كلام الرسل دون كلام الله، لأن ألفاظها وتراكيبها ما نزلت من عند الله عليهم، إلا أن نبينا محمدًا ﷺ أوتي بالمعجزة الكلامية، ونزلت عليه الألفاظ والمعاني جميعًا، فلمَّا

= فقد اختلف المفسرون في تحديد القرية، والجمهور على أنها: أنطاكية، وهو قول الأئمة: ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والزهري، ومقاتل، وابن جريج رضي الله عنهم، وهي مدينة تاريخية تقع حاليًا في جنوب تركيا. وأما الحافظ ابن كثير رحمه الله استشكل كونها أنطاكية، وذكر لذلك عدة أوجه. وأما المرسلون الثلاثة فقد اختلفوا في تحديدهم أيضًا، فقال بعض أنهم من رسل عيسى بن مريم عليه السلام، وقال بعض بل كانوا رسلًا أرسلهم الله إليهم. فقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: «بعث في أولها ثلاثة أنبياء، والذي عُزز به: شمعون، وكان من الحواريين»،

وروي ابن عباس، وكعب بن الأحبار، ووهب بن منبه رضي الله عنهم: «وهم ثلاثة: صادق ومصدوق وشلوم»، وقال مقاتل: «الاثنان: تومان ويونس، والثالث: شمعون، وكان من الحواريين وكان وصي عيسى بن مريم عليه السلام»، وروي عن شعيب الجبائي رحمه الله أنه قال: «كان اسم المرسلين الأولين: شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولص، والقرية أنطاكية». انظر للمزيد: «تفسير الطبري»: ١٩/ ٤١٢، و«تفسير ابن كثير»: ٦/ ٥٧٣، و«الدر المنثور»: ٧/ ٤٩.

قبلنا أخبار الرسل وهي كلها كانت أخبارًا غريبة من حيث أنها كلامهم؛ ثبت أن الخبر الغريب حجة باعتبار كونه كلام الأنبياء والمرسلين أيضًا.

فهي [أي:] الأخبار تماثل أحاديث النبي ﷺ وجميع أحاديثه التي بيَّنها لأصحابه ما كانت إلا خبرًا فردًا سوى القرآن، لأن الرسول ما كان إلا واحدًا، وأما التواتر أو المشهور وغيرهما فهي تكوَّنتْ وتدوَّنتْ بعد، بناءً عل قلة الرواة وكثرتهم، ولكنها كانت أخبارًا غريبة في بداية الأمر.

رواية الرسول ﷺ في ضوء أصول الرواية

إن القرآن ما أكرهَ الناسَّ على قبول أخبار الأنبياء الغريبة بناءً على كونهم رسلًا، وإنما عرض عليهم أوصاف قبول الرواية في ضوء قواعد الفن وأصول الرواية، ثم قال لهم أن يقبلوا أخبارهم، فحيث أكَّد القرآن خبر النبي ﷺ وصف له وصفًا يوجب قبول روايته، فقال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١ - ٤].

فالخبر الفرد الذي بلغنا من النبي ﷺ فقط ووثق به القرآن، ما قال عنه بأنه من الرسول أو النبي وإنما قال عن النبي ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾، ودفع عنه ما يعيب شأنه الكريم.

فأولًا أزال الضلالة لأن الضال لن تصح روايته ولن يقبل خبره. ثم دفع عنه الغواية، لأن الذي يحمل الزيغ والخلل في العقل لا يليق بالالتفات إليه. ثم نفى عنه هوى النفس الذي يجعل الإنسان متَّهمًا في قبول روايته فهذه الآية تدل على أن الله عز وجل قاس رواية الرسول ﷺ على مقياس أصول الرواية، واعتمد عليه على أساس أنه جامع لجميع شروط القبول دون كونه رسولًا ونبيًّا.

متى يقبل خبر الفاسق؟

إن القرآن لا يقتصر على اقتناع خبر الرسول أو الملائكة أو العدول فحسب، بل يتجاوز الحد ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

تبدي هذه الآية أن خبر الفاسق سيكون حجة بعد التفحص والبحث في القضايا الهامة العظيمة كما في الأمور القليلة الشأن، إلا أن الآية تمنع عن القبول قبل البحث عنه ولكنه ما قال عنه: لن يقبل خبر الفاسق أصلًا، بل قيَّد خبره بتبيين حاله لكي يزيل عنه ما يجعله فاسقًا غير معتمد عليه، ويكون خبره مقبولًا ومعمولًا.

فلما كان الأمر كذلك ماذا ترى في رجل واحد عادل ثقة في روايته؟ هل هي تقبل أم لا؟ وكيف لا تقبل؟ مع أن القرآن يحرض الأمة على قبول رواية الفاسق الواحد بعد التحقيق والتفتيش، فيقبل خبر العادل الواحد بالدرجة الأولى.

وإذا كان أمر الرسول الواحد أو الملك الواحد كان خبرهما مقبولًا بطريق أمثل، وكان حجة من جهة القرآن، وإن كانت حجيته ظنية لأن معنى الظن أن لا يبقى احتمال الطرف المخالف مع بقاء الاعتماد على الخبر دون أن تسلب الثقة به أصلًا.

نعم! لو بحث عن وسائط الخبر الغريب وتوفرت الشواهد والمؤيدات بلغ الظن درجة اليقين، فمثل هذا الخبر الفرد لا يمكن أن يرد ويفقد اعتماده، والقرآن لا يسمح لأحد أن يرد خبر الفاسق أصلًا، فكيف يسمح أن ينكر خبر عادل أو ثقة؟ ففي ضوء هذه الآية تتجلى وتتبين حجية الخبر الغريب واضحًا.

القرآن مأخذ جميع أقسام الحديث

لما انقسم حديث الرسول ﷺ إلى هذه الأقسام الأربعة الأساسية: الخبر المتواتر، الخبر المشهور، الخير العزيز، الخبر الغريب، في ضوء القرآن، وثبتت بيِّنة في نصف النهار اقتضتْ أن تثبت بقية الأقسام التي تتفرع من هذه الأربعة وتتحقق في ذيلها، لأن الفرع يتبع الأصل.

فالرواية التي تشتمل على أربعة رواة أو أكثر في كل درجة السند تكون فرعًا للخبر المتواتر، والرواية التي تقل عن راوٍ في أي درجة السند تكون فرعًا للخبر الغريب، كما أن الراوي غير موجود في بداية السند أو نهايته أو وسطه. فتواتر الطبقة فرع للخبر المتواتر دون أن يكون قسمًا على حدة، لأن ما أضيف على شيء يعد منه.

وأما الخبر المعلَّق[1] أو المرسل[2] أو المعضل[3]، فهي كلها فرع للخبر الغريب، والمتواتر يكون منبعًا ومبدأً لهذه الأقسام العديدة التي لا تحمل الفرق الأساسي، وإنما تضع الفرق عن قلة الرواة أو كثرتهم فحسب، وهذا لا يؤثر في تبديل القسم.

وقد ثبت سابقًا أن القرآن هو المأخذ للخبر المتواتر والغريب، فيكون هو مأخذًا لهذه الأقسام المتفرعة ضروريًا، فلذا إذا أردنا أن ندعيْ ثبوت هذه الأقسام من القرآن، لا مانع دوننا ولا حاجز أمامنا.

---

(١) هو الحديث الذي حذف السند من بدايته، إما تمام السند ويقول «قال رسول الله ﷺ»، أو يبقى اسم الصحابي.

(٢) هو الحديث الذي قال فيه التابعي: «قال رسول الله ﷺ» فهو مرسلٌ بالاتفاق.

(٣) هو الحديث الذي سقط منه اثنان فصاعدًا في السند على التوالي في موضع واحدٍ.

الحديث ينقسم إلى أربعة أقسام باعتبار أوصاف الرواة

كما صرح القرآن بالأقسام الأساسية للحديث باعتبار عدد الرواة، ألقى ضوءًا على أقسام الحديث باعتبار أوصاف الرواة، فأخبر بالشرطين الرئيسيين: (العدالة والضبط) من أوصاف الرواة، فهذه الآية: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الطلاق: ٢] تعطي وصف العدالة صورة المستوى لقبول الشهادة، والشهادة اسم آخر للرواية كما مضى.

وأما الشرط الثاني فهذه الآية تؤكد عليه: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الآية. فمعنى الآية أن المرأتين تكونان بمنزلة رجل واحد، فلو لم يتم عدد الشهادة وبقي واحد تقوم مقامه امرأتان للشهادة، لأن النساء لا يهتممن بالمعاملات والقضايا، ولا يساهمن فيها، فيحتمل عدم ضبطهن وحفظهن في الأمور القضائية والمحكمية، فلو وقع هذا لواحدة منهن تذكرها الثانية.

فهذا الأمر يهدينا إلى أن الرواية أو الشهادة لا تُعتبر بها ولا يعتمد عليها إذا نسي راوٍ أو شاهد حتى يزيل نسيانه، وإن كان الشاهد أو الراوي رجلًا أو امرأة.

فاستفيد من الآيتين أن تقبل الرواية التي يرويها عادل ضابط يخلو عن الضعف في العدالة والحفظ، وتسمى هذه الرواية (صحيح لذاته) في اصطلاح المحدثين سواء يرويه واحد أو اثنان أو أكثر.

القرآن يصف عشرة عناصر من الضعف والطعن التي تحدث عن عدم الضبط والعدالة

إذا أمعنا النظر عرفنا أن القرآن ما اكتفى ببيان الوصفين للرواة (العدالة والضبط)

بل أشار إلى عشرة عناصر ضعف تحدث عن قلة الضبط والعدالة.

ذكر القرآن رجال سنده الأولين وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٥]، فلم يقل القرآن في هذه الآية عن راويه الأول جبرائيل عليه السلام إنه ملك عظيم فتقبل روايته، بل قاس روايته على مستوى أصول الرواية، فمن الأوصاف التي ذكرت عنه هذه الثلاثة: (رسالة، كرامة، أمانة).

وهذه هي الثلاثة التي تنفي عشرة عناصر ضعف عن جبرائيل عليه السلام، فوصف (الرسالة) يتضمن العلم، لأن النبوة والرسالة تبنى على العلم وظاهر أن العلم ضد الجهل، فلمَّا قيل عن جبرائيل عليه السلام (رسول) اندفع الجهل بنفسه، وهذا واحد من عشرة.

وأيضًا الرسالة خلاصة الشريعة التي يجب لها الانقياد والاتباع حيث قال القرآن: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾ [الجاثية: ١٨]، ومن اتبع الهدى لا يكون مبتدعًا فانتفى ضعف آخر وهو البدعة.

ثم مخالفات الثقات علامة الجهل والوهم، فوصف الرسالة كما يدفع الجهل، يدفع مخالفة الثقات والبدعة أيضًا.

والوصف الثاني: (الكرامة) تحتاج وتضطر إلى التقوى، ولا توجد بدونها كما قيل: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومعنى التقوى في ضوء القرآن التذكر في معاملات الدين والتيقظ فيها حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فثبت بهذا أن المتقي لا يكون غافلًا، ولا متوهمًا، ولا سيء الحفظ، ولا كثير الأغلاط، وإلا لا يكون متذكرًا متيقظًا. فوصف الكرامة أزال الغفلة والوهم وسوء الحفظ وكثرة الأغلاط.

ثم الفسق ضد التقوى، لأن اللغة واصطلاح الشريعة تدلان على أن مقابل المتقي يكون فاسقًا، فمن يكون كريمًا لا يكون فاسقًا، فزال الفسق أيضًا بعد ثبوت الكرامة.

والوصف الثالث: **(الأمانة)** التي تعتبر حجرًا أساسيًّا في الرواية، وضد الأمانة خيانةٌ، والخيانة تضم الكذب وتهمة الكذب، وهذان ضعفان في الرواية، فزالا بانتفاء الخيانة وإثبات الأمانة.

على كل حال، بيّن القرآن الأوصاف الثلاثة لجبرائيل عليه السلام:

الأول: الرسالة، وهذا الوصف ينكر الجهالة، والبدعة، ومخالفة الثقات.

والثاني: الكرامة، وهي تنفي الغفلة، وكثرة الأغلاط، والوهم، وسوء الحفظ، والفسق.

والثالث: الأمانة، وهو تزيل الكذب وتهمة الكذب، فهذه عشرة أوصاف ضعف أزالها القرآن.

هذا إلى أن القرآن وصف جبرائيل عليه السلام بالأوصاف الأخرى، منها: **(ذي قوة)** وهذا الوصف يصرِّح بأنه لا يخاف أحدًا في نقل الرواية، حيث ينقل خلاف ما يتلقاه من الله بخوف أحد.

ومنها **(عند ذي العرش مكين)**. فإما يراد بالمكين (المقيم)، فمعناه أنه يقيم بجوار الله ويقرب منه غاية القرب حيث لا يقع منه خطأ في سماعه وحفظه، كما يقع

الخطأ في السماع بوجه بعد السامع من الناطق، ويقال لهذا الوصف في اصطلاح المحدثين (التحمُّل والأداء).

وإما يراد بالمكين (ذي درجة ومكانة) فمعناه أنه يتمتع بالكرامة والعزة والعظمة والتقدير عند الله تعالى، فكيف يتصور من مثل هذا المحترم عند الله أن يحرّف ويلبّس في الرواية؟

ومنها (مطاع)، وهذا يدل على أنه لاقى قبولًا لدى الملائكة وحاز تقديرًا وتبجيلًا في المقربين من الأنبياء والمرسلين والبررة من الجن والإنس.

فتحقق وتبين من الآيات القرآنية أن رواية جبرائيل جديرة بالقبول، لأنها مطابقة لمستوى الأصول وشروط الرواية، دون أنها رواية لملك عظيم جبرائيل عليه السلام، إلى جانب ذلك وصف القرآن راويه الثاني محمدًا ﷺ بالأوصاف العديدة التي تؤكد على وثوقه وعدله وضبطه على أساس الأصول، فقال أولًا: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ [التكوير: ٢٢]، وهذا ظاهر أن رواية المجنون لا تليق بالاعتبار ولا تجدر بالاعتناء إلا أن يصير عاقلًا واعيًا.

وثانيًا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ [التكوير: ٢٥]، في الحقيقة أن الشيطان منبع السيئات والخبائث، وبعكسه الرسول يكون جامعًا للمحاسن والكمالات، وهذه الآية تثبت أن القران ليس بقول الشيطان حيث يرد وينكر، إنما هو من كلا م الله على لسان الرسول ﷺ الجامع للكمالات والمحاسن، وهذا يكفي لقبول الرواية.

وثالثًا: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير: ٢٤]، حقًا إن الذي يمتلك ناصية العلم وهو يبخل في بيانه يحرف ويلبس وينقص في البيان ضروريًا، وهذا طعن كبير من قبيل الخيانة، وبالعكس من لا يبخل في البيان والإظهار، لا ينقص ولا يحرف

جانب ذلك تكرار لفظ ﴿عَلَيۡنَا﴾ وذكر لفظ ﴿ثُمَّ﴾ يدلان على أن مسؤولية جمع القرآن وقراءته غير مسؤولية بيانه، وإلا لا يكون للفظ ﴿ثُمَّ﴾ معنًى.

والبيان الذي ألقي في قلب الرسول ﷺ بأي طريقة كانت إذا ألقي في صورة الألفاظ فها هو الحديث، معناه من الله والألفاظ من الرسول ﷺ. وهذا هو المراد من الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: ١٩]، وفي لفظ آخر يمكن أن يقال: تحققت مسؤولية الاحتفاظ بالحديث من الله للرسول ﷺ فقط.

فإذا ما خيف ضياع ما يقرأ من ألفاظ القرآن، ما خيف ضياع ما يبين من أحاديث الرسول ﷺ، لأن الله تعالى نزَّل الألفاظ على الرسول ﷺ بالقراءة والتلاوة كما تصرِّح الآيات: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة: ١٨] أو: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ﴾ [القصص: ٣]، وغير ذلك، وبلَّغ المعاني بطريق التعليم.

لأن العلم يهدف إلى تفهيم معاني الألفاظ دون إبلاغ الألفاظ، فيقول الله معلمًا: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣]، وأحيانًا عبَّر القرآن عن هذا التعليم وإبلاغ المعاني بالهداية حيث قال: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

فثبت أن الألفاظ والمعاني وصلتِ الرسولَ ﷺ عن طريق التلاوة والقراءة والتعليم والهداية وجمعت في صدره محفوظة.

إن نبينا محمدًا ﷺ نقل القرآنَ وبيانه إلى قلوب الأمة بصيانة كاملة وحفظ بالغ كما نقلهما الله تعالى إلى قلب رسوله، ولا يزال القرآن وبيانه يجريان إلى يوم القيامة، ينتقلان من جيلٍ إلى جيل، ومن أمةٍ إلى أمة، ومن شعبٍ إلى شعب، لا يصيبهما التحريف ولا التلبيس، ولا يخشى عليهما التلف أو الضياع عن صفحة الوجود، إلا

أن الله عز وجل أنزلهما بالوسائط الباطنية دون أن يستخدم الأسباب الظاهرة، وانتقل القرآن وبيانه من الرسول ﷺ إلى الأمة بمساعدة الوسائل الظاهرة.

فكما استمر القرآن ولا يزال في صيانة الله عن طريق تواتر الطبقة والروايات المسلسلة، حيث أشرفت عليه مئات آلاف من قلوب الناس؛ استمر الحديث في حراسة الله تعالى ولا يزال إلى يوم القرار عن طريقة حفاظ الحديث، حيث رزقهم الله الضبط التام المعجز وقوة الذاكرة التي تثير العجب، فاحتفظوا بالأسانيد والمتون، وحرصوا عليها بالنواجذ وبلّغوها في ضوء الأصول والضوابط من السلف إلى الخلف، ثم وضعوا أنواع العلوم والفنون التي لا تعد ولا تحصى للاحتفاظ بالحديث.

كما ألّف ودوّن المفسرون مئات من العلوم والفنون التي تستدعي الكتب الضخمة للاطلاع على أسمائها فقط، نحو «الإتقان في علوم القرآن» للعلامة السيوطي، و«جواهر القرآن» للإمام الغزالي. فمن المفسرين من احتفظوا بالألفاظ فلقِّبوا **بالحفاظ**، وقد بلغ عددهم مئات آلاف في كل قرن ولا يزال.

ومن الحفاظ أيضًا من حافظوا على الإعراب، وعيَّنوا الحركات والسكنات، والوقفات وعدوا الألفاظ والكلمات، والركوع والسجود.

ومنهم من اتخذوا خطه فسموا **بعلماء الخط**.

ومنهم من حرصوا على اللغات والتعبيرات، فطار صيتهم باسم **علماء المفردات**، فهم تحملوا بعد مسؤولية حفظ معانيه المختلفة في ضوء بيانه السنة والحديث، سواء كان قوليًا أو عمليًا، فحوَّلوا كل طريقة حفظ المعاني إلى علم وفن: فمنهم من فسَّروه باللغة وبيَّنوا وجوه فصاحته وبلاغته، وهم **علماء اللغة والبيان**.

ومنهم من فسروه بالروايات والأحاديث، فسموا **بأهل الأثر**.

جانب ذلك تكرار لفظ ﴿عَلَيْنَا﴾ وذكر لفظ ﴿ثُمَّ﴾ يدلان على أن مسؤولية جمع القرآن وقراءته غير مسؤولية بيانه، وإلا لا يكون للفظ ﴿ثُمَّ﴾ معنًى.

والبيان الذي ألقي في قلب الرسول ﷺ بأي طريقة كانت إذا ألقي في صورة الألفاظ فها هو الحديث، معناه من الله والألفاظ من الرسول ﷺ. وهذا هو المراد من الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩]، وفي لفظ آخر يمكن أن يقال: تحققت مسؤولية الاحتفاظ بالحديث من الله للرسول ﷺ فقط.

فإذا ما خيف ضياع ما يقرأ من ألفاظ القرآن، ما خيف ضياع ما يبين من أحاديث الرسول ﷺ، لأن الله تعالى نزَّل الألفاظ على الرسول ﷺ بالقراءة والتلاوة كما تصرِّح الآيات: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨] أو: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ [القصص: ٣]، وغير ذلك، وبلَّغ المعاني بطريق التعليم.

لأن العلم يهدف إلى تفهيم معاني الألفاظ دون إبلاغ الألفاظ، فيقول الله معلمًا: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]، وأحيانًا عبَّر القرآن عن هذا التعليم وإبلاغ المعاني بالهداية حيث قال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

فثبت أن الألفاظ والمعاني وصلتِ الرسولَ ﷺ عن طريق التلاوة والقراءة والتعليم والهداية وجمعت في صدره محفوظة.

إن نبينا محمدًا ﷺ نقل القرآنَ وبيانه إلى قلوب الأمة بصيانة كاملة وحفظ بالغ كما نقلهما الله تعالى إلى قلب رسوله، ولا يزال القرآن وبيانه يجريان إلى يوم القيامة، ينتقلان من جيلٍ إلى جيل، ومن أمةٍ إلى أمة، ومن شعبٍ إلى شعب، لا يصيبهما التحريف ولا التلبيس، ولا يخشى عليهما التلف أو الضياع عن صفحة الوجود، إلا

أن الله عز وجل أنزلهما بالوسائط الباطنية دون أن يستخدم الأسباب الظاهرة، وانتقل القرآن وبيانه من الرسول ﷺ إلى الأمة بمساعدة الوسائل الظاهرة.

فكما استمر القرآن ولا يزال في صيانة الله عن طريق تواتر الطبقة والروايات المسلسلة، حيث أشرفت عليه مئات آلاف من قلوب الناس؛ استمر الحديث في حراسة الله تعالى ولا يزال إلى يوم القرار عن طريقة حفاظ الحديث، حيث رزقهم الله الضبط التام المعجز وقوة الذاكرة التي تثير العجب، فاحتفظوا بالأسانيد والمتون، وحرصوا عليها بالنواجذ وبلَّغوها في ضوء الأصول والضوابط من السلف إلى الخلف، ثم وضعوا أنواع العلوم والفنون التي لا تعد ولا تحصى للاحتفاظ بالحديث.

كما ألَّف ودوَّن المفسرون مئات من العلوم والفنون التي تستدعي الكتب الضخمة للاطلاع على أسمائها فقط، نحو «الإتقان في علوم القرآن» للعلامة السيوطي، و«جواهر القرآن» للإمام الغزالي. فمن المفسرين من احتفظوا بالألفاظ فلقِّبوا **بالحفاظ**، وقد بلغ عددهم مئات آلاف في كل قرن ولا يزال.

ومن الحفاظ أيضًا من حافظوا على الإعراب، وعيَّنوا الحركات والسكنات، والوقفات وعدوا الألفاظ والكلمات، والركوع والسجود.

ومنهم من اتخذوا خطه فسموا **بعلماء الخط**.

ومنهم من حرصوا على اللغات والتعبيرات، فطار صيتهم باسم **علماء المفردات**، فهم تحملوا بعد مسؤولية حفظ معانيه المختلفة في ضوء بيانه السنة والحديث، سواء كان قوليًّا أو عمليًّا، فحوَّلوا كل طريقة حفظ المعاني إلى علم وفن: فمنهم من فسَّروه باللغة وبيَّنوا وجوه فصاحته وبلاغته، وهم **علماء اللغة والبيان**.

ومنهم من فسروه بالروايات والأحاديث، فسموا **بأهل الأثر**.

ومنهم من أشرفوا على الجزئيات التي تفرعت منه، وهم **الفقهاء**.

ومنهم من بحثوا عن الاتجاهات العقلية، وهم **أهل الكلام والحكماء**.

ومنهم من استنبطوا علل الأحكام من الكليات والجزئيات ثم وضعوا القوانين والدساتير منهم، وهم **المجتهدون**.

ومنهم من اعتنقوا المواعظ والحكم والأمثال والعبر، وهم **الخطباء**.

ومنهم من كشفوا عن الوقائع والقصص وفتشوا فيها وبحثوا عنها، وهم **المؤرخون**.

ومنهم من استخرجوا الأصول والكليات من المعاني الجزئية الفرعية وألَّفوا العلوم في ضوئها، وهم **الباحثون والمفكرون**.

ومنهم من شرعوا طرق استخراج المسائل وعيَّنوا لها الاصطلاحات الفنية الجامعة، مثل الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، وعبارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص، وإشارة النص، والمجمل والمفسر، وغير ذلك، وهم **علماء الأصول**.

ومنهم من دوَّنوا الأصول السياسية بناءً على رقي الأمم وانحطاطها وصعودها وهبوطها، ونظرياتهم الفطرية، وهم **علماء السياسة والإدارة**.

ومنهم من أخذوا المعارف الباطنية الروحية، والطرق الثائرة النفسية، والمشاهدة والانكشاف، وهم **العارفون بالله**.

جهد مختلف العصور لحفظ الحديث

الإسلام دين إلهي يوافق جميع نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية، والدينية

والعقلية، والخلقية، فاستخدم الله الإنسان لحفظ هذا الدين الجامع الإلهي الفطري، وجعله حريصًا عليه أشد الحرص على أهله ونفسه.

وهكذا وفَّقه الله لحفظ الحديث، ورزقه الموهبة المعجزة لحفظه وإتقانه وضبطه، فهو تغلغل في وعيه وانهمك في حفظه، وقام بدورٍ فعَّالٍ هام لا نظير له في تاريخ الأديان السماوية، إلا أن القرآن كان معجزة كلامية نزلت على الرسول ﷺ مع الألفاظ، فلا بد من الاحتفاظ بالألفاظ مع المعاني.

وأما الحديث فكانت معانيه من الله والألفاظ من الرسول ﷺ، فلا بد من الاحتفاظ بالمعاني دون الألفاظ. فلذا **جازتِ الرواية بالمعنى على الأصح**. نعم، بذل المحدثون الجهود الجبارة لحفظ الألفاظ أيضًا، وما أهملوا شيئًا.

فبداية الأمر كان عصر الصحابة المشرق الروحي، وهم يحفظون الحديث على الأكثر وإن ثبتت كتابته من الروايات العديدة... ثم حان عصر التابعين، وبدأ حفاظ الحديث في تدوينه وكتابته في شتى البلاد الإسلامية... ثم جاء عصر تنقيح الروايات فهم قاموا بتفريق آثار الصحابة عن أقوال التابعين، وجمعوا الروايات على حدة...

ثم أتى زمن التمحيص حينما قام وضَّاعو الحديث ومنكروه وأخذوا يروون الأحاديث الموضوعة ويكذبون على النبي ﷺ فقاومهم أصحاب «الصحاح الستة» بالتنقيد والتفتيش والتفحيص والتمييز بين الصحيح والضعيف، والأصل والموضوع، وأكَّدوا على الإسناد وعنوا به عناية بالغة، وجعلوه مستوًى لصحة الرواية وضعفِها ودوَّنوا فنَّ أصول الحديث ومصطلحاتها في ضوء القرآن، وقسَّموا الحديث بناءً عل عدد الرواة وأوصافهم.

المحرفون

قد ذكرنا آنفا مَن أثاروا[١] علانية فتنة إنكار الحديث أو وضعه، أو تحريف ألفاظه، ولكن النبي ﷺ أخبر أيضًا بمن يقبلون ألفاظ الحديث ويقنعون بها، مع ذلك يحرفون المعاني ويلبسونها على بناء عقولهم وأذهانهم وآرائهم، ويسعون في إحداث التحزب والتكتل في الأمة، فرُوي عن النبي ﷺ: **«تفرقتِ اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»**[٢]، وهذا التحزب والتكتل ما حدث بإنكار القرآن أو الحديث وإنما حدث على قبولهما.

وتحريفهم هذا مثل التحريف الذي قام به اليهود والنصارى في كتبهم السماوية؛ التوراة والإنجيل، وتفرقوا به على إحدى وسبعين فرقة، فما مضت عليهم القرون إلا أن ذهبت علومهم في الآفاق وقال القرآن عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

العلاقة بين القرآن والرسول ﷺ

إن الله تعالى أسبغ على الأمة ظلال النعم الوارفة، وأعطاها نعمتين عظيمتين؛ كتابًا حيًّا خالدًا، ورسولًا حيًّا، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] لأن الميت يتصرف فيه من يشاء كيف يشاء ولكن الحي القوي لا يجترئ أحدٌ أن يصيبه ضررًا.

---

(١) أثَار يُثير أثِر: أثار الشيء: أي: نشره ودفعه. «معجم اللغة العربية»: ١/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة: ٢٦٤٠، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

[ولذلك ينبغي للعلماء والمشايخ أن يعتنوا بترجمة القرآن إلى اللغات المختلفة، كما فعله الأئمة العظام مثل الإمام الشاه ولي الله الدِّهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ترجمه إلى اللغة الفارسية، ثم نجله الثاني الشاه رفيع الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ترجمه إلى الفارسية أيضًا، ثم نجله الثالث الشاه عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ترجمه إلى اللغة الأردية وهي ترجمة لا مثيل لها، حيث قام بترجمته كلمة كلمة وسعى على إبلاغ معانيها كلها بكمال كيفيته وأصليته.

ولذلك كان حضرة شيخ الهند، سيدنا ومرشدنا مولانا محمود حسن قدس سره، محدث ديوبند ينقل مقولة شيخه حضرة قاسم العلوم وحجة الإسلام مولانا محمد قاسم النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مؤسس دار العلوم ديوبند، أن القرآن ـ بالفرض ـ إذا نُزِّل باللغة الأردية كانت تكون آياته وتركيب جمله، قريبًا من ترجمة الشاه عبد القادر][1].

(١) هذه زيادة من كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتابه باللغة الأردية.

المقترحات والتوصيات

١) العناية بالدراسة والبحوث التي تبرز جوانب الارتباط بين القرآن والسنة.

٢) العناية بالدراسة والبحوث التي تبرز جهود العلماء المسلمين في وضع القواعد التي محصوا بها السنَد والمتن وما تولد من ذلك من علوم فاقت بها جميع الأمم.

فهرس مصادر ومراجع التحقيق

الإلماع، القاضي عياض، ت٥٤٤هـ تحقيق محمد البيضاني، الناشر المتميز، ط١٤٣٨هـ.

ابن سبأ حقيقة لا خيال، سعد الهاشمي، مكتبة الدار، ط١٤٠٦هـ.

الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، ت٤٤٦هـ تحقيق محمد سعيد إدريس، مكتبة الرشد، ط ١٤٠٩هـ.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ت٤٦٨هـ تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١٤١٤هـ.

الأشباه والنظائر، ابن نُجيم، ت٩٧٠هـ تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العمية، ط١٤١٩هـ.

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبو بكر البيهقي، ت٤٥٨هـ تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط١٤٠١هـ.

إكفار الملحدين، من ضمن «ثلاث رسائل للكشميري»، محمد أنور شاه الكشميري، ت١٣٥٣هـ تحقيق محمد رحمة الله الندوي، دار البشائر الإسلامية، ط١٤٣١هـ.

الأنساب، السمعاني، ت٥٦٢هـ تحقيق عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١٣٨٢هـ.

بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، ت٣٠٣هـ تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر.

البداية والنهاية، ابن كثير، ت٧٧٤هـ تحقيق عليّ شيري، دار هجر للطباعة، ط ١٤١٨.

بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد الخادمي، ت١١٥٦هـ مطبعة الحلبي، ط١٣٤٨هـ.

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ت٤٦٣هـ، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط١٤١٧هـ.

تاريخ دار العلوم ديوبند، سيد محبوب الرضوي، ت١٣٩٩هـ، الميزان، ط١٤٢٦هـ.

تاريخ دمشق، ابن عساكر، ت٥٧١هـ، تحقيق عمرو العمروي، دار الفكر، ط ١٤١٥.

تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، ط١٣٨٧هـ.

تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٧هـ.

تبييض الصحيفة، السيوطي، ت٩١١هـ، دار الوعي، ١٤٢٨هـ.

التحبير للأوهام والتنبيهات الواردة في تفسير الحافظ ابن كثير، أبي عبيدة هاني الحاج، المكتبة الذهبية، ط١٤٢٤هـ.

تخريج إحياء علوم الدين، زين الدين العراقي، ت٨٠٦هـ، تحقيق أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، ط١٤١٥هـ.

تدريب الراوي، السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق محمد عوامة، دار المنهاج، ط: ١٤٣٧.

تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت٧٤٨هـ، دار الكتب العلمية، ط١٤١٩هـ.

تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق عبد الله التركي، دار عالم الكتب، ط ١٤٢٢هـ.

تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ت٥٩٧هـ، تحقيق أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن، ١٤٢٣هـ.

التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه، تاج الدين السبكي، ت٧٥٦هـ، تحقيق علي أسعد رباجي، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٦هـ.

تلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ تحقيق حسان بن عباس بن قطب، دار قرطبة، ط١٤١٧هـ.

تنوير المقباس، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت٨١٧هـ دار الفكر.

جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ت٤٦٣هـ تحقيق ماهر ثملاوي وحسن شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١٤٣٦هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠هـ.

الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي.

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ت٦٧١هـ تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ط١٣٨٤هـ.

جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ الأزهر الشريف، ط١٤٢٦هـ.

الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي، طبع من ضمن سير أئمة الأحناف، زاهد الكوثري، ت ١٣٧١هـ إيج إيم سعيد كمبني.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، ت٤٣٠هـ دار السعادة، ط١٣٩٤هـ.

حيات طيب، محمد شكيب القاسمي، مجمع حجة الإسلام، ط١٤٣٧هـ.

الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز المكي، ت٢٤٠هـ تحقيق علي بن محمد الفقيهي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة رقم ١١٢.

ختم نبوت كامل ـ محمد شفيع العثماني، ت١٣٩٦هـ إدارة المعارف كراچي

الخيرات الحسان في مناقب النعمان، ابن حجر الهيتمي، ت ٩٧٣هـ تحقيق محمد عاشق إلهي البرني.

درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت٧٢٨هـ تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، ط١٤١١هـ.

در المختار، محمد علي الحصكفي، ت١٠٨٨هـ تحقيق عبد المنعم خليل إبراهي، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٣هـ

الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ، دار الفرك بيروت

الدعوات الكبير، البيهقي، ت٤٥٨هـ تحقيق بدر البدر، دار غراس، ط١٤٣١هـ

الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، ت٢٨٠هـ تحقيق بدر البدر، دار ابن الأثير، ط١٤١٦هـ

الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوزان القشيري، ت٤٦٥هـ تحقيق عبد الحليم محمود، دار المعارف.

الرياض الأنيفة في شرح أسماء خير الخليقة، السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ط١٤٠٥هـ

سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، ت٢٧٥هـ تحقيق شعيب الأرنـؤوط، الرسالة العالمية، ط ١٤٣٣هـ

سنن الترمذي ـ الجامع الكبير، أبو عيسى الترمذي، ت٢٧٩هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط، الرسالة العالمية، ط ١٤٣٠.

سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، ت٣٠٣هـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١٤٠٦هـ.

سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٣هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الرسالة العالمية، ط ١٤٣١

سنن الدارقطني، الدارقطني، ت٣٨٥هـ تحقيق شعيب الأرنـؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٤هـ

السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، ت٤٥٨هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٤هـ

سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت٧٤٨هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، ت٤١٥هـ تحقيق عبد الكريم بن عثمان، مكتبة وهبة، ط١٤١٦هـ

شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، ت٧٩٢هـ مكتبة المدينة كراتشي، ط١٤٣٣هـ

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت٣٩٣هـ تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، ط1407هـ

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت٢٥٦هـ تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت٢٦١هـ تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١٤٢٢هـ.

صفة الجنة، ابن أبي الدنيا، ت٢٨١هـ تحقيق عمرو سليم، مكتبة ابن تيمية.

الطبقات الكبرى، ابن سعد البغدادي، ت٢٣٠هـ تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١٤١٠هـ

العزلة، أبو سليمان البستي الخطابي، ت٣٨٨هـ المطبعة السلفية، ط١٣٩٩هـ.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، ط١٤٢١هـ.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، ت٤٤٩هـ تحقيق ناصر الجديع، دار العاصمة، ط١٤١٩هـ.

العناقيد الغالية من الأسانيد العالية، محمد عاشق إلهي البرني، ت١٤٢٢هـ مكتبة الشيخ، ط١٤٠٨هـ.

المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، ت٣٦٠هـ، تحقيق طارق عوض الله، دار الحرمين.

معجم التعريفات، علي الجرجاني، ت٨١٦هـ تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، ت٣٦٠هـ، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.

معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، دار عالم الكتب، ط١٤٢٩هـ.

معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، ت٤٥٨هـ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية.

المغني، ابن قدامة المقدسي، ت٦٢٠هـ، دار إحياء التراث، ط١٤٠٥هـ.

مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، ت٦٤٣هـ، تحقيق الهميم والفحل، دار الكتب العلمية، ط١٤٢٣هـ

المنتقى من منهاج الاعتدال، شمس الدين الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ولإرشاد، ط١٤١٣هـ

المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي، ت٧٥٦هـ، عالم الكتب بيروت.

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني، ت٩٢٣هـ، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ط١٤٢٥هـ

نظم المتناثر من الحديث المتواتر، دار الكتب السلفية الطبعة الثانية المصححة

نفحة العنبر، يوسف البنوري، مكتبة ديوبند.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ت ٦٨١هـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط ١٣٩٨

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الصفحة
سورة النمل	
النمل: ٦٢	٢٥٧
النمل: ٧٥	١٨٠
النمل: ٨٢	٢٨٠
النمل: ٨٧	٢٣١
النمل: ٨٨	١٨٤
سورة القصص	
القصص: ٣	٣٤٢
القصص: ٥٠	٢٢٣
القصص: ٥٨	١٧٠
القصص: ٦٨	١٤٢
القصص: ٨٨	١٢٨
سورة العنكبوت	
العنكبوت: ٤٥	١٥٠
العنكبوت: ٤٦	١١٩، ١٩٢
العنكبوت: ٤٧	٢٠١
العنكبوت: ٦	١٦٨
العنكبوت: ٦٥	٢٥٧
سورة الروم	
الروم: ٢٧	١٢٨
الروم: ٤٠	١٢٠، ١٢٦

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

الحديث **الصفحة**

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة